تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم

الجزء الأول



أفريقيا

أ. د. السر سيد أحمد العراقي

- أستاذ التاريخ الإسلامي
- قسم التاريخ - كلية التربية
- جامعة الملك سعود . فرع أبها

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

- أستاذ ورئيس قسم التاريخ
- كلية التربية
- جامعة الملك سعود . فرع أبها



تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم

(الجزء الأول)

(أفريقيا)

تأليف

أ. د. السر سيد أحمد العراقي
- أستاذ التاريخ الإسلامي
- قسم التاريخ - كلية التربية
- جامعة الملك سعود . فرع أبها

أ. د. غيثان بن علي بن جريس
- أستاذ ورئيس قسم التاريخ
- كلية التربية
- جامعة الملك سعود . فرع أبها

ح غيثان بن علي بن جريس ، ١٤١٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
بن جريس ، غيثان بن علي
تاريخ الأقليات المسلمة في العالم (افريقيا) / غيثان بن علي بن جريس
السر سيد أحمد العراقي - الرياض
... ص ؛ ... سم.
ردمك ٣-٧-٤٠ -٣١ -٩٩٦٠
١ -الأقليات المسلمة ٢- المسلمون في أفريقيا - تاريخ
أ - العراقي ، السر سيد أحمد (م. مشارك)
ب- العنوان
ديوي ٩١٦. ٢١٠ ١٧/٠٢١٠
رقم الإيداع : ١٧/٠٢١٠
ردمك : ٣- ٧-٤٠-٣١-٩٩٦٠

الطبعة الثانية

١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م

مقدمة الطبعة الثانية

للقارة الافريقية عمق كبير لدولة الإسلام، ورافد عظيم لانتشاره وازدهاره وسيادته على كل أنحاء العالم، وكانت الهجرات العربية الإسلامية لهذه القارة قد لعبت دوراً هاماً وفعالاً في تشكيل هذه المنطقة اقتصادياً وسياسياً ودينياً، وغير ذلك من العوامل الأخرى المرتبطة بالعامل التاريخي؛ ذلك أن الإمارات والدول الإسلامية التي أنشأها العرب والمسلمون أسهمت إسهاماً ايجابياً في نقل الحضارة والفكر الإسلامي والعربي إلى داخل أفريقيا.

لقد كان الإقبال كبيراً على الطبعة الأولى من هذا الكتاب **«تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم»** الجزء الأول - إفريقيا..

لذلك رأينا أنه لابد من إعادة طبع هذا الكتاب الذي يسلط الضوء على الدور العربي والإسلامي وما لعبه في إفريقيا، بنشر الإسلام منذ ظهوره، ووصول المسلمين إلى مناطق بعيدة لنشر الدعوة الإسلامية واللغة العربية، وعلى الرغم من أننا لم نتمكن من بحث بلدان أخرى كثيرة تعيش فيها أقليات إسلامية، فإننا نعد أن نبذل قصارى جهدنا لتغطية هذا الجانب في أجزاء أخرى قريباً إن شاء الله.

إن ما شجعنا على اختيار موضوع هذا البحث، هو دور الإسلام البارز في تاريخ إفريقيا بوجه عام، ودور الإسلام في دفع عجلة الحضارة الإنسانية بصفة خاصة، ومحاولة إبراز دور الأقليات المسلمة في بعض البلدان الافريقية في نشر الإسلام والمحافظة على عقيدتها وتراثها الإسلامي العظيم.

وفي هذه الصفحات كذلك محاولة لإبراز دور الإفريقيين في صنع تاريخهم، كما يقدم هذا الكتاب تقديراً للدور الكبير الذي تلعبه شعوب هذه القارة - خاصة الإسلامية منها - في كفاحها، ومقاومة كل ألوان القهر التي يمارسها أعداء الإسلام للإسلام.

وبالله التوفيق

المؤلفان

(١٤١٩هـ/١٩٩٩م)

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس

مقــــــدمة

لقد لعبت الهجرات العربية والإسلامية إلى أفريقيا دوراً هاماً وفعالاً في تشكيل تاريخ تلك المنطقة اقتصادياً وسياسياً ودينياً واجتماعياً ، وغير ذلك من العوامل الأخرى المرتبطة بالعامل التاريخي ، ذلك أن الإمارات والدول الإسلامية التي أنشأها العرب والمسلمون ساهمت إسهاماً إيجابياً في نقل الحضارة والفكر الإسلامي والعربي إلى داخل أفريقيا.

لكل ذلك وما عداه من الأسباب والعوامل الأخرى ، فقد رأينا أنه لابد من الإسهام لتسليط الضوء على الدور العربي والإسلامي وما لعبه في أفريقيا، بنشر الإسلام منذ ظهوره، ووصول المسلمين إلى مناطق بعيدة ، لنشر الدعوة الإسلامية واللغة العربية ورغم أننا لم نتمكن من بحث بلدان أخرى كثيرة تعيش فيها أقليات إسلامية إلا أننا سنبذل قصارى جهدنا لتغطية هذا الجانب في أجزاء أخرى إن شاء الله، وبعد أن تتوفر المادة العلمية التي تعين على ذلك.

لذلك فإن موضوع هذا البحث هو علاج تاريخي لانتشار الإسلام ، وتاريخ اعتناق الشعوب الأفريقية المختلفة للإسلام منذ فجر العصور الوسطى ، حتى كاد الإسلام أن يغطي معظم أجزاء القارة الأفريقية ، إن لم يكن كلها... وإذا كنا بذلك نؤرخ لتاريخ دخول الإسلام في مناطق متباعدة ، فإننا كذلك نواجه فترات زمنية متباينة في استعراض تاريخ انتشار الإسلام في تلك البلدان.

وعلى هذا فإن موضوع البحث هو علاج تاريخي في بعض مناطق أفزيقية وصلها الإسلام في فترات متباينة والتي حددناها ، وكانت مسرحاً لنشاط عربي إسلامي مكثف مع شعوب تلك المناطق ، أدت إليه الهجرات العربية الإسلامية المتلاحقة ، ثم تبلور عن ذلك النشاط، أن اعتنقت معظم شعوب القارة الإسلام بحماس شديد، ولولا ظهور الاستعمار وأعماله الوحشية في كل مكان، ومساندته بكل

الوسائل لنشاط البعثات التنصيرية لغطى الإسلام كل أجزاء القارة، وانتشرت اللغة العربية بين شعوب القارة منذ زمن مبكر. وقد حاولنا قدر المستطاع البحث في نشاط المسلمين في بعض البلدان الأفريقية ، التي يعتقد أنها أقلية إسلامية، متتبعين اعتناق شعوب هذه البلدان للإسلام ، ومحاولا معرفة إن كان هؤلاء المسلمين اليوم يمثلون أغلبية في ظل حكم أقلية، أم هم أقلية يعانون اضطهاد أغلبية ظالمة، يفرضون هيمنتهم ولغتهم ودينهم ، وبعيدين كل البعد عن التسامح والمساواة.

لا شك أن للإسلام دوراً واضحاً في رقي الحياة في أفريقيا ، فلقد استطاعت الحكومات الأفريقية التي طبقت النظام الإسلامي في إدارة شئون الحياة استطاعت أن تخطو بشعوبها خطوات حضارية كبيرة.

إن ما شجعنا على اختيار موضوع هذا البحث، هو دور الإسلام البارز في تاريخ أفريقيا بوجه عام ، والإسهام في دفع عجلة الحضارة الإنسانية بصفة خاصة، ومحاولة إبراز دور الأقليات المسلمة في بعض البلدان الأفريقية في نشر الإسلام والمحافظة على عقيدتها وثراثها الإسلامي العظيم، ومقاومة كل ألوان القهر التي يمارسها أعداء الإسلام للإسلام.

ومما حدا بنا أيضاً للمضي قدماً في هذه الدراسة ، ما لاحظناه من انحصار اهتمام الباحثين في دراسة أحوال الأقليات المسلمة في أفريقيا أو في العالم كله دون أن يولوا تاريخ انتشار الإسلام بين هذه الشعوب، وكفاحها ونضالها من أجل المحافظة على عقيدتها في كل العصور الإسلامية ـ عنايتهم ليبينوا ما في ذلك الدور من دقة. لذا اتجهنا إلى هذا الموضوع ، وإنا لنعتبره بحثاً جديداً في موضوعه ، وما نحسب أن أحداً قبلنا قدم دراسة متكاملة لانتشار الإسلام في تلك البلدان التي هي موضوع هذا البحث.

وكيما نتحدث عن هذا الأمر ، ونوفيه ما يستحقه ، فلابد لنا من رسم صورة

واضحة لتاريخ انتشار الإسلام في أفريقيا في مدخل هذا البحث أو تمهيده.

وبالطبع فإن فصول هذا البحث قد شملت الكثير من العوامل والأسباب التي أدت إلى انتشار الإسلام بين شعوب تلك البلدان ، رغم وطأة الظروف وقسوتها. وقد التزمنا ونحن نؤرخ في هذا الموضوع الهام ـ التزمنا الدقة العلمية الموضوعية في كتابة هذا البحث – وذلك ثقة منا بأن كل بحث إذا ما توفر له المناخ العلمي والموضوعي، وأدرك الباحث فيه إدراكاً تاماً بالعامل التاريخي والعوامل المساعدة، يكون بذلك قد أسهم إسهاماً جاداً في كتابة التاريخ.

ولقد قسمنا هذا البحث إلى تمهيد وثمان فصول بالإضافة إلى الخاتمة.. ويتعين علينا أن نستعرض ذلك فيما يلي :

١) التمهيد : ملامح من تاريخ انتشار الإسلام في أفريقيا .
٢) الفصل الأول : الأقليات المسلمة في أفريقيا .
٣) الفصل الثاني : يوغندة .
٤) الفصل الثالث : كينيا .
٥) الفصل الرابع : تنزانيا .
٦) الفصل الخامس : جنوب أفريقيا .
٧) الفصل السادس : بورندي .
٨) الفصل السابع : موزمبيق .
٩) الفصل الثامن : سيراليون .
١٠) خاتمة البحث .
١١) قائمة المصادر والمراجع .

المصادر والمراجع الهامة :

تشمل المصادر والمراجع الرئيسية لهذا البحث : –

١) ما دونه المؤرخون والجغرافيون والرحالة العرب •

٢) ما ألفه المؤرخون والرحالة الأوروبيون •

ترجع أهمية مراجع الفريق الأول إلى أنها كتبت في عصور كانت أوروبا لا تعرف عن أحوال أفريقيا شيئاً ، ولذلك نعتبرها مصادر مفيدة وأصيلة ، ولذلك فإننا ندين بالكثير لذلك الرعيل الأول من المؤرخين والرحالة العرب من أمثال المسعودي وابن بطوطه وياقوت وغيرهم •

وقد أسهم المؤرخون الأوروبيون في وصف المجتمعات الخاصة بأفريقيا أمثال دورت باربوسا **Daurte Barbosa** في كتابه : **The Book of Daurte Barbosa** الذي حوى فصلاً ممتازاً عن أحوال أفريقيا من النواحي الاقتصادية والاجتماعية • وقد زار هذا المؤرخ ساحل شرقي أفريقيا في القرن الخامس عشر ، وشاهد نهاية السيادة العربية في ساحل شرقي أفريقيا على أيدي البرتغاليين.

ثم تابع فريق تاريخ المؤرخين العرب والأوروبيين في العصر الحديث جهود الرحالة العرب والأوروبيين في العصور الوسطى ، ومن أمثال هؤلاء بعض المؤرخين الأوربيين الذين طافوا أنحاء أفريقيا وكتبوا فيه دراسة علمية ومنهم الكاتب **Richard Reusch** في كتابه : **History of East Africa**.

وهناك أيضاً حوليات كلوه **Kilwa Chronicle** وكذلك ما كتبه ستايقند **Stigand** في كتابه : **The Land of Zing** وما سجله ترمنجهام **Trimingham** في بعض كتبه مثل :

1. **Islam In East Africa.**
2. **Islam In West Africa.**
3. **Islam In Ethiopia.**

ولقد استفدنا كثيراً من كتب بعض الأساتذة الأجلاء ، بل نعتبرها من أهم مصادر هذا البحث ، لأنها معلومات هامة ومفيدة ، خاصة عن أحوال الأقليات المسلمة في العالم في الوقت الحاضر ، ومن هذه الكتب : —

١) تاريخ الأقليات المسلمة في العالم ، للأستاذ سيد عبد المجيد نصر .
٢) كتاب المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم .

وأخيراً وليس آخر ، نود تسجيل شكرنا لكل من ساهم وقدم لنا تسهيلات مقدرة تمكنا بها من القيام وإكمال هذا البحث .

ونرجو أن يكون هذا السفر ، الذي قام على بحث مفصل عن تاريخ الأقليات الإسلامية في أفريقيا، ما يفيد الذين يطلعون عليه .

وهذا ما قصدنا إليه ، وبا لله التوفيق ،،،

"المؤلفان"

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

ملامح من تاريخ الإسلام في إفريقيا

لقد غطى الإسلام ، منذ فجر ظهوره ، المنطقة الممتدة من مصر إلى بلاد السوس الأقصى ، وبلاد الحبشة ومنطقة القرن الإفريقي على طول الساحل الشرقي ، وعبر إلى إفريقيا جنوب الصحراء في العصور الوسطى ، وهي منطقة الحزام السوداني الممتد من باب المندب والبحر الأحمر وجيبوتي في المحيط الهندي ، أو من ساحل الصومال إلى ساحل السنغال وجزر الرأس الأخضر في المحيط الأطلسي • وبلاد السودان تسمية أطلقها المؤرخون والجغرافيون العرب على سكان غربي إفريقية بصفة خاصة ، وهناك بلاد النوبة وأرض الزنج ••••

وفي العصور الحديثة اخترق الإسلام نطاق الغابات وهضبة البحيرات وتوغل حتى جنوبي القارة ، رغم محاولات المستعمرين الشرسة وقف هذا التقدم • فالإسلام الذي دخل القارة منذ وقت مبكر ، شكل عادات السكان وطور أحوالهم ، ورغم ذلك فإن هناك كثير من الأفكار الخاطئة المنتشرة في العديد من الكتب المنهجية وغيرها حول التاريخ الإفريقي • فكثيراً ما نقرأ بأن إفريقيا ليست لها تاريخ • وهذا الزعم – إن قبلناه – معناه تجريد إفريقيا من أية مساهمة في حضارة الإنسان •

والذين يقولون بهذه الأفكار ، يعتبرون إفريقيا قارة مظلمة على مر العصور ، ومعزولة عن العالم ، وبالتالي معزولة عن تاريخ الإنسانية • وإنها لم تتصل بالعالم إلا عندما بدأ الأوربيون يتعرفون عليها ويكشفون بعض أجزائها التي كانت مجهولة

لديهم .

إن هذه النظرة الخاطئة لتاريخ إفريقيا يجب أن تصحح ، ولا يمكن تصحيحها بقراءة الأفكار الجاهزة والخاطئة والشائعة عنها ، والتي كتب معظمُها أوربيون من وجهة نظر استعمارية وعنصرية في معظم الحالات .

والصفحات التالية محاولة لدراسة الدور الكبير الذي قام به الإسلام واللغة العربية في تقدم إفريقيا وتطورها منذ فجر العصور الوسطى . فقد أصبحت هذه البلاد عن طريق الإسلام والعلوم الإسلامية عظيمة الحضارة والتقدم . وسرعان ما شكل الإسلام عادات السكان وطور أحوالهم ، حتى صار مستوى التفكير والثقافة يقارن بنظائره أو يفوقه في الدول المعاصرة في أوروبا المسيحية .

ولذلك ليس من سرف القول : أن العصور التاريخية الزاهرة لبلاد السودان الشرقي والأوسط والغربي تقترن بالإسلام . فبالإسلام كما يقول جوي Gouiuy، يبدأ العصر التاريخي لإفريقيا السوداء .

والإسلام والعلوم الإسلامية ، هي التي أدت إلى قيام الممالك الإفريقية الإسلامية الكبرى : غانا ومالي وصنفى وكانم برنو ، وممالك الهوسا والتكارره والفولانيين أو الفلاتا في بلاد غربي إفريقية (السودان الأوسط والغربي آنذاك) . [ومملكة الفونج أو السلطنة الزرقاء في سنار (على النيل الأزرق) وسلطنة الفور الإسلامية .] وإمبراطورية الزنج الإسلامية أو سلطنة كلوة الإسلامية في ساحل شرقي إفريقيا، هذا بجانب دول الطراز الإسلامي وهي سبع ممالك قامت في منطقة القرن الإفريقي في بلاد الحبشة .

لقد تطلعت بلاد إفريقيا (جنوب الصحراء) إلى البلاد الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ثم من بعد ذلك تطلعت إلى عواصم الخلافة الإسلامية في دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وفاس وقرطبة .

فامتدت الرقعة الإسلامية من فاس إلى تنبكتو ، ومن تنبكتو إلى بلاد السنغال وأرض الهوسا وبلاد الآشانتي ، ومن الفسطاط إلى بلاد النوبة ، وكردفان ودارفور وأرض البجه ٠

ومن بلاد النوبة في دنقلا ، وأرض البجه على الساحل الغربي للبحر الأحمر إلى أرض الحبشة ، ومن أرض الحبشة استطاع الإسلام أن يتخطى الحواجز الطبيعية الكبرى وهي شلالات النيل وهضبة الحبشة ، ومنطقة البحيرات الكبرى ، وما يكتنفها من أدغال وغابات ٠

ومن بلاد العرب : الحجاز والعراق وجنوب الجزيرة العربية وصل الإسلام إلى الحبشة وأرض البجه أيضا ، وانتشر المسلمون على طول ساحل شرقي إفريقية الممتد من باب المندب شمالاً حتى سوفالا في روديسيا جنوباً، كما وصل الإسلام إلى كينيا ويوغنده ٠

ويمكن إلتماس طرق متعددة سلكها الإسلام إلى القارة الإفريقية، ومنابع رئيسية للتأثير الإسلامي في إفريقيا السوداء عامة وهي :

١ - طريق شمال إفريقيا : مصر، برقه، طرابلس، إفريقيا (بلاد تونس)، المغرب الأوسط (الجزائر وجزء من مراكش) بلاد السوس الأقصى إلى مصب السنغال ، ويتبع هذا الطريق طريق بحري بعد نمو البحرية الإسلامية من ثغور الشام ومصر إلى ثغور المغرب الأقصى (مراكش) ٠

٢ - طريق صحراوي : من واحات مصر الغربية ماراً بجنوب إفريقيا الشمالية، متجهاً صوب الجنوب عبر واحات الصحراء إلى المدن الكبرى في السودان ٠ وأهم المراكز التجارية في غربي إفريقية بلاد غانا ، ومالي ، وجنى ، وتنبكتو (تنبكت) وكنو ٠٠ ومن أهم مراكز التجارة في شمالي إفريقية في العصور الوسطى : القيروان وتونس وطرابلس ٠

٣ - طريق القوافل : من بلاد المغرب الأقصى إلى شمال بلاد السودان ولاسيما من جنوب تونس إلى بلاد برنو غرب بحيرة تشاد ، ومن جنوبي الجزائر إلى بلاد شمال نيجيريا، ومن جنوب مراكش إلى مصب السنغال ومنحنى النيجر الأوسط والأعلى ٠

٤ - الطريق الرابع : يسير عبر الصحراء الشرقية ووادي النيل إلى بلاد النوبة وشمال السودان ، وهذا الطريق الذي سلكه الإسلام إلى القارة الإفريقية ، وهو طريق النوبة ودنقلا ، وذلك بعد الفتح الإسلامي لمصر ٠ ولم تكن بلاد السودان بلاداً مجهولة للعرب ، فقد كان نهر النيل الطريق التجاري لهم ، على الرغم من وقوف مملكة النوبة المسيحية حائلا دون هؤلاء الفاتحين والمهاجرين ٠ولم يكن كل المهاجرين تجاراً ، بل كان فيهم المتنقل سعياً وراء المراعي الخصبة والماء والكلأ ، فوجدوا في فجاج السودان المترامية ما ينشدون ، كما وجدوا في تجارة الرقيق والذهب والجواهر والزمرد ضالتهم المنشودة ، وساعدهم على ذلك أن طبيعة السودان تشابه طبيعة بلادهم ٠

٥ - الطريق الخامس : من جنوب بلاد العرب إلى ساحل شرقي إفريقية وهو طريق بلاد اليمن وحضر موت والبحرين والإحساء إلى الساحل الإفريقي الشرقي ومصوع وبربرة ، حيث أخذت هجرات المسلمين تتدفق على طول الساحل الشرقي الممتد من خليج عدن حتى مدار الجدي على حافة المنطقة التي كان جغرافيو العرب يطلقون عليها اسم (بر الزنج) ٠

وقد انتشر الإسلام بعد ذلك في ربوع القارة الإفريقية ، فاخترق نطاق الغابات في غربي هذه القارة ، ودخل مع بعض المهاجرين إلى الكونغو ، ومن الشرق نفذ إلى جنوبي السودان وهضبة البحيرات ، وقلب الهضبة الحبشية ، وتخطى الساحل الشرقي في المناطق الداخلية إلى كينيا وتنجانيقا (تنزانيا حالياً)٠ كما نفذ إلى جنوبي إفريقية ، ومازال ينتشر إلى اليوم ٠

وهناك نهضة مباركة في نشر الدين الحنيف انبثت بين مسلمي القارة الإفريقية في جميع النواحي، فقد نفضوا عن أنفسهم غبار الماضي، وشاركوا في الحركات التحررية ، وتسلموا أعلى المناصب ، وقاموا بدور ملحوظ في النشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ولم ينسوا تقاليدهم الإسلامية وحرصوا عليها كل الحرص، وتجاوبوا مع إخوانهم في الدين في كافة أرجاء العالم الإسلامي .

وما يؤكد قدم الإسلام في إفريقيا، ما كتبه المؤرخون والجغرافيون العرب والرحالة وغيرهم من كتاب العصور الوسطى ، ولدينا الكثيرمن المصنفات العربية الهامة التي اهتمت بتسجيل المعلومات الهامة عن تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا، ودور العرب الكبير في تطور هذه القارة وتقدمها . وترجع أهميـــة هذه المصنفات العربية التي كتبها الرواد العرب من مؤرخين وجغرافيين ورحالة ، إلى أنها كتبت في عصور كانت القارة الإفريقية فيها بعيدة عن مجال المعرفة الأوربية . ولذلك اعتبرت المعلومات التي وردت فيها عن إفريقية وتاريخ الإسلام والعرب فيها مادة فريدة وأصيلة في نوعها . فمما لا شك فيه سبق جغرافيو العرب ورحالتهم ومؤرخوهم زملاءهم في العالم الغربي في مجال المعرفة الإفريقية . فالأوربيون لم يركزوا اهتمامهم على القارة الإفريقية ، ومحاولة كشف مجاهلها إلا في أعقاب حركة الكشوف البحرية في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر . كما أن كتاباتهم إقتصرت على السواحل ومصبات الأنهار الكبرى حتى أوائل القرن السابع عشر ، وذلك قبل أن تبدأ عمليات الارتياد الأوربي داخل القارة الإفريقية . وعلى العكس من ذلك ظهرت كثير من المعلومات الخاصة بإفريقيا في المصنفات العربية، ابتداء من القرن التاسع الميلادي، إذ يتفق كثير من الباحثين على نضج المعارف الجغرافية وانتعاشها عند العرب حول ذلك الوقت ، بسبب ما أقدموا عليه من ترجمة الكتب اليونانية والرومانية وإضافتهم إلى المعارف الجغرافية القديمة الكثير مما توصلوا إليه نتيجة أسفارهم في آسيا وإفريقيا والمحيط الهندي ، إذ كان للنشاط التجاري أثر كبير في تطور المعرفة الجغرافية بسبب ازدهار التجارة العربية وامتدادها شرقاً إلى الصين ، وشمالاً عبر

أواسط آسيا حتى سواحل البلطيق، وجنوباً إلى الجزء الغربي من المحيط الهندي ، والساحل الشرقي لإفريقيا ، حتى جزيرة مدغشقر ، وغرباً إلى أراضي السودان . ولعل ذلك كان حافزاً لظهور كثير من المصنفات التي تناولت هذه البلاد بالوصف أو المشاهدة . كما أن اتساع العالم الإسلامي كان دافعاً بدوره على وضع المصنفات الجغرافية عما يشمله من مسالك وما يحتويه من ممالك .

والمصنفات العربية التي اهتمت بتسجيل تاريخ العرب والإسلام في إفريقيا سلسلة تكاد تكون متصلة الحلقات ، تبدأ من القرن التاسع الميلادي وتنتهي في القرن الخامس عشر .

وقد أشاد الكثير من المؤرخين والمستشرقين الأوربيين بفضل الرواد العرب من مؤرخين وجغرافيين ورحالة ، إذ أنهم أشادوا في بحوثهم ومؤلفاتهم إلى ما كتبه هؤلاء عن الدول الإسلامية التي ظهرت ، وعلى الأخص في غرب إفريقيا فذكر منهم بوفيل Bovil ، وبالمر Palmar ، ودي لافوس ، كما اعترف غيرهم بعمق المؤثرات العربية والإسلامية في شرق إفريقيا من أمثال جيان Guiuian ، وجبريل فيران Ferrand ، ورينو Reinaud ، وجرنفيل فريمان Freeman وغيرهم كثيرون .

ولابد هنا من إيجاز وذكر بعض المؤرخين والجغرافيين والرحالة من الرواد العرب ومصنفاتهم الهامة ، فمنهم : إبن خرداذبه ، ومؤلفاته التي من أهمها المسالك والممالك (بلاد الزنج) (القرن الثالث الهجري) ، وابن الفقيه الهمداني (٩٠٣م – القرن العاشر) (غانا) (الذهب) ومؤلفه " كتاب البلدان " ، ثم الجغرافي الفارسي أبوعلي بن رسته ، في كتابه : " العلق النفيس " الذي كتبه بعد عشر سنوات من ابن الفقيه (٩١٣م) . ثم يأتي بعد ذلك أبو الحسن المسعودي ، صاحب كتاب : " مروج الذهب ومعادن الجوهر "، وكتاب : " الإشراف والتنبيه " . والأصطخري : " المسالك والممالك "، وابن حوقل ، الذي اشتهر كتابه باسم : " صورة الأرض " ، ومن بعده المقدسي (٣٣٥ هـ – ٩٤٦/٩٤٧م) وكتابه : " أحسن

التقاسيم في معرفة الأقاليم " ، ويعد المقدسي من أعظم الجغرافيين العرب في القرن العاشر الميلادي ، اقتصر في كتاباته على وصف الأقاليم الإسلامية ولم يتعرض لوصف الأقاليم التي يسكنها غير المسلمين • ومن الجغرافيين الذين كتبوا في القرن العاشر الميلادي محمد التاريخي الأندلسي المتوفى عام ٩٧٣م ، ألف كتاباً في وصف إفريقيا والمغرب • وكتابات البكري (أبو عبيد البكري) التي من أهمها : " كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب"، وهو جزء من الكتاب المعروف بالمسالك والممالك • وفي أواخر القرن العاشر الميلادي يبرز لدينا الحسن بن محمد المهلبي ، وهو عالم مصري ، كان يعاصر الخليفة الفاطمي العزيز با لله ، وضع هذا العالم بعد زيارته لبلاد السودان كتاباً في الطرق والمسالك (٩٨٥م) امتاز بأنه أول كتاب عني بوصف أقاليم السودان الغربي وصفاً دقيقاً •

وفي القرن (الرابع الهجري) (الحادي عشر الميلادي) ظهرت كتابات البيروني التي من أهمها : " الآثار الباقية عن القرون الخالية " التي اهتمت اهتماماً واضحاً بالساحل الشرقي لإفريقية •

أما في القرن الثاني عشر فقد ظهرت مصنفات الإدريسي ، وهي من المصنفات العربية الهامة التي اهتمت بإفريقيا ، والإدريسي جغرافي عربي (١١٠٠ - ١١٦٦) أقام في صقلية في الفترة من ١١٣٨ حتى وفاته ١١٦٦ في بلاط الملك روجر الثاني Roger II أحد ملوك النورمان ، وقد عرف كتابه القيم الذي وصفه بكتاب روجر أو الروجاي ، وأسماه: " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " ، وأهمية هذا الكتاب أنه يكاد يكون أول الكتب التي تحدثت عن مدن ساحل شرقي إفريقية وجزره ، كلوه ومالندي وممبسه وسوفالا وغيرها •• وكانت الفترة التي وضع فيها الإدريسي كتابه ، كانت فيها تجارة العرب مع شرقي إفريقيا مزدهرة ازدهاراً كبيراً •

وفي منتصف هذا القرن وضع سراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي مصنفاً بعنوان : " خريدة العجائب وفريدة العجائب " •

أما في القرن الثالث عشر فيطالعنا ياقوت الحموي بمعجمه المعروف "معجم البلدان " وفي أواخر القرن يبرز لدينا من المصنفين العرب ابن سعيد (ت ١٢٨٦هـ) وهو مؤلف جغرافي من غرناطة ، درس جغرافية بطليموس ، ووضع موسوعة هامة بجغرافية الأقاليم السبعة ، أورد في كتابه ما عرفه عن سواحل شرقي إفريقية وبعض مدنها كماليندي وممبسه ومقديشو – وأهم ما في كتاب ابن سعيد ما ذكره من أن ملاحاً عربياً يدعى ابن فاطمة دار حول إفريقيا من الغرب إلى الشرق ، كما وصف سواحل السنغال ، وهناك إشارات وردت في أبي الفداء وابن خلدون عما وصفه ابن سعيد لبلاد إفريقيا المختلفة .

وهناك تخطيط البلدان للقزويني ، أو عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات .

أما أبرز المصنفين العرب في القرن الرابع عشر الميلادي فنذكر منهم أبي الفداء ومصنفه المعروف " تقويم البلدان " ، وابن فضل العمري في موسوعته الضخمه " مسالك الابصار " ، وأبو عبد الله الدمشقي في كتابه " نخبة الدهر في عجائب البر والبحر " .

وفي السنوات الأولى من النصف الثاني من القرن الرابع عشر يسترعي إنتباهنا كتاب رحالة عربي يدعى ابن بطوطه سجل فيه رحلاته الكثيرة وأسماه " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " . (بدأ رحلاته عام ٧٧٥ هـ قاصداً الحج إلى مكة ، وله ثلاث رحلات واسعة النطاق جاب فيها أكثر ما عرف في زمانه من بلاد . شمال افريقيا وشرقيها ، ثم بلاد الشام والهند والصين ، وأجزاء كثيرة من آسيا . بينما طاف في رحلته

الثانية بلاد الأندلس . أما رحلته الثالثة فقدكانت في غرب إفريقيا ومجاهلها ، وقضى في رحلاته هذه ما يقرب من الثلاثين عاماً .

وحدثنا ابن بطوطه بإفاضة عن الإمارات الإسلامية الهامة في شرقي إفريقيا كما ذكر الكثير عن مملكة مالي الإسلامية في غربي إفريقية وأحوال المسلمين فيها وعادات أهلها وتقاليدهم وثقافتهم وإنتاجهم الزراعي ..

وفي نهاية القرن الرابع عشر نجد مؤلف : أبي المحاسن ابن تغري بردي " المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي " . وقد نقل عنه المقريزي ترجمة لأحد قضاة مدينة لامو في شرقي أفريقيا التقى به في مكة (١٣٨٣م) .

وفي السنوات الأخيرة من القرن الرابع عشر يطالعنا عبد الرحمن بن خلدون الذي أورد لنا حقائق هامة عن السودان الغربي وعلى معلومات دقيقة عن قبائل الطوارق والعرب والبربر في تاريخهم المبكر . وقد ذكر ابن خلدون مدينة تكدا أهم مدينة في سلطنة مالي الإسلامية ، باعتبارها مركزاً هاماً لخط سير القوافل التي كانت تعبرها سنويا في طريقها إلى القاهرة ، مما يوضح الاتصالات التجارية التي كانت قائمة بين مصر ومالي .

وفي أوائل القرن الخامس عشر وضع القلقشندي موسوعته الضخمة " صبح الأعشى في صناعة الإنشاء " ، وفي الجزء الخامس من تلك الموسوعة تحدث القلقشندي عن الممالك الإسلامية في إفريقيا ، وخص بالذكر مملكة مالي ، وأمدنا بصورة جلية لمجتمع مالي ، وأورد ثبتاً لحكامها قبل وبعد اعتناقهم للدين الإسلامي . كما أوضح عمق الصلات التي كانت تربط كثيراً من ممالك السودان الغربي ببلاد العالم الإسلامي.

ومنذ النصف الأول من القرن الخامس عشر تقل المصنفات العربية الهامة التي تعرضت لإفريقيا ، وكما وضح لنا أن هذه المصنفات قد أمدتنا بمعلومات عن بعض أجزاء القارة الإفريقية منذ القرن الثامن حتى القرن الخامس عشر الميلادي ، وهي الفترة التي يمكن أن نسميها بالعهد الإسلامي الذي كان المسلمون في خلاله على

اتصال دون غيرهم بتلك المناطق التي كان لهم فيها النفوذ والسيادة عليها أو السيطرة على تجارتها ٠

وفي الوقت الذي بدأت فيه المصنفات العربية في التلاشي ، تبدأ المصادر البرتغالية في الظهور ، وأهمها ما كتبه الرحالة البرتغاليون من رواد الاستكشافات البحرية من أمثال فاسكو داجاما Vasco de Gama وكاستنهيدا Castenheida وباربوسا Barbosa وغيرهم كثيرون ٠ ثم تتوالى بعد ذلك المصادر الأوربية عن إفريقيا ، خاصة سجلات الرواد الأوربيين الذين توغلوا في القارة الإفريقية خلال القرن التاسع عشر ٠

وقد أشاد كثيرون من رواد حركة الكشف والارتياد الأوربي بالدور الذي قام به العرب في التعرف على أجزاء من القارة الإفريقية وسبقهم في ذلك ، بل إن كثيراً من الرحالة الأوربيين قرأوا بإمعان ما كتبه العرب عن المناطق التي ارتادوها ، كما أن هناك من المستشرقين من اهتم بإبراز فضل المدونات العربية في تعريف أوربا بالقارة الإفريقية ٠ وقد أدرك الباحثون الأوربيون منذ وطد الاستعمار الأوربي أقدامه في إفريقيا أهمية التراث العربي الإفريقي ، فنقلوا الكثير من المخطوطات العربية إلى مكتبات بلادهم كالمتحف البريطاني بلندن British Museum Library ، والمكتبة الوطنية بباريس Bibliotheque Nationale وغيرها ، وقد دأبوا على ترجمتها إلى لغاتهم ٠

كما نشطت الجمعيات والمعاهد الدينية بالدراسات الإفريقية ، وأسهمت في نشر وطبع الكثير منها ٠ كما تهتم الجامعات الإفريقية في الوقت الحاضر بجمع التراث الإفريقي حيث تنهض جامعات غانه ونيجيريا وغينيا والسنغال بجمع وتصنيف ما في حوزتها من مخطوطات عربية ، وقد صدر في السنوات الأخيرة ثبت عام للمخطوطات العربية الموجودة في مكتبتي لاجوس ولوجارد في كادونا بنيجيريا ، كما نهضت جامعة إيبادان Ibadan بالتعريف بالمخطوطات المحلية التي في حوزتها ٠

وفي شرق إفريقيا توجد الكثير من المخطوطات العربية والسواحيلية ، ولا شك أننا أشد ما نكون احتياجاً لدراسة هذه المخطوطات واستخلاص المادة التاريخية لما قد تقدمه من بعض الجوانب الهامة .

وتجدر الإشارة بصدد ذلك إلى دور جرنفيل فريمان أحد المعنيين بتاريخ شرق إفريقيا قبل العصر البرتغالي . كذلك ينبغي إن ننوه بالجهود التي بذلها كل من ستايقند Stigand و برنس Prins وهتشنز Hichens في دراسة الروايات السواحيلية واحرازهم نجاحاً في العثور على بعض المدونات العربية والسواحيلية لتاريخ لامو و بات، واستخلصوا منها مادة ذات أهمية كبيرة في تطور الإمارات العربية والإسلامية في شرق إفريقيا .

وليس من شك في أن تاريخ العرب والإسلام في إفريقيا يعد من الصفحات المجيدة في التاريخ الإفريقي ، نرجو أن تتاح الظروف للدارسين العرب دراسة الرواد العرب الأوائل الذين أثبتوا بالدليل الواضح والقوي قيام ممالك إسلامية ، سادت ردحاً من الزمن في شرقي القارة ووسطها وغربيها ، وساهمت إسهاماً إيجابياً في نقل الحضارة والفكر الإسلامي إلى تلك المناطق ، وساعدت على نشر التراث الإسلامي ، هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبته في تاريخ المنطقة الاقتصادي والسياسي والاجتماعي .

ولذلك نرى أنه لابد من دراسة هذه المصنفات والمخطوطات العربية الهامة قبل أن تضيع ، وألا يقتصر الدارسون على المصادر الأوروبية وحدها ، فإن هذه المصادر كتبت بالنظرة الأوربية ، وكان صعباً عليها أن ترى حسنة من حسنات العرب .

أولا : ممالك غربي إفريقيا :

تاريخ ممالك غرب إفريقيا في العصور الوسطى جزء من التاريخ الوطني لغربي إفريقية عامة ، وتاريخ بلاد السودان الغربية بصفة خاصة ، والعصور الوسطى هي العصور الزاهرة في التاريخ الوطني لغربي إفريقية . فقد قام في هذا الجزء من القارة

عدد من المـالك الإسـلامية الإفريقيـة ، قـد عـاصر بعضهـا بعضـاً ، غـير أن الشـهرة والعظمة والسيادة العامة ، فضلاً عن القوة وسعة النفوذ ، تبودلت بين هذه المـالك ، واحدة بعد الأخرى .

وأول هذه المالك وأقدمها مملكة غانا ، وهذه قامت على أنقاضها مملكـة مـالي، كما قامت مالي على أنقاض مملكة أخرى هـي مملكـة الصوصـو . وعلـى أنقـاض مـالي نهضت مملكة صنفى . كمـا جـاءت بعـد ذلـك مملكـة كـانم والـبرنو، وظهـرت ممـالك التكارير والهوسا والفلاني . والأخيرة وهي دولة الشيخ عثمان بن فورى (دان فوريو) التي قامـت في نهـاية القرن الثامن عشر وبداية القـرن التاسـع عشـر ، وغطـت هـذه الدولة الإسلامية معظم إقليم بلاد غربي إفريقية ، وعاشت حتى مطلع القرن العشـرين حيث جاء المستعمرون الانجليز وقضوا عليها عام ١٩٠٣م .

قامت جميع هذه المالك فيما هو معروف بالسـودان الأوسـط والغربـي ، وهـي تشمل المنطقة الممتدة من بحيرة تشاد شرقاً إلى ساحل المحيط الأطلسي غرباً حتـى جـزر الرأس الأخضر .

ولقد أطلق العرب كلمة (السـودان) وأرادوا بهـا أصحـاب البشـرة السـوداء بصفة عامة ، تمييزاً لهم عن البيضان . ويشمل هذا المصطلـح مـا عـرف باسـم الحزام السوداني الممتد في قلب القارة الإفريقية من الشرق إلى الغرب . غيرأن هذا المصطلـح (كلمة السودان) كما عناه العرب ، يكاد ينصب علـى سـكان غربـي إفريقيـة ، لأن للعرب أوصافاً أخرى لأصحاب البشرة السـوداء مثـل النوبـة في وادي النيـل (مصـر والسودان) ، والزنج في ساحل شرقي إفريقية .

والمشهور أن الزنوج سكنوا هذه المنطقة منذ زمـن موغـل في القـدم . وتتـابعت موجات من الهجرات البشرية الأخرى إلى غربي إفريقية من البربر ثم العرب من شمـال إفريقية ، ومن سكان وادي النيل ، ومن الشرق عامة . وساعد دخول الجمل إفريقيـة

منذ القرن الأول الميلادي على الترحال والتنقل بين شمال إفريقيا وغربيها عبر الصحراء الكبرى •

ظل التاريخ القديم لغربي إفريقية غامضاً حتى ظهور الإسلام في تلك المنطقة فكشفت البحوث عن حضارات إفريقية قديمة ، وجدت في بعض أجزاء هذه المنطقة • وأثبتت هذه الكشوف الأثرية على أن حوض النيجر كان مركز نشاط ومدنية منذ أقدم العصور • وارتكزت شهرة هذه المدنيات وعمرانها على أنها وسيطه بين إفريقية الاستوائية والصحراء وشمال إفريقيا • وقامت مدن تجارية يتجمع فيها الذهب والرقيق من الجنوب ، والملح من الصحراء ، والخيل والنسيج والسيوف والسلع الأخرى من شمال إفريقيا وأوروبا • وأدى هذا كله إلى تجاوز شهرة المدن الإفريقية الزاهرة حدود القارة أمثال : كومبي صالح في غانه ، وجني وتنبكت وولاته ، وتكده وونقاره وغيرها في مالي وصنغى • وكلها أصبحت مدن

إسلامية ذات حضارة عظيمة ، فاقت هذه الحضارة حضارة معظم بلاد أوروبا المعاصرة ، إذ كانت حضارة هذه البلاد على صلة وثيقة بموطن أرقى الحضارات الإنسانية ، وهي الحضارة الإسلامية •

مراحل إنتشار الإسلام :

لقد شق الإسلام طريقه إلى بلاد السودان الأوسط والغربي منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ، وليس ذلك عن طريق الفتح الحربي والضغط والقهر ، ولكن عن طريق التجارة والمصاهرة والاندماج والكتب والمدارس والمساجد ، لأنه يصعب إخضاع وقيادة القبائل الكبيرة عن طريق الحرب ، بدليل أن الإسلام في تلك البلاد ظفر بأقوى القبائل وأشجعها وأكثرها عدداً ، وليس بالمستضعفة منها ، ثم نما وترعرع في المدن الكبيرة التي أقامها المسلمون أو استقروا فيها ، فنمت وكبرت

واشتهرت أمثال (المدن المشار إليها قبل قليل) كومبي صالح ومالي وجني وتنبكت وتكده وونقاره ، وأدى كل ذلك إلى قيام الإمبراطوريات التاريخية الكبرى .

وما يؤكد قدم الإسلام في بلاد غربي إفريقية ، ما ذكره البكري وأحمد بابا مؤرخ صنفى ، من أنه حوالي عام ٦٠هـ / ٦٧٩م ، كان يوجد بالحي الإسلامي بمدينة غانا أو كومبى صالح عاصمة مملكة غانا ، إثنا عشر مسجداً ، وقد زار البكري غانا حوالي عام ١٠٦٦م وذلك قبل سقوطها على أيدي المرابطين بقليل ، وأدرك فيها هذا العدد من المساجد، بجانب عدد من المدارس القرآنية والإسلامية بالقسم الإسلامي ، كذلك أورد البكري أن بني أمية أرسلوا جيشاً في صدر الإسلام لفتح بلاد غربي إفريقية ، وأن ذرية هذا الجيش استقرت في بلاد غانه ، وأن حملة إسلامية كانت موجهة لمطاردة البربر ، وصلت في حركتها إلى بلاد السنغال حوالي عام ١٠٢هـ /٧٢٠م ، وعادت بكميات كبيرة من الذهب . وذكر القلقشندي ، أن أهل غانه أسلموا أول الفتح ، وقد أسلم أحد ملوك غانه في القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) وهو تلوتان بن تكلان (٨٣٧م) ، ويقال أنه شن حرباً دينية ضد جيرانه الوثنيين . ويقال كذلك أن أربعة من جيش عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧٢٠م) هاجروا إلى كانم ، وان بعض بني أمية توجهوا إلى كانم عند محنتهم ببني العباس .

ولا شك أن لهذه التحركات الإسلامية تأثيراً جزئياً في التعريف بالإسلام في تلك البلاد منذ زمن مبكر .

ثم إن أودغست السوننكية (أودغست بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الدال والغين ، وسكون السين والتاء ، وهي مدينة قديمة لا وجود لها اليوم ، وموقعها موريتانيا الحديثة قرب حدودها الجنوبية) نسبة إلى قبائل السوننك الذين كونوا إمبراطورية إسلامية واسعة على حافة الصحراء ، تستغرق مساحتها فيما يقوله

البكري " مسيرة شهرين في مثلها "، قامت بدور كبير في الدعـوة الإسـلامية ٠ وهـي واحة كبيرة في ملتقى طرق بين شمال وغرب إفريقية (مشهورة بالملح) ٠

نشط سادة هذه المملكة مـن قبـائل لمتونـة البربريـة في نشـر الإسـلام ، جنباً إلى جنب مع تنشيط حركة التجارة بين بلاد غرب إفريقية ، وكانت أهـم السـلع المطلوبـة في بلاد غربي إفريقية ، الملح ، يقول ابن حوقـل : وحاجـة ملـوك السـودان إلى ملـوك أودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسـلام ، فانـه لا قـوام لهـم إلا به ٠

ومعنى هذا أن مدينة أودغست الإسلامية ، ساهمت بنصيب وافر قل أو كثر في نشر الإسلام والتعريف به في بلاد السودان قبل عهد المرابطين بنحو قرن ٠

وفي مطلع القرن الهامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) اسلم الملك الخـامس في سلسلة الملوك من أسـرة الأزواء الحاكمـة في صنفـى ، وهـو زاكـاس ، حـوالي عـام ٤٠٠هـ /١٠٠٩م ، ونما في جاو عاصمة صنفى ، حي إسلامي مثل الحي الذي قام في مدينة كومبى صالح عاصمة غانا ٠

كذلك أسلم ملك التكرور وارجابي بن رابيس (ت ٤٣٢ / ١٠٤٠م) وكان إسلامه عاملاً أساسيا في نشر الدعوة الإسلامية فيما حوله ٠ وهو صاحب الفضل في إسلام أهل (سلى) من أعمال تكرور ٠ (غامبيا ، السنغال ، وجابون) ٠

إذن كـانت هـذه الحـوادث الدالـة علـى قـدم الإسـلام بتلـك البـلاد ، نتيجـة الاتصالات المستمرة والمتنوعة خلال الفترة السابقة على منتصف القرن الحادي عشر ، وهي في الواقع المرحلة الأولى من مراحل انتشار الإسلام في غربي إفريقية ٠

وجاءت المرحلة الثانية على أيدي المرابطين من صنهاجة أكبر قبائل البربر ، ولصنهاجة دولتان بالمغرب هما : دولة بني زيرى ابن مناد الصنهاجي بافريقية ، وهذه ورثوها عن الفاطميين ، ودولة الملثمين بالمغرب الأوسط والأقصى ، وهي التي تعنينا .

قام المرابطون أو الملثمون بنشر الإسلام بين البربر أولاً ، والقطب الروحي لحركتهم هو عبد الله بن ياسين الجزولي المتوفي عام ٤٥١هـ / ١٠٥٩م ، ثم اتجهوا جنوباً إلى بلاد السودان حيث كانت مملكة غانا لا يزال الملوك المعاصرون بها على الوثنية ، رغم انتشار الإسلام فيها ، ورغم أن أحد ملوكها في القرن التاسع الميلادي كان قد اعتنق الإسلام .

فتح المرابطون مدينة أودغست عام ١٠٥٥م ، وكانت خاضعة لغانة يومئذ ، ثم مدينة كوميى صالح عاصمة غانا عام ١٠٧٦م . ومنذ ذلك الوقت صارت مملكة غانا دولة إسلامية ، وانفصلت بعد ذلك عن المرابطين في الشمال بعد ضعف نفوذهم على أثر مقتل أميرهم أبي بكر عمر اللمتوني عام ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م ، واتصلت بالخلافة العباسية مباشرة (ولبس رعاياها العمامة). ولقد اشتهرت قبائل السوننك - أكبر قبائل مملكة غانا - اشتهرت بحماسها ونشاطها في الدعوة الإسلامية فيما بعد . ودور المرابطين هام في نشر الإسلام بغربي إفريقية ، لنشاطهم وحماسهم ، إذ كانوا يرسلون الدعاة والعلماء بين القبائل الوثنية ، وبفضل حركتهم ازداد انتشار الإسلام ، كما ازداد الاتصال التجاري والثقافي بالبلاد الإسلامية عامة ، حتى الأندلس بأوروبا ، والمرابطون هم الذين أنشأوا مدينة تنبكت وكانت من قبل قرية صغيرة .

أما المرحلة الثالثة من مراحل انتشار الإسلام في غربي إفريقية ، فكانت على أيدي ملوك مملكة مالي الإسلامية ، فقد كان الماندنجو (أكبر قبائل مالي) ، أكثر تحمساً للإسلام والدعوة له . ومن أشهر ملوك مالي الذين بذلوا جهوداً جبارة في نشر الإسلام والدعوة له الملك منسى موسى (١٣٠٧ -١٣٣٢) الذي يعتبر من أعظم ملوك هذه المملكة التي بلغت في عهده أوج عزها ومجدها . وقد استطاع قواده أن

يفتحوا ولاية تنبكت ون يضموا جوا في أواسط النيجر . وكان لزيارة منسى موسى للأراضي المقدسة دوي كبير في مصر وبلاد العرب ، فقد قيل أن حاشيته ضمت خمسمائة عبد ، وذكر أنه وزع كميات كبيرة من الذهب في القاهرة وهو في طريقه للحج ، حتى أنها أثرت على سعر العملة فانخفض ، ويذكر عنه أيضا أنه كان يبني مسجداً في كل مدينة تدركه فيها صلاة الجمعة . وذكر ابن بطوطة عند زيارته لمالي عام ١٣٥٣ أن أهل مالي يجعلون لأولادهم القيود إذا قصر أحدهم في حفظ القرآن ، ولا تفك قيوده إلا بعد أن يحفظ القرآن .

ثم جاء الدور الرابع ، أو المرحلة الرابعة من مراحل انتشار الإسلام على أيدي ملوك مملكة صنفى (Songhay) الإسلامية ، وهي التي ورثت مالي في تلك البقاع ، فقد عملت صنفى منذ أن أسلم أول ملوكها زاكاس عام ١٠٠٩ م على نشر الإسلام بين الوثنيين ، كما كان الشأن بالنسبة لمالي ، وفي زمن ملكها سنى على (ت ١٤٩٢) ازداد انتشار الإسلام حتى وصل إلى فروع النيجر الشرقية . كما أن أسرة الأساكي التي تبدأ بالأسكيا الكبير (ت ١٥٢٩) قامت بأعظم دور في نشر الاسلام . وبلغت صنفى زمن الأسكيا محمد أو أسكيا الكبير أقصى اتساعها وعظمتها ، حتى ظفر بلقب " الامام " ولقب " أمير المؤمنين " .

يضم إلى هذه الأدوار ما قامت به إمبراطورية البرنو ، والمشهور أن الإسلام وصل إلى كانم من مصر مباشرة ، ومن أشهر دعاة الإسلام في كانم محمد بن ماني في القرن الحادي عشر، واشتهر هايات برنو بحماسهم للدعوة الإسلامية بين القبائل الوثنية .وذكرأن أول ملوك كانم من المسلمين تولى الحكم حوالي نهاية القرن الحادي عشر أو النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي . وعند نهاية القرن الحادي عشر بدأ انتشار الإسلام في مناطق السودان الأوسط بعد أن اعتنقته عائلة كانم .

أدى دخول الإسلام في بلاد غربي إفريقية - كما سبق القول - في فترة العصور الوسطى ، أدى إلى ازدهار الممالك الإفريقية ، لأن عنصر الكتابة والتدوين

وظهور الدواوين في هذه الممالك ، أمكن من خلق جهاز إداري ممتاز على غرار مثيلاته في البلاد الإسلامية • والروح والتعاليم الإسلامية رفعت المستويات الإنسانية والأخلاقية • وارتبطت هذه المنطقة ثقافياً بمراكز الثقافة والحضارة في بلاد العالم الإسلامي عامة ، وبلاد شمال إفريقيا خاصة •

أما آخر مراحل انتشار الإسلام في بلاد غربي إفريقية ، فقد كانت في العصر الحديث عند نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر في أرض الهوسا (نيجيريا) على يد قبائل الفلاني التي اشتد حماسها لنشر الإسلام زمن ازدهار دولتهم الخلافة الصكتية في القرن التاسع عشر والتي أسسها الشيخ عثمان دان فوديو عام ١٨٠٤ واستمرت هذه الخلافة في الازدهار حتى قضى عليها المستعمرون الانجليز في مطلع القرن العشرين عام ١٩٠٣م•

ثانيا : شرق إفريقيا :

بلاد اليمن وعمان وحضر موت والبحرين والاحساء هي المناطق التي بدأت تتدفق منها جماعات العرب منذ فجر التاريخ إلى الساحل الإفريقي الشرقي ، وهي حافة المنطقة التي كان جغرافيو العرب يطلقون عليها اسم " بر الزنج " وتبدأ من مصوع حتى سوفالا جنوبي نهر الزمبيزي ، وقد تمكن عرب جنوبي الجزيرة العربية وخاصة عرب عمان من تأسيس المراكز التجارية في سهولة ويسر ، بعد أن بسطوا سيطرتهم وحلوا محل الفينيقيين والإفريقيين القدماء في الاستقرار •

وفي العصر الإسلامي الأول (صدر الإسلام) وصلت هجرات عربية إسلامية إلى ساحل شرقي إفريقية لأسباب دينية وسياسية ، فضلاً عن العامل الاقتصادي الذي كان بارزاً في معظم الهجرات ، فهناك هجرة العرب المسلمين إلى الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم بعد أن نصح الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة] ونظراً لمعرفة العرب بأرض الحبشة خلال الاتصالات التجارية القديمة ، ومن

الواضح أن شرقي إفريقية عرف الإسلام في حياة الرسول صلى ا لله عليه وسلم ، وتذكر الروايات المختلفة أن جعفر بن أبي طالب حينما خرج من مكة إلى الحبشة مهاجراً أسس في طريقه مراكز للدعوة في ارتيريا والصومال بمساعدة الجاليات العربية المستوطنة هناك ، وكان ذلك قبل هجرة الرسول صلى ا لله عليه وسلم من مكة إلى المدينة بنحو عشر سنوات ، فيذكر الصوماليون تبعاً لذلك أنهم أسبق في الإسلام من المدينة المنورة ، ومهما يكن من أمر فإن الصوماليين صاروا فيما بعد من أكبر المتحمسين لنشر الدعوة الإسلامية في تلك الجهات ، وأصبحت البلاد الإسلامية خالصة .

توافدت بعد ذلك إلى سواحل شرقي إفريقية مجموعات ضخمة من دعاة الإسلام من عرب وفرس وغيرهم لإنشاء مراكز إسلامية ثابتة .

فذكرت بعض الروايات أن هنالك هجرات عربية حدثت عقب مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وفي أثناء الاضطرابات التي سادت أثناء خلافة علي بن أبي طالب .

وفي عصر الدولة الأموية هاجرت جماعات عربية في أيام عبد الملك بن مروان (أثناء فترة الاضطرابات أيضاً) ، من أهمها هجرة سليمان وسعيد إبني عباد الجلندي من قبيلة الأزد في عمان (سياسة عبد الملك القبلية) اللذين تمكنا من الفرار إلى ساحل شرقي إفريقية حيث أسسا لهما دولة إسلامية في منطقة أرخبيل لامو .

كذلك هاجر الزيود إلى ساحل شرقي إفريقية في خلافة هشام بن عبد الملك وذلك عقب مقتل زعيمهم زيد بن علي عام ١٢٢هـ / ٧٤٠م ، واستقرت هذه الجماعة بمنطقة بنادر على الساحل الصومالي بالقرب من مقديشو .

وفي خلال العصر العباسي الثاني هاجرت إلى ساحل شرقي إفريقية مجموعات عربية ضخمة من الاحساء عاصمة دولة القرامطة آنذاك الذين نشروا الرعب في أنحاء

الجزيرة العربية والعراق وسوريا ، وقد هاجر الإخوة السبعة وجماعتهم في حوالي عام ٣٠١هـ / ٩١٣م وذلك فراراً من أعمال القرامطة الوحشية ضد المسلمين في كل مكان . وفي فترة وجيزة استولى الإخوة السبعة على كل ساحل بنادر ، وامتد نفوذهم حتى جنوبي ممبسه ، وربما وصلوا إلى جزيرة مدغشقر . ولم تمض فترة طويلة على وجودهم حتى أصبح الساحل شافعياً على المذهب السني ، بعد أن اصطدم الأخوة السبعة بالزيود الشيعة ، الذين اضطروا إلى الانسحاب إلى الداخل ، ولا يزال المذهب الشافعي هو السائد في بلاد شرقي إفريقية إلى اليوم .

وقد تمكن الإخوة السبعة من تكوين دولة إسلامية قوية جعلوا مقديشو عاصمة لها ، استمرت هذه الدولة حتى جاء الشيرازيون الفرس وقضوا عليها ، وأسسوا سلطنة الزنج السلامية وجعلوا كلوه عاصمة لها (تنزانيا) .

كانت سلطنة الزنج الإسلامية التي أسسها علي بن حسن الشيرازي عام ٩٧٥م أشهر الممالك الإسلامية التي قامت في ساحل شرقي أفريقية في العصور الوسطى ، قدم ملوكها خدمات جليلة للإسلام ، الذي انتشر بسرعة مذهلة بين قبائل البانتو والبشمن والأقزام وغيرهم . واستمرت هذه الدولة في الازدهار قرابة الأربعة قرون حين جاء البرتغاليون بقيادة فاسكو دي جاما ، بعد أن اكتشفوا راس الرجاء الصالح ، ثم قضوا على سلطنة الزنج الإسلامية ، التي بذل ملوكها جهوداً كبيرة في نشر الإسلام بين القبائل الأفريقية الوثنية في الساحل والجزر المحيطة مثل جزر مافيا وبمبا وزنجبار ، كما كان لهم الفضل في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية بين بعض قبائل الداخل الأفريقي مثل قبيلة شانقا وغيرها .

وفي منطقة القرن الأفريقي (بالحبشة) قامت سبع ممالك إسلامية (أوفات ، دوارو ، ارابيني ، هدية ، شرخا ، بالي ودارة ، ، واشتهرت هذه الممالك باسم دولة الطراز الإسلامي، لأنها على جانب البحر كالطراز له (كما ذكر المقريزي) ، وتسمى أيضا بممالك القرن الافريقي . أدت هذه الممالك دوراً كبيراً في نشر الإسلام

بين الارتيريين والأحباش والدناقل، وارتبطت هذه الممالك ارتباطاً قوياً بالعالم الإسلامي الخارجي ، وتوطدت صلتها به عن طريق التجارة والحج وانتقال طلاب العلم للدراسة في المدينة المنورة وبغداد ودمشق والقاهرة ، وصار لرواد الثقافة الإسلامية أروقة خاصة بهذه المراكز • وأقوى هذه الإمارات مملكةأوفات الإسلامية التي تزعمت حركة الجهاد الإسلامي ضد الحبشة المسيحية حتى ظهور البرتغاليين والعثمانيين في البحار العربية حيث انتقل مسرح الحروب الصليبية إلى شرقي أفريقية •(إذ كر عرب عمان بقيادة السيد السعيد (١٨٠٦ - ١٨٥٦) الذي قضى على البرتغاليين وأعمالهم الوحشية وأتاح للإسلام فرصة الانتشار دون عقبات (حتى الاستعمار الحديث)•

وفيما يتعلق بوسائل انتشار الإسلام في إفريقيا ، فقد كان الطابع الأساسي لنشر الدعوة الإسلامية هو السلم والإقناع ، مما جعل الأفريقيين يقبلون على اعتناق الإسلام اقبالاً شديداً ، فلم يشهر حملة لواء الدعوة الإسلامية السيف إلا في الحالات الدفاعية ، ونشط الدعاة المسلمون كما نشط التجار في نشر الإسلام ، والتفوا حول الملوك ، وحببوا الدين إليهم ، وشرحوا لهم أحكامه ، فمثلاً كان في حاشية عدد من ملوك غانا ومالي عدد كبير من العلماء ، كذلك كان الحال في سلطنة كلوة ، وخاصة في عهد السلطان أبي المواهب • (ابن بطوطة) •

ومما ساعد على قبول الإسلام ذلك الاندماج وتلك المصاهرة التي تمت بين التجار والدعاة المسلمين من العرب والبربر من جهة ، وبين الأفريقيين من جهة أخرى، [وبين العرب والنوبة في السودان] وبين العرب والفرس من جهة ، والأفارقة كالبانتو في شرقي إفريقية من جهة أخرى • وبهذه الطريقة الهادئة دخل الزعماء ورؤساء القبائل والعشائر الأفريقية في الإسلام ، وتحمسوا بدورهم لنشر الدعوة له بين الجيران الوثنيين •

وفوق كل ذلك احترم الدعاة المسلمون العادات والتقاليد ولم يحتقروها ، وهـذا أحد أسباب نجاحهم ، ووضح أثر الإسـلام عنـد مختلـف القبـائل مـن ناحيـة الإصـلاح والتهذيب والتقريب بين القبائل المتنافرة ، كذلك كان لعلماء الديـن الإسـلامي مكانـة سامية في نظر شعوب تلك البلاد ، ووضع الإسلام الأسس والمبادئ العامة الـتي تمجـد المثـل العليـا والآداب الرفيعـة ، ووضـع أسـاس الحريـة والإخـاء والمسـاواة والتسـامح الديني .

ومما هو جدير بالملاحظة أن نشاط الدعاة والتجار والمعلمين كان يقوم في الغالب على الإرشاد ، ويعتمد على انتشار التعليم الإسلامي ، واستخدام كل وسائل الترغيب في نشر الدعوة إلى الإسلام رغبة في نشر الدين ابتغـاء مرضـاة الله وحسـن الثـواب في الآخرة وهداية الناس ، وذلك بتأسيس المساجد وفتـح المـدارس والمصـاهرة مـع أهـالي البلاد التي يتردد عليها المسـلمون أو يسـتوطنوها ، و بشـراء العبيـد لتعليمهـم مبـادئ الدين الحنيف .

اللغة العربيـــــة

وأما اللغة العربية ، فالواضح أن الدعوة الإسلامية في أفريقيا ، كما في غيرها من البلاد الإسلامية قد ارتبطت باللغة العربية لغة القرآن الكريم والعلوم الإسـلامية وسـار الإسلام واللغة العربية جنباً إلى جنب مع الجهـاد في سـبيل نشـر الديـن وتوسـيع رقعـة البلاد الإسلامية ، فضلاً عن تنشيط الحركة التجارية ، واحترم المسـلم الأفريقـي اللغـة العربية احتراماً كبيراً ، لأنهـا لغـة القـرآن الكريـم ، فبهـا يـؤدي صلاتـه ، وبهـا يتلـو القرآن، وبواسطتها يلم بعلوم الدين .

وساعد على انتشار اللغـة العربيـة والتمسـك بهـا ، فضـلاً عـن الجـانب الديـني المرتبط بها، أن الكثير من الشعوب الأفريقية في السودان الأوسط والغربي قـد ادعـت الأصول الشرقية ، لقد ادعى ملوك مالي والتكرور وصنفى والبرنو والهوسا والفولانيين

والفونج وغيرهم ، أنهم انحدروا أصلا من العرب ، وأن أسلافهم الأوائل جاءوا من الشرق ٠

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في أفريقية الإسلامية هجرة القبائل إلي تلك البلاد واستقرارها فيها ، وهذه الهجرات قديمة وسابقة على دخول الإسلام ، وازدادت بانتشار الإسلام ٠ثم إن مصاهرة العرب والبربر والفرس مع القبائل الأفريقية ساعد على انتشار اللغة العربية بجانب الإسلام ، مثل قبائل شوا في غربي أفريقية والسواحيلي في شرقي إفريقية ، وكلها ناتجة عن امتزاج ومصاهرة العرب بالأفارقة ٠

وقد تركت اللغة العربية آثارها في عدد من اللغات المحلية لدرجة كبيرة ، وظهر هذا الأثر واضحاً في لغتي الهوسا وصنفى في غربي إفريقية ، واللغة السواحيلية في شرقي أفريقية(ويوجد في هذه اللغات الكثير من الكلمات ذات الأصول العربية ، بل إن الحروف العربية استخدمت في كتابة لغة الهوسا منذ زمن مبكر ٠

أما عن الأحوال العامة في ممالك أفريقيا الإسلامية ، فهناك تشابه كبير في نظم الحكم والأحوال الاجتماعية والاقتصادية ٠ ووجدت في المدن والإمارات بعض الألقاب والوظائف مثل القاضي والمحتسب والكاتب ، كما وجدت وظائف ولاية النظر في المظالم وولاية الشرطة وغيرها من المظاهر الإسلامية ، وبجانب الملوك والسلاطين هناك مجموعة من الوزراء والأمراء ويذكر اسم السلطان أو الملك في خطبة الجمعة ، والقاضي أيضاً شخصية مهمة في الممالك الإسلامية في أفريقيا ، ويلي السلطان مباشرة في المكانة الرفيعة ٠ ويشتهر القضاة في تلك البلاد بالدقة والتبحر في العلم وفهم القوانين التي يطبقونها ، ولديهم مكتبات حافلة بالمؤلفات الفقهية ، وذكرابن بطوطة عند زيارته لمقديشو أن القاضي يتمتع بمرتبة سامية ، وكان القضاة في ساحل شرقي أفريقية يعملون بمقتضى نصوص المذهب الشافعي وتعاليمه ، وكان

المذهب السائد في دولة الطراز الإسلامي بالحبشة هو المذهب الحنفي ، باستثناء مملكة أوفات ، فإن أغلبية السكان على الشافعية مع وجود بعض الأحناف .

أما في بعض الممالك الإفريقية الغربية ، فكان القضاة يطبقون الشريعة الإسلامية على مذهب الأمام مالك . ففي مالي جلب الملوك الفقهاء والقضاة من مذهب الإمام مالك ، ويوجد في كانم وبرنو بعض الشافعية مما يؤكد النبع المصري في إسلام كانم .

واهتم الملوك أيضاً بتنظيم الإدارة المالية على آن تطابق الشرع الإسلامي، ومصادرها متعددة وهي الزكاة والجزية والغنيمة والفئ والخراج .

وحظيت علوم الدين بنصيب وافر من العناية والخدمة في ممالك أفريقية المختلفة، وقد عني أهلها بكتاب ا لله حفظاً وتجويداً وتفسيراً . فقد كان حظهم منها كبيراً ، وكان نصيب اللغة العربية جزيلاً وافراً . وازدهرت العربية وعلومها على أيديهم ، وتركت أثرها القوي في كنو وتنبكتو وصكت ، ومقديشو وممبسه وكلوه ولامو وبراوة . وصرت براوة بالقرب من مقديشو كعبة المعرفة ، ويأتي إليها الطلاب من الأماكن النائية لشهرة علمائها وتفوقهم في الدين .

لقد نفث الإسلام على الجماعات الإسلامية الأفريقية قوة روحية جديدة ، كما أسبغت العقيدة الإسلامية على معتنقيها احتراماً وتقديراً بين مواطنيهم . أما المستعمر الأوربي فقد جاء بالمسيحية إلى الساحل الإفريقي باعتباره عبداً ، أو على الأقل بوصفه خاضعاً محكوماً . ولقد دهمهم المستعمرون وأجبروهم على اعتناق المسيحية بمختلف الوسائل والإغراء ، واستولوا على بلادهم بالعنف والقهر والتفرقة ، وانزلوهم منزلة دون منازل الانسانية . لذلك بات أعظم المثقفين من الزنوج يتطلعون إلى اليوم الذي يزول فيه أثر لندن وباريس ولشبونة ، وقد زال حديثاً إلا القليل . وبينما شعرالافريقي المسلم أن الاسلام لم يقطعه عن ماضيه أو عن مجتمعه ، نجد الاستعمار الأوربي ، قد جعل الأفريقي المسيحي حائراً ضائعاً، فلا هو قريب من

مجتمعه، ولا هو مرضي عنه من الأوربي المستعمر لكـي ينتسـب إلى الحضـارة الأوربيـة المسيحية، وذلك على عكس الإسلام الذي اعترف منـذ أول وهلـة بالمسـاواة التامـة، وكفل للمسلم جميع حقوقه ، دون نظر إلى لون أو جنس •

لقد عمل الإسلام على تطوير بلاد الزنوج ولا يزال يعمـل ، وكما ذكر أحد الرحالة الأوربيين ، فإن الإسلام هو الديانة السامية الوحيدة التي أدت إلى تقدم وتطـور قارة إفريقية الواسعة •

لقد ظهرت المسيحية قبل الإسلام بنحو خمسة قرون ، ومع ذلـك كـان الإسـلام اسبق في الوصـول إلى بـلاد غربـي إفريقيـة ووسـطها وشـرقيها • ورغـم محـاولات الاستعمار الأوربي الحديث ، إلا أنـه لم يستطع أن يحول قبيلـة بأكملهـا إلى المسيحية بوسائله المختلفة • فمن غامبيا إلى جابون مثلاً ، ظل الكثير من الوطنيين على عقائدهم القديمة ووسائل حياتهم البدائية رغم اتصالهم بالمسيحية الغربية نحو ثلاثة قرون • بينمـا نجد على طول الساحل من السنغال إلى لاغوس ، لا توجد مدينة هامة إلا وبها مسـجد على الأقل ، فضلاً عن عدد كبير من المسـلمين يعيـش جنبـاً إلى جنـب مـع المسـيحيين والمبشرين • ومن العجيب أن نسبة المسلمين في المنطقة الساحلية لغرب إفريقية لم تـزد إلا في عهد الاستعمار ، وخلال نشاط البعثات التبشيرية الغربية •

أما أثر العقيدة الإسـلامية في مسـلمي بـلاد السـودان الأوسـط والغربـي ، فهـو عميق حتى في المظهر • فقد اهتم المسلمون بحفظ القرآن ، وقد شـهد ابـن بطوطـة في رحلته لبعض بلاد مالي في القرن الرابع عشر الأطفال المقيدين من أجـل حفـظ القـرآن حين دخل يوم عيـد الفطـر علـى قـاضي مـالي ، فوجـد أولاده في القيـود ، ولمـا طلـب تسريحهم ، قال القاضي : لا أفعل حتى يحفظوا القرآن •

ويمكن القول أن الإسلام وجد تربة خصبة في إفريقيا ، ويزداد انتشاره في العصر الحاضر ، ولعل من اكبر العوامل زوال الاستعمار ، ونشاط الصلات الـتي تقـوى يومـاً

بعد يوم بين تلك البلاد وبلاد العالم الإسلامي .

أما عن أثر الإسلام الاجتماعي والاقتصادي فالثابت أنه كان لتحول الإفريقيين إلى الإسلام أثر بعيد في حياتهم الاجتماعية ، لأن الإسلام لا يقيم وزنا للون أو الجنس ، وانما يقوم على مجتمع ديني يسوده الإخاء والمساواة والحضارة الإسلامية التي تفوق حضارة الزنوج، وتكفل لهم التخلي عن كثير من عاداتهم وطباعهم البربرية ، وتضمن لهم الترقي في مضمار الحضارة عقلياً وخلقياً ومادياً ، والإسلام يقوي الشعور بالوحدة ويؤلف بين قلوب أفراد المجتمع، ولا يقيم وزناً لحواجز اللون أو الجنس بل يمنح الجميع أخوة إسلامية مشتركة . فالإسلام يقوي من الشعور بوجود الله، وبوحدانيته ، وبقوته ، وبتبعية الفرد لهذا الإله ، واحكام صلته به عن طريق صلوات يقوم بها كل يوم .

ومن مظاهر الإسلام أنه يحث على الصبر وضبط النفس والشعور بالعزة والكرامة . كما أن تأثير الشريعة الإسلامية في الزنوج المسلمين أشد وضوحاً في العقيدة منه في الأحوال الشخصية والصلات الأسرية ، فمثلاً عندما يدخل بعض أفراد القبيلة الدين الإسلامي – كما حدث في كينيا مثلاً – فانهم يعتزلون حياة القبيلة، ولا يشاركون في طقوسها ، بل يتركون أرضها ويهاجرون إلى السواحل حيث يعيشون مع سائر المسلمين ، ويتزوجون أمام القاضي ، ويطبقون أحكام الشريعة الإسلامية في المواريث ، وعندما يعتنق الشعب بأسره الدين الإسلامي – كما فعل الصوماليون – تحل الشريعة الإسلامية محل التقاليد القديمة إلى حد بعيد، وتصبح هذه الشريعة عامل توحيد بين التقاليد المتعددة للقبائل الصومالية .

لقد أدخل الإسلام فن القراءة والكتابة ، وحرم الخمر وأكل لحوم البشر ، والأخذ بالثأر ، وغير ذلك من العادات الوحشية ، وأتاح للزنجي الأفريقي الفرصة لأن يصبح مواطناً حراً في عالم حر .

وكان الإسلام ذا أثر كبير في الحياة الثقافية والتربوية في أفريقية ، والمعروف أن أسس الثقافة هي طريقة التعبير أي اللغة ، واللغة العربية اختلطت باللهجات الأفريقية مثل الهوسا ولغة البانتو والفلاني وغيرها عشرات القرون ٠وكما سبق القول فإن المسلم الأفريقي قد احترم اللغة العربية احتراماً يقرب من التقديس ، وحتى إذا صعب على الأفريقي المسلم فهم اللغة العربية وألفاظها ومدلولاتها فهماً عميقاً تاماً ، فإن مجرد لفظها يحمل جرساً فيه جمال ورقة وفخامة تجذبه إليها ٠ ومثل هذه الخصائص لم يجدها في اللغات الأوربية التي عرفها فيما بعد ٠

وقد سبق القول أيضاً أن الشعوب الأفريقية قد ادعت الأصول العربية ، وإذا كان هذا الادعاء لم يظهر أو لم يعرف إلا بعد انتشار الإسلام واللغة العربية في تلك البلاد ، فهذا دليل على حرص هذه الشعوب على التمسك بكل ما هو عربي ، لأن الإسلام جاء أصلا من الجزيرة العربية وعلى يد العرب ، كما يدل في نفس الوقت على مدى الترحيب والرضى والقبول الذي ظفر به الإسلام ولغته ٠

لقد ذكر ملوك مالي والتكرور أنهم ينتسبون إلى النسب العلوي ، وادعى مايات كانم وبرنو النسب إلى سيف بن ذي يزن الحميري ، كما ادعى سكان برنو في تشاد (وقبائل الشوا) الأصول اليمنية وخاصة قبائل الكانوري ٠ والمشهور أن قبائل الكافوري خليط من العرب والبربر، ويقال أن مملكة كانم الأولى قد تأسست على أيدي العرب ٠ وكذلك الشأن بالنسبة لمملكة وداي الإسلامية ٠ كذلك ادعى البولالا وهم فرع من الأسرة الحاكمة في برنو، أن لهم أصولا عربية من اليمن ٠ كما قال الهوسا أن أصولهم جاءت من مكة ٠ وذكر الفونج مؤسسو السلطنة الزرقاء في سنار أنهم أبناء مروان محمد آخر خلفاء الدولة الأموية ٠ كما ذكر الشيخ عثمان دان فوديو مؤسس الخلافة الصكتية في نيجيريا في القرن ١٩ وقبائل الفولاني أنهم أحفاد عقبة بن نافع ٠ وذكر سلاطين أوفات الإسلامية في القرن الإفريقي أنهم من سلالة عقيل بن أبي طالب ٠

ومهما يكن في هذه الادعاءات من بعض الأساطير ، فإن آثارها المحققة هي سرعة انتشار اللغة العربية ، فضلاً عن الاعتزاز بها ، والفخر بالانتساب إليها وإلى مصادرها .

وهكذا وجدت اللغة العربية تربة خصبة في إفريقيا في خلال العصور الوسطى، بل ظلت كذلك حتى عصر الاستعمار الأوربي ، فعندما وصل الرحالة الإنجليزي فرانسيس مور عام ١٧٣١ إلى غامبيا البريطانية ، وجد معظم أهلها يتكلم اللغة العربية – كما وجد القرآن شريعتهم . ومما أثار دهشته أنه وجد إلمامهم باللغة العربية يفوق إلمام أهل أوروبا الوسيطة باللغة اللاتينية . وجد كذلك أن الكثير يتكلم اللغة العربية بالإضافة إلى لغته الأصلية المحلية، كذلك وجد مانجو بارك **Mango Bark** في أوائل القرن التاسع عشر ، عددا كبيراً من المدارس التي تعلم القرآن الكريم واللغة العربية . ففي سيراليون وهي تسمية برتغالية ، وجد الإنجليز جماعات من القبائل الأفريقية تتقن اللغة العربية ، وتعنى بإنشاء المدارس الخاصة لتعليم القرآن ولغته .

ورغم الجهود التي بذلها الاستعمار الأوربي للقضاء على اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في أفريقية ، وتحويل أنظار الإفريقيين عن مكة والمدينة وتونس والقاهرة وفاس ، فإنه فشل فشلاً ذريعاً ، إذ كان المسلمون والمستعربون من الأفريقيين يصرون على إنشاء مدارسهم ومؤسساتهم الثقافية في المناطق الوثنية النائية ، كما في ساحل العاج ونيجيريا ، من أجل هذا لم يخطئ توماس ارنولد حين قال منصفاً: " وبلغت العربية وهي لغة القرآن درجة عظيمة من الزيوع والانتشار ، حتى غدت لغة تخاطب بين قبائل نصف القارة السوداء ." ثم يضيف بقوله :" وهذا تقدم كبير في الحضارة الإفريقية " .

ولايزال إلى اليوم آلاف الكلمات العربية المستخدمة في إفريقيا في شتى مظاهر

الحياة، وفي الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية ، وفي الحرب والسياسة ونظم الحكم والحياة الاجتماعية ، وحتى في أسماء النباتات والمدن والحيوان والأعلام • ويقترن العهد الزاهر للغة العربية والعلوم العربية الإسلامية في إفريقيا بعهود الممالك الأفريقية الإسلامية • فقد كانت اللغة العربية اللغة الرسمية السائدة ، واستخدمت في شتى الأغراض وأوفت بها • واستخدمت اللغة العربية في مجال الحكم والإدارة والقضاء • ثم هي لغة المكاتبات الرسمية بين هذه الدول وبين العالم الإسلامي الخارجي •

لذلك نخلص إلى القول أن أفريقيا خلال العصور الوسطى في ظل الممالك الإسلامية ، تمتعت بحضارة إسلامية خالصة ، ونظام إسلامي سليم •

هذا الموضوع عن تاريخ الأقليات المسلمة في إفريقيا وهذه الأقليات ، عاشت ومازالت تعيش في مناطق حاول المستعمر جاهداً أن لا تكون فيها أغلبية مسلمة ، منذ أن حاول المسلمون تخطي الموانع الطبيعية في مناطق الغابات وهضاب البحيرات وقلب الهضبة الحبشية ، كما تخطى الإسلام الساحل الشرقي في المناطق الداخلية إلى كينيا وتنجانيقا (تنزانيا حاليا) ، كما نفذ إلى جنوبي إفريقية ، وعبر المسلمون في العصور الوسطى ، من بلاد غربي إفريقية التي أصبحت هي الأخرى بلاداً إسلامية خالصة ، عبروا إلى الكمرون وافريقيا الوسطى وسيراليون وأنجولا ومازال الإسلام ينتشر حتى اليوم ، رغم محاولات الاستعمار وحركات التبشير التي أجبرت شعوب القارة التي لم يستطع الإسلام أن يصلها مبكراً – للعوائق السالفة الذكر – فحاول الاستعمار ورجال الكنيسة إجبار هذه الشعور على اعتناق المسيحية بالعسف والقهر والتفرقة ، ورغم ذلك حافظت على عقيدتها الإسلامية وظلت تقاوم محاولات التبشير المسيحي ، رغم أنها أقلية إسلامية مستضعفة في مناطق أكثرية مسيحية ، أو وثنية ، تعاني هي الأخرى وطأة المستعمر وجبروته •

لذلك نعـالج في هـذا البحـث تـاريخ الأقليـات الإسـلامية في إفريقيـا وأوضاعهـا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

الفصل الأول

الأقليات المسلمة في إفريقيا

إن الإسلام لا يعامل الناس على أساس عرقي أو عنصري أو طبقي لقوله صلى الله عليه وسلم " الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى " وقوله تعالى ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[1] . إذاً المعيار في الإسلام هو التقوى فلا فوارق بين الناس من حيث جنسياتهم أو عناصرهم .

واجب كل مسلم أن يعلم أن هناك فئة قليلة مستضعفة تعاني الاضطهاد والبعد عن الدين الحنيف والحرمان من الممارسات التي يكفلها لهم الدين . تنهش فيها قوى الشر من كل جانب وتلعب بها أمواج المادية والإلحادية كما تشاء . والسؤال الذي يطرح نفسه ما هو مصير هذه الأقليات ؟ رغم أنها تمثل ثلث العالم الإسلامي[2] ، ولكنهم مشتتين في العالم ، فمنهم في آسيا والبعض في استراليا والآخر في أوروبا ، وجزء في أفريقيا .

ما هي الأقليـــة :

قبل البدء في الدخول في أحوال هذه الأقليات يجدر بنا أن نعرف ما هي

---

[1] سورة الحجرات، آية/١٣.

[2] سيد عبدالحميد بكر، الأقليات المسلمة في استراليا وآسيا، تم طبعه في جدة عام ١٣٩٣هـ (دعوة الحق) عدد خاص، ص ٤.

الأقلية:-

الأقليـــــة : هي جماعة فرعية تعيش بين جماعة أكبر وتكون مجتمعاً تربطه ملامح تميزه عن المحيط الاجتماعي حوله وتعتبر نفسها مجتمعاً يعاني من تسلط مجموعة تتمتع بمنزلة اجتماعية أعلى وامتيازات أعظم تهدف إلى حرمان الأقلية من ممارسة كاملة لمختلف صنوف الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بل تجعل لهم دوراً محدوداً في مجتمع الأغلبية ومختلف الأقليات من حيث العدد، والمنزلة الاجتماعية ، ومدى تأثيرها في مجتمع الأكثرية ، ومهما كانت هذه المنزلة فإن مجتمع الأغلبية ينظر إليهم على أنهم غرباء عنهم أو شائبة تشكل عضواً شاذاً في كيانه ، وقد يبلغ الأمر إلى حد العزل الكلي لجماعات الأغلبية حيث نجد أن لجماعات الأقلية أحياء خاصة بهم بل ومؤسسات خدمية مميزة كما في جنوب أفريقيا[1] .

محـور قضايا الأقليـــات :

محور قضايا الأقليات بني على صفات نتج عنها عدم التفاعل الاجتماعي مع مجتمع الأغلبية وهذه الصفات قد تكون عرقية وهي سمات واضحة في مجتمعات جنوب أفريقيا التي يحكم فيها حوالي ٤ مليون من الأوربيين البيض حوالي ٢٣ مليون من الأفارقة وبعض المواطنين من الأقطار الأسيوية حكماً بالحديد والنار يعطي للرجل الأبيض كل شئ ويحرم غيره من المواطنين من كل شئ[2] .

وهذه السمات قد تكون لغوية مثل جماعات الوالون في بلجيكا ، أو ثقافية مثل

---

(١) مجلة دعوة الحق، العدد ٢٣: صفر ١٤٠٤هـ ، ص ٥.

(٢) مجلة العربي، العدد ٢٣٩: اكتوبر ١٩٧٨م ، ص ٤٨.

جماعات اللاب في اسكندنافيا وأبرز هذه السمات الملمح الديـني وهـو شأن الأقليـات المسلمة في العالم وخاصة شرق آسيا ، إذن فالأقليات المسلمة هي تلك الجماعات الـتي آمنت بالإسلام منهجاً لحياتها ، ولما كان للإسلام منهجه الخاص لأنـه ليـس مـن صنـع البشر فقد لاقى كثيراً من المقاومـة مـن أصحـاب الهـوى والشـهوات ، فهـم لذلـك لا يريدون أن تقوم له قائمة ، لذا تحاول الأغلبيات التي بينها أقليات مسلمة أن تقتل كـل أمل يراود الأقليات المسلمة في أن تنهج السلوك الإسلامي . وهنا لابد من إجابة على هذا السؤال : لماذا دراسة الأقليات المسلمة ؟

والإجابة على هذا السؤال لها شقان ، فالأول لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا نحـن المسلمين بتبليغ دعوته لكل الناس ، قـال تعـالى : ﴿ واصـدع بمـا تؤمـر وأعـرض عـن المشـركين ﴾[1] ، المسـلمة بتطبيقهـا للإسـلام في حياتهـا تسـاعد في نشـر الإســلام . والثاني أمر يتعلق بحياتها هي : فالمسلمون هنـاك محجوبـة عنـا أخبـارهم ، غـامض عنـا أوضاعهم ، يلاقون أنواعاً من العذاب ، ولأن المسـلمين في مشـارق الأرض ومغاربهـا، نيام عن مآسي إخوانهم ، غافلون عنهم ، وليس ذلك لجهلهم وسوء وضعهم فقط بل لأن الذين يعرفون أحوالهم ويدركون مصائبهـم يمدون يد المساعدة لأعدائهـم ولأنهـم في مسيرتهم " أي الأقليات المسلمة " يلاقون كثيرا من التحديات والصعاب .

التحديات التي تواجه الأقليات المسلمة :

من أهم التحديات التي تواجههم هي تلك المعلومات المضللة التي تسـتمد عـن

---

[1] سورة الحجر ، آية/٩٤.

الأقليات المسلمة فمعظم هذه المعلومات مأخوذة من مصادر منحازة ضد الأقليات المسلمة كأن تأتي من مصادر غربية ، ونحن نعلم مدى سيطرة الغربيين على الأعلام[1]، وهذه المصادر تكتب بعاطفة صليبية أو يهودية لا خلفية لها عن الإسلام والمسلمين ، فتحاول التقليل من عدديتها في وسط كيان الأغلبية وتعطي صوراً مهزوزة لا تمت للواقع بصلة ، وقد تأتي من مصادر وبيانات حكومية عبر سلطات ملحدة يهمها تحطيم القيم العقائدية لتحول مجتمعها إلى الولاء المذهبي فتحاصر المجتمعات الإسلامية وخاصة الأقليات بستائر زائفة تجعلهم في عزلة حتى تمحي شخصيتهم الاجتماعية ويدخلون مرحلة الذوبان في مجتمع الأكثرية .

وكذلك من أهم التحديات المضادة والتي تعاني منها الأقليات المسلمة هي حركات التنصير وكذلك البوذية والهندوسية وهي تيارات مدعومة مادياً وسياسياً، فمثلاً اعتمد مجلس الكنائس العالمي ١٠٠٠ مليون دولار للإنطلاق بالتنصير في مائة دولة عام ١٣٩٩هـ[2] .

ومثل هذا الدعم يزيد من شراسة التحديات التي تواجهها الأقليات المسلمة – وهي ذات وضع اقتصادي متخلف – وهذا الدعم يعطي الجانب المضاد القدرة على إقامة المدارس والمستشفيات والمؤسسات الدينية في مناطق الشعوب الفقيرة المحتاجة وهذا يمثل عنصر إغراء للجماعات الوثنية ، والجماعات ضعيفة الإيمان وخاصة إذا كانت في مثل هذه الأيام التي انتشرت فيها المجاعات والجفاف في أكثر بلاد أفريقيا – ويزيد هذا الدعم من حدة الحرب الطائفية والصراع بين الأديان[3] .

---

[1] رويتر والحمام الزاجل، مقال ص ١٦، جريدة الشرق الأوسط، عدد ٢٢٤٤، بتاريخ ١٩/١/١٩٨٥م.

[2] مجلة دعوة الحق ، العدد ٢٣ ، صفر ١٤٠٤هـ ، ص ٨.

[3] المصدر السابق ، ص ٩.

فتلك بعض التحديات التي تواجه الأقليات المسلمة في بلاد العالم • ولكن هناك بعض الإيجابيات بالنسبة للوضع الراهن للأقليات المسلمة ، فهناك بعض الجمعيات التي اهتمت بمشكلات الأقليات المسلمة ومنها : -

منظمة المؤتمر الإسلامي :

وكانت إيجابياتها تتمثل في إبراز مشكلات الأقليات المسلمة إلى مستوى الاهتمام الرسمي للعالم الإسلامي ، ففي سنة ١٩٣١م رفع المؤتمر الإسلامي الذي عقد في القدس الشريف - رفع صوته عالياً احتجاجاً على اضطهاد المسلمين في الاتحاد السوفيتي وأصدر نداءاً للرأي العام يناشده المساعدة •

فكان هذا داعياً لبعض المسلمين للاهتمام بإخوانهم في العالم الإسلامي خاصة والعالم أجمع • كذلك ظهرت مشكلة الأقليات في نداء التضامن الإسلامي الذي وجهه المغفور له الملك فيصل سنة ١٩٧٢م ، ثم بدأت مشكلات الأقليات المسلمة في أخذ مكانها في المؤتمرات الإسلامية الدولية في كثير من المؤتمرات مثل مؤتمر العالم الإسلامي الرابع في بنغازي ، حيث قامت الأمانة العامة للمؤتمر بعد بحث مشاكل الأقليات - قامت برفع تقرير عن أحوالهم واستمرت المناقشات في كل مؤتمر حتى المؤتمر التاسع الذي عقد في دكا عام ١٩٧٨م فأنشئت إدارة الجماعات والأقليات المسلمة بمقتضى توصية من هذا المؤتمر ، وقد صدر قرار من المؤتمر في عام ١٩٧٩م في فاس بتأييد الأقليات المسلمة في كفاحها ، وهكذا ظلت الأقليات المسلمة تحظى باهتمام المؤتمرات الإسلامية •

جهود رابطة العالم الإسلامـــي :

بعد أن قدم الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي مذكرة الرابطة لمؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد في مكة والطائف وشرح لهم فيها مشكلات الأقليات المسلمة وافق وزراء الخارجية على إضافة موضوع الأقليات المسلمة في جدول أعمالهم[١] .

وقد قام الأمين العام بزيارات لبعض الدول التي تعيش فيها هذه الأقليات المسلمة ، وقدمت الرابطة دعماً مالياً وثقافياً لها في مواطن عديدة وتبنت قضايا الأقليات المسلمة في المحافل الإسلامية والدولية[٢] .

جهود جامعة الملك عبد العزيز بجدة :

ظهرت جهود هذه الجامعة في خدمة الأقليات المسلمة في عام ١٩٧٦م عندما تقدم وكيل الجامعة آنذاك إلى حكومة المملكة العربية السعودية بمشروع بإنشاء معهد الأقليات المسلمة ، وتمت الموافقة عليه ومن ثم أخذ المعهد مكانته وتبلورت أهدافه في البحث المنظم عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للأقليات المسلمة[٣] وإيقاظ الرأي العام العالمي ليمنع انتهاك حقوق الإنسان في مواطن هذه الأقليات عامة وتتركز أبحاثه في مجال التربية الإسلامية للأقليات الإسلامية وزيادة تعاون وتبادل الآراء بين الباحثين في مناطق الأقليات المسلمة .

ودور المملكة العربية السعودية واضح في هذا المجال ، فالثابت أن البعد الإسلامي يشكل المحور الرئيسي في سياسة المملكة العربية السعودية الخارجية ، وتعد مسألة حماية الأقليات المسلمة في العالم إحدى العلامات البارزة في عهد خادم الحرمين

---

[١] المصدر السابق ، ص ١١.

[٢] المصدر السابق ، ص١١.

[٣] المصدر السابق ، ص ١٢.

الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، وتلك السياسة هي استمرار لمسيرة العطاء المتصل والمتواصل من أجل خدمة الإسلام والمسلمين والتي أرسى قواعدها المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود – طيب الله ثراه – وسار على خطاها من بعده أبناؤه البررة ، واستمراراً لهذا النهج دعا خادم الحرمين الشريفين – حفظه الله – إلى عقد مؤتمر لقادة الأقليات والجماعات المسلمة في جميع القارات للاجتماع في مكة المكرمة لبحث أوضاع تلك الجماعات والأقليات والمشكلات التي تواجهها[1] .

بعد هذا ننتقل إلى أهم المشكلات التي تعاني منها الأقليات المسلمة بعد أن علمنا مدى التحديات والإيجابيات في مناطق الأقليات المسلمة وتتمثل هذه المشكلات في :

أولا : الأوضاع الاقتصادية السيئة :

نتيجة التفرقة في مجال العمل ، فالعديد من الدول التي تعيش فيها الأقليات المسلمة تحرم هذه الأقليات من مجالات معينة من العمل بسبب دخولهم الإسلام . كما حدث في افريقيا الوسطى[2] ، ونتج عن هذا انخفاض الدخول ، يضاف إلى هذا[3] نقص المهارات بين مسلمي الأقليات وتفوق مدارس البعثات التنصيرية بسبب ما تقدمه من فرص التدريب للنصرانية ، ونتيجة هذه الأوضاع يعمل المسلمون في مجالات أقل أجراً ويعانون أشد المعاناة من الفاقة والحوجة .

---

[1] المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢ك، جدة ، ص٧.

[2] مجلة منار الإسلام ، العدد السادس ، جمادى الثانية ، ١٤٠٣هـ ، ص ٥١.

[3] المصدر السابق ، ص ١٥.

ثانيا : مشكلات ثقافية وتعليمية :

إذا أراد الإنسان أن يتعرف على أساليب التعليم في مناطق الأقليات المسلمة فإنه يجد أن أبناء المسلمين يتلقون تعليمهم الديني في كتاتيب متواضعة ملحقة بالمساجد أو مدارس تدرس في عطلات نهاية الأسبوع وهذا أسلوب يعطي الثقافة الإسلامية بطريقة مجزأة ، والثقافة المعطاة تكون بسيطة وضعيفة[1] ، لأن هذه الطريقة التي تقدم بها المعلومات الدينية ليست أكثر من بضع ساعات تنصب على حفظ القرآن دون الإلمام بالتفسير وإدراك المعاني ، وهناك دول شيوعية مثلاً لا تتيح فرصاً للتعليم الديني مما ينتج عنه بعض الصعوبات لتلك الأقليات .

ثالثا : مشاكل البناء الاجتماعي للأقليات :

فالأقليات المسلمة تميل إلى العيش في مناطق منفصلة داخل مناطق الأغلبية وتتجنب الاختلاط لأسباب منها الإلحاد ، وكذلك التحرر والتفسخ الأخلاقي ، أو بسبب انخفاض مستوى الدخل للأقليات المسلمة في تلك المجتمعات .

وفي بعض مجتمعات الأقليات المسلمة تبرز مشاكل التحدي الوثني لدرجة تصل إلى حمل السلاح ومهاجمة الأقليات المسلمة لتفتيت جمعهم .[2]

رابعاً : مشاكل حق التمثيل في الحكم :

التمثيل في الحكم هو عنصر جوهري في حياة الأقليات المسلمة ، وعامل ضغط فجر الأوضاع الداخلية في بعض المناطق التي توجد فيها أقليات مسلمة ، فترجمت عنه بحركات المقاومة العنيفة كما في ارتيريا والأوجادين وذلك لإثبات وجود

---

[1] المصدر السابق ، ص ١٦.

[2] المصدر السابق ، ص ١٨.

الشخصية الإسلامية لتلك المجموعات من الأقليات المسلمة [١] .

الطرق التي سلكها الإسلام للقارة الأفريقية :

الإسلام دخل إلى القارة الأفريقية من عدة طرق منها الطريق الساحلي عبر حوض السنغال وهو الطريق الذي سلكه المرابطون[٢] .

والطريق التجاري الذي يبدأ من أفريقية الشمالية متجهاً صوب الجنوب عبر واحات الصحراء إلى المدن الكبرى في السودان، والطريق من بلاد اليمن وحضر موت والبحرين والإحساء إلى الساحل الأفريقي الشرقي ومصوع وبربره وتدفقت الهجرات المسلمة حتى منطقة بر الزنج[٣] .

وأخيراً نجد طريق النوبة ، بعد أن استقر المسلمون في مصر اتجهوا عبره صوب النوبة الشمالية وجردوا عدة حملات لبلاد النوبة نجح بعضها وفشل الآخر .

كيف انتشر الإسلام في القـــارة :

إنتشر الإسلام في القارة عن طريق الجهاد أو القتال في سبيل ا لله ومن أروع مظاهر الإسلام أنه وضع الأسس والمبادئ العامة التي تمجد المثل العليا والآداب الرفيعة، وتنظيم المعاملات بين أفراد الجماعة الإسلامية[٤] .

ولا يعني هذا أن الإسلام وصل إلى كل القارة أو معظم مناطقها بواسطة الفتح

---

[١] حسن ابراهيم حسن ، انتشار الإسلام في افريقية ، ص ٣٧.

[٢] نفس المرجع ، ص ٣٦.

[٣] حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق.

[٤] حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق.

بل نجد أن بعض المناطق لم تصلها الفتوح الإسلامية ، رغم ذلك فقد دخل الإسلام فيها ومرد ذلك الوسائل الأخرى التي دخل بها الإسلام القارة . مثل الطرق الصوفية كالقادرية والسنوسية والميرغنية وغيرها ، ولعبت هذه الطرق دوراً هاماً في انتشار الإسلام في القارة السوداء .

ويلاحظ أن للتجار دور هام في نشر الدعوة الإسلامية في أفريقيا فقد ساعدوا كثيراً في نقل الإسلام إلى مناطق صعب على المسلمين[1] أن يصلوها ، والإسلام غير المسيحية لا يحتاج إلى مبشرين ، لأن كل مسلم داعية ومبشر بدينه الحنيف ، ولذا لعب التجار والمعلمون دوراً بارزاً في نشر الإسلام في القارة السوداء .

ونجد أن الإسلام علا كل الديانات الموجودة في أفريقيا ، ذلك لأنه لا يفرق بين الناس، بعكس المسيحية التي لا يؤمن مبشروها البيض بمساواتهم مع السود ، فنجد أن لهم دور خاصة للعبادة ومدارس خاصة أيضاً ، ومما ساعد الإسلام في الانتشار في القارة السوداء هو حرص الأفارقة على عدم التفرقة ، ورفض أي ديانة تعمل على التفرقة بينهم أو إبعادهم عن تقاليدهم القديمة[2] .

إن الإسلام يساير الحياة الأفريقية لذلك نجده انتشر بسرعة ، وسئل أحد زعماء المسلمين في نيجيريا " الحاج أسطو "[3] عن ذلك فقال : " أنه لا توجد صعوبة في الإسلام في تفهم العقلية الأفريقية ، كما أن الإسلام لا يحرم الزواج من أتباعه ، ولا يمنعهم من التعدد في حالات الضرورة ، كما أن مسألة التكيف مع التقاليد القبلية

---

(١) حسن ابراهيم حسن ، انتشار الإسلام في أفريقيا ، ص ٣٨.

(٢) منبر الإسلام ، عدد ربيع أول ١٤٠٥هـ ، مقال تحت عنوان: الدعوة إلى الإسلام في افريقيا وأزمة التبشير ، د. عبدا لله بخيت محمد.

(٣) نفس المرجع ، ص ٩١.

ضرورية •

ويفهم من هذا أن الإسلام أكثر قبولاً عند الأفارقة ذلك لأنه دين الفطرة ودخل أرض الفطرة • فلم يكن دين مستعمر كما جاءت به المسيحية إلى أرض أفريقيا •

وأيضا نلاحظ أن عامل التفرقة العنصرية ونظرة المسيحيين إلى السود كأنهم خلقوا لخدمة الرجل الأبيض تضعف من التبشير بها لأن الأفارقة قد ضاقوا بها حتى أنهم حاولوا أفرقة المسيحية حينما قال أحدهم[1] " وتعالى الله عما يصفون " •

ومع ذلك فإن البيض مصرون على هذه السياسة وصرحوا بها في إحدى مؤتمراتهم[2] وردت عليه الصحيفة الأفريقية الوطنية " مهما كان جمال صياغة المؤتمر فإن تطبيقه يؤدي إلى انهيار المسيحية في جنوب أفريقيا " •

والواقع يقول أن المسيحية ليست دين الأفارقة لأن الرسومات المصورة لم يكن يها بشرة سوداء إطلاقاً وأن الإنجيل لم يمجد هذا اللون من البشرات ، كل هذا جعل نشر الإسلام بين الأفارقة ممكناً لحد كبير •

ومما يزيد الأمر يسراً على دعاة المسلمين أن الإسلام حريص على الوقوف مع الأفارقة في محنتهم الكبرى وجعلهم أمة واحدة بينما يرى الغرب لا محال من نبذ قومية الأفارقة[3] •

---

(1) مجلة منبر الإسلام ، تصدر بالعربية ، إنجليزية ، فرنسية ، أسبانية ، عدد ربيع الأول ١٤٠٥هـ - ديسمبر ١٩٨٤م ، ص ٩١.

(2) مؤتمر مجلس الكنائس.

(3) حسن ابراهيم: انتشار الاسلام في القارة الافريقية.

أهمية القارة الأفريقية :

وترجع أهمية الإسلام في أفريقيا إلى أن الإسلام ينتظم نحو نصف القارة الأفريقية التي تبلغ مساحتها نحو ١١/٢٦٢/٠٠٠ من الأميال المربعة ، أي خمس مساحة الكرة الأرضية ، ويبلغ عدد سكانها نحو مائتين وثلاثين مليون نسمة ، منهم أكثر من مائة وعشرين مليوناً من المسلمين .

وموارد هذه القارة مهمة لتنوع هذه الموارد ، بتنوع البيئات واختلاف الموقع والمناخ وهي تنتج نحو ٩٨٪ ماس ، ٥٥ ٪ ذهب ، ٢٢٪ من نحاس العالم ، وتنتج نحو ثلثي محصول الكاكاو العالمي وثلاثة أخماس إنتاج زيت النخيل هذا عدا معادنها الأخرى بالإضافة إلى امكانياتها في القوى المائية .

وهذه القارة مورد اقتصادي عظيم في المعادن والزراعة والمواد الخام ، وقد أدركت الدول الغربية هذه الحقائق ، فتسابقت إلى استعمارها للانتفاع بثرواتها الطبيعية ، وأدركت الولايات المتحدة الأمريكية هذه الحقائق في السنين الأخيرة فزاد اهتمامها بأفريقيا . أضف إلى هذا أهمية موقع هذه القارة الاستراتيجي ومن الأماكن التي لها أهمية كبرى :

١ – طنجه .
٢ – قاعدة مراكش الجوية .
٣ – قاعدة الدار البيضاء البحرية
٤ – ليبيا .
٥ – أريتريا – الحبشة – الصومال – موانئ مصوع وجيبوتي ومقديشو .
٦ – جزيرة مدغشقر وأهميتها في حماية مسالك المحيط الهندي .
٧ – رأس الرجاء الصالح ولاسيما قاعدة سيمونزتاون البحرية .
٨ – قاعدة داكار التي تحرس طرق المواصلات في غربي أفريقية [1] .

---

(1) كوزولي ، افريقيا اليوم ، ص ٥٥.

تنافس القوى العالمية في أفريقيا المسلمـــة :

ما أن ضعفت قوة ووحدة المسلمين بأفريقيـا حتـى تداعـى لصـوص أمـم الكفـر عليها ، ينهب ويقتل وينظم وينظر فيها كل علـى شـاكلته فتقـاسمت " عصبـة الأمـم " الشعوب المسلمة فيما بينها ، وظلت هذه الشـعوب تـرزح تحـت كـابوس القهـر وهـو يعبث فيها تقتيلاً وتشريداً •

لقـد بقـي الإسـلام العظيـم وهـو أول دين توحيـد يدخـل القـارة ، والعـرب والمسلمين أول الأقوام التي فتحـت هـذه القـارة ، يـؤدي ويقـوم بـدوره الحضـاري في أفريقيا ، خاصة في أقطارها الشرقية والوسطى والشمالية وظل قرابـة سـبعة قـرون مـن الزمن وهو يسير في نهجـه القديـم ، حتـى إذا اسـتولى المـاليك على مصـر وسـقطت عاصمة الحضارة الإسلامية بغداد على أيدي التتـار وأخـذ المد الإسـلامي ينكفـئ عـن صقلية والأندلس ، لم ترضخ الشعوب الإسلامية الأفريقية بل ظلت تقاوم ، ببطولة فذة وبسالة، شابت له رؤوس الكفرة غرباً وشـرقاً ، ولكـن كـان ينقصهـا القـوة ، والقـوة تتمثل في الوحدة ، والوحدة لابد أن تنضوي تحت لواء الإسلام لترجمة العمـل والفـداء إلى تغيير جذري شامل ، يعيد للإسلام وجوده الحضاري وقيادته للأمم •

ثم جاءت الحملات الصليبية ، في القرن الحادي عشر الميلادي لتحارب الإسلام والمسلمين بأكثر من مليون جندي حاقد ، وبعـد أن أنهكـت الحـروب الصليبيـة الأمـة الإسلامية وجيوشها ، عند ذلك هوى العالم في الظلام حينما انحسرت حضارة الإسـلام لفترة مؤقتة ، وبعد اكتشاف العالم الجديد وعصر النهضة الأوروبية ، ظهـرت حضـارة أوروبية جديدة كان أثر الإسلام فيها بارزاً في جميع أوجه حياتها وما نقلتـه أوروبـا مـن

علوم وفنون وآداب عن المسلمين كان لها الأثر الكبير في قيام ممالك أوروبية جديدة في شمالها ووسطها بالإضافة إلى إنجلترا وفرنسا وأسبانيا .

وما أن أقبل القرن الثامن عشر حتى نشطت حركة الاستعمار وشملت معظم أنحاء العالم ، ومنها القارة المسلمة أفريقيا ، وكان البرتغاليون قد حاولوا منذ وطئت أقدامهم أرض موزمبيق وأنقولا أن يسدوا المنافذ على الإسلام وتبعهم الإنجليز في ذلك والفرنسيون والألمان في كل من تنزانيا والكاميرون وغيرها ، وكذلك الإيطاليون في ليبيا والصومال ، وحشد هؤلاء المستعمرون الجدد جميعاً جيوشاً من المبشرين النصارى استخدمهم الاستعمار في تلك المناطق من أفريقيا ، وبطبيعة الحال لجأ المستعمر إلى استخدام وسائل الإرهاب والقمع والقتل، لإرهاق الزنوج السود ، وأهل القارة الأفريقية والقبض عليهم والتجارة بهم وبيعهم بأبشع صور القرصنة والوحشية وتجارة البشر ، ورغم التزوير التأريخي الذي مارسه المستعمر لإخفاء الحقائق تحت ستار مقاومة تجارة الرقيق ، ومنع التجارة بالماشية البشرية ، فوق كل ذلك ألصق تهمة الجريمة والقرصنة الأمريكية الأوروبية بالعرب والمسلمين ، كما يغذى بها الجيل الأفريقي الجديد و يشربه على كره المسلمين منهم والعرب ، وظهرت الحقائق للعيان مع زوال الهيمنة الاستعمارية ، وبقي الإسلام رغم المعاناة والتحدي العقائدي دين القارة الأفريقية .

الوضع الراهن للأقليات المسلمة :

إيجابيات منظمة المؤتمر الإسلامي : أول هذه الإيجابيات تأتي من تصعيد

مشكلات الأقليات المسلمة إلى مستوى الاهتمام الرسمي للعالم الإسلامي ، ففي ١٩٣١م رفع المؤتمر الإسلامي الذي عقد في القدس الشريف رفع صوته عالياً احتجاجاً على اضطهاد المسلمين في الاتحاد السوفيتي وناشد الرأي العام المساعدة .

وظهرت مشكلة الأقليات في نداء التضامن الإسلامي الذي وجهه الملك فيصل بن عبد العزيز سنة ١٩٧٢م ، ثم بدأت مشكلات الأقليات المسلمة تأخذ مكانها في المؤتمرات الإسلامية الدولية ، ففي مؤتمر العالم الإسلامي الرابع الذي عقد في بنغازي بحث مشكلة الأقليات المسلمة وقامت الأمانة العامة بتقديم تقرير عن أحوال الأقليات واستمرت المناقشات في كل مؤتمر حتى المؤتمر التاسع الذي عقد في دكا ١٩٧٨م فأنشئت إدارة الجماعات والأقليات المسلمة ، وهكذا أصبحت مشاكل الأقليات تحظى باهتمام المسلمين .

مشكلات الأقليات المسلمة :

١) الأوضاع الاقتصادية السيئة : نتيجة التفرقة في ميادين العمل ، فالعديد من الدول التي تعيش بها الأقليات المسلمة تحرم هذه الأقليات من مجالات معينة في العمل ونتج عن هذا انخفاض الدخول ، يضاف إلى هذا نقص المهارات بين مسلمي الأقليات ، وتفوق من جانب البعثات التنصيرية " في المدارس بسبب ما تقدم من فرص التدريب للنصرانية - مما تتيح لهم اكتساب المهارات ونتيجة هذه الأوضاع يعمل المسلمون في مجالات أقل أجراً ويعانون التفرقة .

٢) مشكلات ثقافية وتعليمية : ينبغي التعرف على أساليب التعليم

الإسلامي في مناطق الأقليات فإن أبناء المسلمين يتلقون تعليمهم الرئيس في كتاتيب متواضعة ملحقة بالمسجد أو بالمساء ، وهذا أسلوب يعطي الثقافة الإسلامية بطريق مجزئة لأن الطريقة التي تقدم بها المعلومات ليست أكثر من بضع ساعات تنصب على حفظ القرآن دون الإلمام بالتفسير أو إدراك المعاني ، وهناك دول شيوعية لا تبيح تعليم الدين الإسلامي .

٣) البناء الاجتماعي للأقليات المسلمة : تعيش الأقليات في مناطق منفصلة داخل مناطق الأغلبية وتتجنب الاختلاط لعدة أسباب منها الإلحاد والتحرر ، أو نسبة لانخفاض مستوى دخول الأقليات في هذه المجتمعات، وفي بعض المجتمعات تبرز مشكلات التحدي الوثني .

٤) حق التمثيل في الحكم : هذا عنصر جوهري في حياة الأقليات المسلمة وعامل ضغط فجر الأوضاع الداخلية في بعض مناطق الأقليات ونتج عنه تحركات المقاومة العنيفة كما في الحبشة ويوغندة وكينيا .

تنوعت التحديات في هذا العصر فتارة ترتدي ثوب الإلحاد ، وأخرى فلسفة المادة ، وثالثة الرهبنة . والأقليات المسلمة تمثل البراعم النامية في أطراف العالم الإسلامي فمن واجب المسلمين نحوهم التعرف على أحوالهم والتعرف على ما تعانيه الأقليات من مشكلات وتمدها بكل ما تستطيع .

٥) فتح المدارس المعينة التي تدرب أبناء الأقليات المسلمة لكي ترتفع دخولهم وتتحسن أوضاعهم الاقتصادية ويصمدوا أمام البعثات التبشيرية والنصرانية ، وتوعيتهم بدورهم الأساسي في تحسين أوضاعهم الاقتصادية والتخلي عن موقف اللامبالاة والقيام بدراسات مركزة على أسباب تخلف الأقليات المسلمة وتطوير ثقافة أئمة المساجد في كافة العلوم الدينية بإقامة دورات تعليمية وإقامة الدراسة في التعليم

المهني على أن تتخلله مواد دينية .

الفصل الثاني

يوغندة

يوغندة في لمحة جغرافية :

الموقع والمساحة :

تقع يوغندة في أحضان مجموعة من البحيرات التي يصل ارتفاعها إلى آلاف الأقدام على سطح البحر ، فتقع بحيرة فكتوريا في ركنها الجنوبي الشرقي – كما تقع بحيرتا البرت وإدوارد على حدودها الغربية ، وتستقر بحيرة كيوجا في وسطها . وتنطلق الأنهار والروافد والمجاري (النهيرات) في جميع أرجاء الأرض السوداء ، فتكسبها ما تتميز به من خصوبة رائعة لم تدانيها إية بقعة أخرى في أفريقيا[1] . وتغطي المياه العذبة حوالي خمسة عشر في المائة من مساحتها[2] .

ويوغندة التي تبلغ مساحتها حوالي ٢٤٣٫٤٠٠كم٢ ، هي إحدى دول شرقي إفريقيا الداخلية التي لا سواحل لها ، تحدها كينيا من الشرق ، وتنزانيا من الجنوب ، والسودان من الشمال ، وزائير من الغرب ، ورواندا من الجنوب الغربي ، وعاصمتها كمبالا شمالي بحيرة فكتوريا ، وسكانها سنة ١٤٠٨هـ ١٧٫٢١٦٫٠٠٠ نسمة ، ومن

---

(١) صلاح صبري: افريقيا وراء الصحراء ، ص ٤٦ ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٠.

(٢) سيد عبدالمجيد بكر ، الأقليات المسلمة في افريقيا ، ص ١٢٣ ، سلسلة الإصدارات الخاصة ـ هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ـ جدة ، ١٤١٢هـ.

أشهر مدنها جنجا، وبوجنجا، وعنتبي[1] ويوغندة على عكس تنزانيا وكينيا لا تطل على البحر ، ومن ثم كانت دولة حبيسة ، ويتنوع فيها السطح بين البحيرات في قاع الأخدود إلى مرتفعات رونزوري ،ولكن

المرتفعات بوجه عام تظهر على أطرافها ممثلة في الجوت في الشرق ورونزوري وكيجيزى في الغرب ، أما ما تبقى فهو هضبة ترتفع ما بين ٢٠٠ ، ٥٠٠ متر فوق سطح البحر[2] ٠ وعلى الرغم من مرور خط الاستواء في وسط يوغندة تقريباً ، إلا أن مناخها على قدر من الاعتدال بسبب ارتفاعها العظيم عن سطح البحر ٠ وبالرغم من خصوبة البلاد ووفرة ثرواتها الزراعية والمعدنية ، إلا أن الاستعمار الأوروبي قد أحال أهلها إلى طبقة من الفقراء والأجراء ٠ ويوغندة كثيفة السكان ، وأهلها معتزون بأنفسهم وثرواتهم وتقاليدهم ٠ وكل ما في يوغندة تكسوه الخضرة ، وهي تعتبر من أجمل بقاع شرق ووسط إفريقيا ، بسبب وفرة الكساء الأخضر من حشائش السافانا البستانية ، وتنتشر المزارع الخضراء في ربوعها وتمتد فيها الوديان الكثيرة الضيقة ، حيث تنساب خلالها الأنهار سريعة دافقة ، وقد طبع أهلها جمال الشكل ، وصفاء الروح ، ولهم ذوق فني في النحت والتلوين[3] ٠

<u>اسم يوغندة :</u>

يرى الدكتور زاهر رياض في كتابه " استعمار القارة الأفريقية وإستغلالها"[4] ، ان اسم يوغندة (أوغندا) اسم حديث اخترعه البريطانيون ، عندما فرضوا الحماية البريطانية على هذا الجزء من إفريقيا في سنة ١٩٠٣م ، وهي مكونة من عدد من

---

(١) سيد عبدالكريم بكر ، نفس المصدر والصفحة.

(٢) محمد عبدالغني سعودي: افريقيا دراسة شخصية الأقاليم ، ص ٣٢٨ ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة:
Africa South of The Sahara - Europa Puplications, Limited, p. 1104 J London 1982 - 1983.

(٣) صلاح صبري ، افريقيا وراء الصحراء ، ص ٤٨.

(٤) زاهر رياض: استعمار القارة الافريقية واستغلالها - ص ٢٣٢ - الطبعة الأولى - القاهرة - ١٩٦٦.

الممالك ، كانت كل واحدة مستقلة عن الأخرى تمام الاستقلال . وأهم هذه الممالك ، مملكة (يوجندا) التي كانت أرقى هذه الممالك وأكثرها تقدماً . فقد اخترقها الرحالة بيرتون Burton في منتصف العقد الخامس من القرن الماضي أثناء رحلته إلى الشمال ، فأدهشته منها ما رآه من المباني الجميلة ، والطرق

المنظمة، وزراعتها الراقية ، حتى لقد شبهها بالريف البريطاني .[1] واسم يوغندة تحريف للاسم الذي نطقه السواحيليون الذين قدموا في ركاب القوات المستعمرة ، وهو اسم (يوغندا) وهي المملكة القديمة التي سادت في هذا الجزء من القارة ردحاً من الزمن ، فحدث التحريف من اسم (بوغندا) إلى (يوغندة) أو (أوغندا) ، وظلت كلمة (بوغندا) أو (بوجندا) تطلق على إقليم صغير أو محمية من محميات الإقليم الكبير وهو يوغندة[2] .

شعب يوغندة :

رغم صغر مساحة يوغندة ، فإن عدد سكانها كبير نسبياً ، وترجع أصولهم أساساً إلى ثلاث قارات هي : أفريقيا وآسيا وأوروبا . فالأفريقيون وهم سكان البلاد الأصليون ، يعتبرون عصب الشعب الأوغندي ، ويكونون الغالبية العظمى منه ، وقد نشأوا وعاشوا في تلك البيئة منذ زمن بعيد ، وأهم العناصر الأفريقية هم شعب البانتو، وأميز شعوبهم شعب باجندا ، الذي يعتبر من أعظم شعوب القارة الأفريقية ، وقد وصفهم الأنثروبولوجي الشهير جون روسكو بأنهم (يابانيو أفريقيا)[3] . وهناك أيضاً أكثر من عشرين قبيلة ، فبالإضافة إلى زنوج البانتو ، هناك جماعات أخرى من النيليين، والنيليين الحاميين ، وجماعات الباسوجا، والبانيورو ، والبانيانكوري، والباتورو ،

---

(١)

Burton, R.F.: First Food Steos In East Africa, p. 85, Sep, London, 1856

(٢) جون جنتر ، داخل افريقيا ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ، ١٩٥٧م.

(٣) محمد عبدالمنعم يونس: أوغندا بين الاستعمار البريطاني والكفاح الوطني ، ص ٧٩ ، القاهرة ، ١٩٦٢.

والكراجوى . وهناك بعض القبائل النيلية الحامية مثل الإيتوس والباري ، وقبائل أخرى نيلية زنجية مثل اللانجو والألور[١] .

أما أول من قدم إلى يوغندة من الآسيويين ، فهم العرب ، وقد دخلوا هذه البلاد منذ انتشار الإسلام في الساحل الأفريقي الشرقي في القرن الثاني والثالث للهجرة (الثامن والتاسع الميلاديين) ، وقد توغل العرب إلى الداخل في حوالي ٣٠١هـ على أثر الصدام الذي وقع بين جماعة الإخوة الشافعية الذين قدموا إلى الساحل في حوالي ذلك التاريخ – وبين جماعة الزيدية الذين سبقوهم في الاستقرار في منطقة بنادر ، فأدى ذلك الصدام العنيف بين الفريقين إلى هجرات أعداد كبيرة من العرب إلى الداخل الأفريقي حيث استقروا في داخل الصومال وكينيا ويوغندة[٢] . لذلك يمكن القول أن التأثير العربي في يوغندة قديم ، وأن كثيراً من الرقي الحضاري في هذا الإقليم يرجع إلى أثر العرب الثقافي والحضاري . وقد أشارت المصادر إلى أن عدداً من العرب عمل في خدمة ملوك مملكة يوغندة ، ومنهم عيسى بن حسين الذي عمل مستشاراً للملك سونا ملك يوغندا[٣] .

كانت الزراعة هي الحرفة الأساسية ، وما زالت ، ويعمل ٩٣٪ من سكان يوغندة بالزراعة ، ويمارس السكان إلى جانب الزراعة الرعي والتجارة والنقل ، وبعض الصناعات الحديثة، وأهم المحاصيل الزراعية هي : الكاسافا والبطاطا والذرة والدخن والأرز والبن والشاي والقطن ونخيل الزيت وقصب السكر . يضاف إلى هذا تربية

---

[١] سيد عبدالمجيد بكر ، ص ١٢٤.

[٢] حمدي السيد: في الصومال ، ص ٣٥٠ ، القاهرة ١٩٥٠ ـ/ توماس ارنولد: الدعوة إلى الإسلام (ترجمة) ، ص ٢٨٧، القاهرة ١٩٤٧ ، / عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمةن في شرقي افريقية ، ج١ ، ص ٨٨ ، القاهرة ١٩٧٧.

Trimingham, S.,: Islam In East Africa, p.4, Seq., London 1964. Reusch, R.,: History of East Africa, p. 11, Seq., New York, 1961.

[٣] عبدالمنعم يونس ، المرجع السابق ، ص ٨٠.

الحيوان وصيد الأسماك واستخراج النحاس والقصدير ، وقطع الأخشاب الجيدة[1] .

الإسلام في يوغندة :

كشفت البحوث التاريخية والأثرية عن وجود صلات قديمة ومستمرة بين سكان شرقي إفريقيا وشعوب العالم الأخرى ، ليس الشعوب القريبة جغرافياً ، ولكن أيضا الشعوب البعيدة مثل الهنود والصينيين واليونان والرومان والمصريين والفينيقيين وشعوب الرافدين أهل الحضارات القديمة من السومريين والبابليين . فقد تاجرت هذه الشعوب مع سكان بلاد أفريقية الشرقية التي عرفت بإسم " أرض الزنج " وأشهر سكان هذه البلاد كانوا هم البانتو – الذين سبقت الإشارة إليهم – والبوشمن والهوتنتوت ، وازدهرت تجارة هذه الشعوب أيضاً مع عرب جنوبي الجزيرة العربية .[2]

والعرب هم أهم الأمم التي اتصلت بشرقي إفريقية منذ القدم ، وأبقاهم أثراً في تلك البقعة . وكان ذلك قبل فجر الإسلام بقرون عديدة ، وساعد على ذلك عامل القرب الجغرافي ونظام الرياح الموسمية في المحيط الهندي ، بالإضافة إلى العامل الأساسي الذي دفع العرب لارتياد سواحل أفريقيا الشرقية وبعض أجزائها الداخلية ، وهي الأهمية الاقتصادية وما فيها من سلع وثروات . هذا فضلاً عن دور العرب في نشر الدعوة والحضارة الإسلامية في هذه المنطقة التي تعاقبت عليها هجرات عربية إسلامية ، كان لها الفضل الكبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية . لذلك يمكن القول بأن دوافع هذه الهجرات إلى بلاد أفريقيا الشرقية كانت لأسباب دينية وسياسية، فضلاً عن العامل الإقتصادي الذي كان بارزاً في جميع الهجرات .

---

[1] سيد عبدالمجيد بكر: الأقليات المسلمة في افريقيا ، ص ١٣٥.

[2] انظر للباحث موضوع: "أرض الزنج الإسلامية في العصور الوسطى ، مجلة كلية الآداب ـ جامعة أم درمان الإسلامية ـ العدد الثاني ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م ، ص ٢٦. وانظر للباحث أيضا موضوع: "أرض الزنج والاتصال بحضارات العالم الخارجي" مجلة المؤرخ العربي ـ العدد ٣١ ـ بغداد ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ـ ص ٢٢٩.

كانت أول الهجرات العربية الإسلامية التي قامت في فجر الإسلام ، هي هجرة العرب المسلمين إلى الحبشة ، مخافة الفتنة وفراراً إلى ا لله بدينهم • ويرجح أن الرسول صلى ا لله عليه وسلم قد نصح أصحابه بالهجرة إلى الحبشة نظراً لمعرفة العرب بأرض الحبشة خلال الاتصالات التجارية القديمة[1] • ومع ازدهار الإسلام كدين ودولة ازداد النشاط البحري ، وتوافدت على سواحل شرقي أفريقيا مجموعات ضخمة من دعاة الإسلام من عرب وفرس وغيرهم لإنشاء مراكز عربية ثابتة • وتوالت هجرات العرب المسلمين إلى شرقي أفريقيا زمن الخلفاء الراشدين ، فهناك هجرة بعض المسلمين عقب مقتل عثمان بن عفان لاختلاف سادة العرب حول منصب الخلافة ، وهاجر بعض المسلمين في فترة الاضطرابات التي سادت أثناء خلافة علي بن أبي طالب• وفي العصر الأموي هاجرت عدة فرق إلى بلاد أفريقيا الشرقية ، حيث أسسوا لهم دولة صغيرة بالقرب من لامو • وتشير بعض الروايات أن عبد الملك بن مروان أرسل بعض الدعاة لنشر الدعوة الإسلامية وتكوين إمارت عربية في مالندي وممبسة وزنجبار ، كما عين حكاماً من العرب على هذه الإمارات • وفي زمن عبد الملك كذلك كانت هجرة سليمان وسعيد التي لم تختلف الروايات كثيراً في بدايتها الحقيقية وهي عام ٦٩٥م ، وقد تزعم هذه الهجرة شيخان عربيان من عمان من الطائفة العبادية من قبيلة الأزد وقد استقرت هذه الجماعة في ساحل بنادر وحول أرخبيل لامو ، وعملت على نشر الإسلام والثقافة الإسلامية[2] •

وتلى ذلك دولة الزيود الشيعية عام ٧٤١م ، وهي دولة أسسها الزيود من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب في منطقة بنادر على الساحل الصومالي ، وجعلت

[1] ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ - ١٢٣٣م) الكامل في التاريخ - ج٢ - ص ٥١.

[2] أرض الزنج الإسلامية - للباحث - مجلة كلية الآداب - جامعة أم درمان الإسلامية - العدد الثاني ، ص ٢٦ ومايليها.

من مدينة براوة حاضرة [1] .

أما الأخوة السبعة الذين هاجروا من الأحساء عاصمة دولة القرامطة في الخليج العربي ، فقد أسسوا دولة قوية عام ٣٠١ هـ (٩١٣م)، وظلت مقديشو عاصمة لهم ، حتى بعد ذهاب نفوذهم السياسي عام ٩٧٥م . وبالطبع يضاف إلى هذه الدولة وجهودها في نشر الثقافة الإسلامية الدور الكبير الذي قام به الشيرازيون الفرس الذين أسسوا سلطنة الزنج الإسلامية (٩٧٥ - ١٤٩٧م) وجعلوا من مدينة كلوه عاصمة السلطنة قاعدة ومركزاً كبيراً لنشر الثقافة الإسلامية بين القبائل الأفريقية في الساحل وداخله [2] .

وظلت مدن ساحل شرقي أفريقيا التي أمها المسلمون - ولقرون عديدة - مراكز نشاط ومدنية ، وارتكزت شهرتها على أنها وسيطة بين عواصم العالم الإسلامي الكبرى وبقية أجزاء أفريقيا المجاورة في الداخل ، والتي تأثرت إلى حد كبير بالآداب الإسلامية التي وصلت إلى داخل المجتمعات الأفريقية ، التي ظلت الثقافة العربية تشيع وتنتشر بينها حتى بعد ذهاب نفوذ العرب السياسي غداة مجئ الأوربيين إلى بلاد أفريقيا الشرقية في القرن التاسع عشر .

لذلك يمكن القول أن الإسلام دخل يوغندة منذ زمن مبكر نتيجة لتلك الأحداث والصلات المتتالية ، والدول العربية والإسلامية التي تعاقبت على أرض الزنج، فكان لكل ذلك الأثر الكبير ، أن تنتقل جماعات عربية من الساحل إلى الداخل لأسباب دينية وتجارية ، فاتسع نطاق هذه الهجرات من الساحل إلى الداخل حتى بلغ

---

[1] معالم الحضارة الإسلامية في ساحل شرقي افريقية في العصور الوسطآ ـ للباحث ـ مجلة دراسات افريقية ـ المركز الإسلامي الافريقي ـ الخرطوم ـ العدد الثاني ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ـ ص ٨٣ وما يليها.

[2] Strong, S.A,: The Histroy of Kiwa, Journal of The Royal Asiatic Society, Vol., 1, pp. 425 - 448, 1895.

كينيا ويوغندة ، وتوافدت على تلك البلاد مجموعات ضخمة من دعاة الإسلام والتجار العرب والسواحيليين المسلمين من شرقي إفريقيا أيام الدول الإسلامية التي قامت بتلك المنطقة في عهد دولة سليمان وسعيد ، ودولة الزيود ، ثم دولة الأخوة السبعة في الصومال ، وسلطنة الزنج الإسلامية ، يضاف إلى ذلك عهد بني نبهان العرب الذين وفدوا من مسقط عاصمة عمان ، وذلك في مستهل القرن السابع الهجري (٦٠١هـ) ، القرن الثالث عشر الميلادي (١٢٠٣م) ٠ وحكم النبهانيون في منطقة بيت (في كينيا حالياً) وامتد نفوذهم من الساحل إلى الداخل حيث نشروا الإسلام بين قبائل شانقا والبانتو ، كما تمكن النبهانيون من التوغل في الداخل كثيراً حيث أخضعوا قبائل ومدن الداخل مثل مناطق فازا والواتيكو، كما اخضعوا بلاد سلطان ياسا ومنطقة رازيني ٠ كما أرسل سلطان بيت عدة حملات إلى كيوايو وندوا وكيونقا وتيولا وكويام وكيزمايو ، وتمكن بذلك من إخضاع هذه البلاد التي وافقت على دفع الجزية لسلطان النبهانيين العرب[١] ٠ ويبدو أن هذه المناطق يقع بعضها في كينيا، والبعض الآخر في يوغندة ٠ ويمكن القول أن هذه الجهود فتحت الطريق أمام الدعاة والتجار من بعد ذلك ، وظل هؤلاء يترددون في رحلات تجارية بين ساحل شرقي أفريقيا ويوغندة، واستوطن العديد منهم بقاعاً مختلفة في يوغندة ، ونشروا الإسلام حيثما اقاموا ، واعتنق الإسلام على أيديهم العديد من اليوغنديين[٢] ٠

لقد توالى وصول العرب إلى المقاطعات اليوغندية منذ مطلع القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري ، وكان وصولهم إلى تلك المقاطعات التي تتكون منها يوغندة له أثره الكبير بين الجماعات الإفريقية التي تحول أكثرها إلى الدين الإسلامي في خلال تلك الفترة المشار إليها ، ومما

---

(١)

Stigand, C.N.: The Land OF Zing, pp. 34 - 37., Seq., London, 1913.
Coupland, R.,: East Africa and Its Invaders, pp. 15 - 16 - Oxford, 1938.
Reusch, Op. Cit., p. 185.

(٢) سيد عبدالمجيد بكر، نفس المرجع ، ص ١٢٧.

يذكر أن ملك يوغندة الذي كان يلقب بالكاباكا رحب بـالعرب ترحيبـاً كبـيراً ، وقـد استعان بهم للتغلب على منافسيه من حكام المناطق المجاورة ، وخاصـة حكـام أونيـورو التي كانت تشكل جزءاً من يوغندة • وقد تلقى الأهالي تعاليم الإسـلام على المذهـب السني على أيدي العرب الذين قدموا من زنجبار، ويكون المسلمون عنصراً رئيسـياً مـن سكان يوغندة ، وعلى وجه الخصوص في بوجنـدا ، ويشـكل المسـلمون حـوالي ٣٠٪ من سكان يوغندة[1] •

ولكن رغم النجاح الكبير الذي حققه العرب ، في ازديـاد تنقلهـم ، وتوغلهـم في داخل الأراضي اليوغندية منذ زمن مبكر ، وعلى الرغم من نجاحهم في نشر الإسلام بين قطاعات كبيرة من القبائل الإفريقية ، إلا أنهم لم ينجحوا في تأسيس ممـالك أو دول إسلامية على غـرار تلـك الـتي نجحـوا في تاسيسـها في السـاحل الشـرقي منـذ القـرون الإسلامية الأولى • ويعود ذلك إلى صعوبة المواصلات والتنقل في هذه المناطق ، وكان العرب في بداية أمرهم شعوباً بدوية أو شبه رعوية ، كانت تمتطي ظهور الإبل والخيل ، ولا يستطيع أهلها التقدم إلا في السهول المكشوفة ، لذلك كانت الطبيعة الجغرافية وما يكتنف المنطقة من أدغال وغابات ، جعلت العرب لا يستطيعون التوغل بأعداد كبـيرة في هذه المناطق المجهـولة ، كذلك كان لوجود ذبابة تسي تسي ، الـتي كـانت سـبباً في ظهور حمى الملاريا والتي فتكت بالكثيرين منهم ، من أهم العوامل الـتي جعلـت العـرب يحجمون في التوغل إلى تلك البلاد • يضاف إلى ذلـك أن العـرب وجـدوا في الداخـل تشكيلات وتنظيمات محلية ، على جانب كبير من القوة والتنظيم والمهارة الحربية ، ممـا جعلهم يكتفون بتوثيق العلاقات التجارية معها فقط •

ومـع ذلـك فقـد ازداد المسـلمون عـدداً مـع مـرور الزمـن والأيـام ، ففتحـوا المدارس ، وبنوا المساجد ، وظهرت طائفة من الفقهاء والعلماء ليعلموا الأفارقة فرائض الإسلام ، ويفسروا لهـم آيـات القـرآن الكريـم • وعلـى الرغـم مـن أن عمليـة نشـر

---

[1] جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤٦ ـ القاهرة ١٩٧٥. سيد عبدالمجيد، المرجع السابق، ص ١٢٥.

الإسلام في يوغندة ظلت بطيئة ، إلا أن الإسلام شق طريقه إلى تلك البلاد ، وليس ذلك عن طريق الفتح الحربي والضغط والقوة ، ولكن عن طريق التجارة والمصاهرة والاندماج والكتب والمدارس والمساجد ، لأنه يصعب إخضاع وقيادة القبائل الكبيرة عن طريق الحرب ، بدليل أن الإسلام في تلك البلاد ظفر بأقوى القبائل وأشجعها وأكثرها عدداً ، ليس بالمستضعفة منها ، مثل قبائل البانتو والباغندا وغيرها •

ورغم محاولات الاستعمار المستمرة لضرب الإسلام والمسلمين والدعاة منهم ، إلا أن العيون كانت متفتحة ، والإذهان ظلت يقظة ، فلم تصلح كل محاولاته ، ليفرق بين الدولة التي ساهمت في دعم الدين الإسلامي[١] • وأصبحت يوغندة مسلمة تدين بالإسلام ، وتساعد العرب وتساندهم في قضاياهم التحررية والمصيرية ••• وفي إطار التبادل الثقافي والإسلامي ، بين يوغندة والدول العربية والإسلامية ، تم ايفاد البعثات الإسلامية ، لنهل المزيد من الثقافة الإسلامية هناك ، وتساهم الدول العربية مثل المملكة العربية السعودية ومصر ممثلة في الأزهر الشريف ، مساهمة فعالة لدعم الإسلام في كل مكان ، بإيفاد بعثات من علمائه وفقهائه لتأكيد وإثراء الإسلام هناك منذ النصف الثاني لهذا القرن[٢] •

هذا ويعتبر القرن التاسع عشر ، نقطة التحول الكبير في حياة يوغندة ، فقد شهدت بدايته مرحلة استقرار الحضارة العربية والإسلامية،في مراكز عديدة من أرجائها • وكانت التجارة وسيلة الاتصال بين يوغندة والجاليات العربية الإسلامية التي استقرت آنذاك على الساحل الشرقي لأفريقيا •• وقد ساعد قرب الساحل على وفود التجار المسلمين وتمكينهم من نشر الدعوة الإسلامية ، وتوغلهم إلى عمق

---

[١] أحمد حامد: هكذا دخل الإسلام ٣٦ دولة ، ص ١٣١ ـ ١٣٢، بيروت ـ ١٩٨١م/ عبدالله الطرزي: انتشار الإسلام في العالم: ٤٦ دولة آسيوية وافريقية ـ الجزء الأول ، ص ١٣٠ ـ ١٣٢ ، جدة ١٩٨٥.

[٢] أحمد حامد ، نفس المرجع ، ص ١٣٥ ، ١٣٢.

يوغندة[1] ، لذلك فقد أبدت الإرساليات المسيحية في تقاريرها عن تخوفها من ازدياد حركة انتشار الإسلام بين الأهالي ، ويعود ذلك إلى جملة أسباب :

١ - كان التجار العرب يحرصون كل الحرص على أداء شعائر الدين في مواقيتها ، كما كانوا يختلطون مع الأهالي ، ويندمجون معهم في يسر وتسامح ، على عكس الأوربيين الذين يفضلون العزلة ، ويميلون إلى الاستعلاء والترفع عن الاختلاط بهم ، وإقامة الحواجز الاجتماعية .

٢ - إن الإسلام يسمح بالزواج من أكثر من واحدة ، مع اتفاق ذلك مع تقاليد البلاد ، الأمر الذي لا يبيحه الدين المسيحي .

٣ - إيمان المسلمين الوافدين ، بأنهم مجاهدين في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، وكثيراً ما يتزوج المسلم من وثنية أو مسيحية ، فسرعان ما تعتنق الأسرة بأكملها ، أو القبيلة الإسلام ، بمحض إرادتها تبعاً لذلك .

٤ - تنور الأهالي ، وتقدم الوعي القومي ، جعلهم ينظرون إلى المسيحية من المستحدثات الأوروبية وأغراضهم الاستعمارية[2] .

وكان المسلمون يؤدون شعائر دينهم بين أصحاب الديانات الأخرى ، ومع ذلك فقد ازداد عددهم ، وبنوا مساجدهم بكل ثقة واطمئنان ، وأنشأوا فيها الجمعيات الدينية . وتوجد المساجد الكبرى في مدن سوروتي بوجمب القريبة من جنجا، وفي مازكا وكاليرو . أما أجمل هذه المساجد ، فهو مسجد كمبالا ، الذي أقيم في ربوة عالية ، وسط قطعة أرض تبرع بها أحد أعيان المسلمين ... ويسود المذهب

---

[1] محمد السيد غلاب وآخرون: البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر ، ص ٨٢ - ٨٤ ، مجلة الدارة ، السنة الخامسة ، المحرم ١٤٠٠هـ/ ديسمبر ١٩٧٩م

[2] محمد عبدالمنعم يونس: أوغندا بين الاستعمار والكفاح الوطني ، ص ٩٧ - ٩٨٠/ عبدالله مبشر الطرزي: انتشار الإسلام في العالم: ٤٦ دولة آسيوية وافريقية - ج١ ، جدة ، ١٩٨٥ ، ص ١٣٥ - ١٣٧:
The Eurpa **Year Book, Europa Publications Limited, Vol.. 1, 1991, p. 1568.**

الشافعي بين جماعات الأحمدية والإسماعيلية • إلا أن التعليم الإسلامي ، يبدو عاجزاً في مقاومة الإرساليات المسيحية التي تزورها الجمعيات الدينية ومجلس الكنائس بالدعم المالي المستمر • ورغم ذلك أنشأت جمعيات إسلامية عديدة لمقاومة المد المسيحي والصليبي ، ولنشر الدعوة الإسلامية ، ومن أشهر تلك الجمعيات :

١) جمعية مسلمي أفريقيا في كمبالا ، ورئيسها الحاج أحمد بن كعب •
٢) جمعية الإسلام ، ورئيسها الشيخ شعيب •
٣) جمعية السودانيين ، ورئيسها الشيخ محمود السوداني •

ومن الشخصيات الإسلامية البارزة في يوغندة ، ولها دور كبير في دعم العمل الإسلامي، ونشر الإسلام في يوغندة، نذكر على سبيل المثال : الأمير بدر - وهو من أسرة باجندا الملكية ، وكان لأبيه مبوجو فضل كبير في نشر الإسلام في أوائل القرن العشرين[١] •

ومنهم كذلك الشريف مبارك على ضاوي ، وكان ممثلاً لسلطان زنجبار مولانا عبد الله شاه الهندي ، زعيم الهنود المنفيين في شرقي أفريقيا • ومنهم أيضا عبد القادر بن أحمد الجعفري العلوي الشافعي ، الذي استقر في ماسكاويني ، وأنشأ بها مدرسة إسلامية •[٢]

نخلص إلى القول ، إلى أن الإسلام ، يعتبر أول الأديان السماوية ، التي دخلت إلى يوغندة ، منذ زمن مبكر ، وازداد الانتقال تبعاً لذلك في العصور الحديثة ،عبر

---

(١) عطية صقر: الإسلام في يوغندة، مجلة الأزهر. يونيو ١٩٦١./ ابراهيم الزين صغيرون: الإسلام في يوغندا ، ص٨٩ - ٩٤.

(٢) Africa South of the Sahara, P. 1104 - The New Encylopidiea of World Geography Octopus Books Limited, London, 1978, p. 223, Sep., Journal Institute of Muslim Minority Affairs, Vol., 3/1 and Vol., 3/2 - 1981. pp.

طرق أخرى جديدة سلكها المسلمون إلى داخل يوغندة ، في خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وحتى مطلع القرن العشرين ، وهي إضافة جديدة ، إلى تلك الطرق التي سلكها المسلمون في العصور الإسلامية المبكرة ، في زمن الإمارات العربية الإسلامية التي سادت في ساحل شرقي أفريقية في العصور الوسطى .

أما أهم تلك الطرق التي اجتازها المسلمون إلى داخل يوغندة في العصر الحديث ، فتتمثل فيما يلي : -

١) طريق السودان ، أو وادي النيل بصفة عامة :

لقد سلك هذا الطريق ، رجال القوات السودانية الذين كانوا يؤلفون الوحدات العسكرية في الجيش المصري ... وكانت تلك الوحدات موزعة على الحاميات التي كانت تحت إمرة أمين باشا . ولما صدرت الأوامر بانسحابها نهائياً من تلك الأقاليم ، عقب اشتعال حركة محمد أحمد المهدي في السودان ، فضل بعض الجنود الاستقرار في يوغندة ، والاستيطان بين ربوعها ، ولاسيما في المنطقة الغربية ، وقام هؤلاء بدور ملحوظ في نشر الإسلام وثقافته . كما كان لبقايا جنود أمين باشا ، ووقوع بحر الغزال بجنوب السودان في أيدي قوات الثورة المهدية ، الأثر الكبير في تدفق جماعات إسلامية كثيرة ، فضلت البقاء في جنوب السودان ، ونزحت جماعات أخرى إلى يوغندة ، حيث طاب لها المقام في إقليم ماهاجي الذي يقع على بحيرة البرت ، كما وصلت البلاد جماعة من المحاربين القدامى في ثورة أحمد عرابي ، ووصلت إلى السودان ، ثم واصل بعض أفراد منها إلى يوغندة ، وفضلوا الاستقرار هناك ، رافضين العودة إلى مصر ، التي وقعت في قبضة الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢ م . وكان ملك يوغندة متيسا قد طلب قبل ذلك من سلطات المديرية الاستوائية في الجنوب ، والتي كانت تخضع للإدارة المصرية ، أن تبعث لهم هذه الإدارة بعض العلماء ،

ليقوموا بتعليم السكان تعاليم الإسلام • وكانت الجماعات التي وصلت إلى بحيرة فكتوريا بقيادة أمين باشا ، قد شكلت النواة التي تكونت منها ، ومن سلالتها، الجماعة الإسلامية، في يوغندة ، وبواسطتها انتشر الإسلام ، حول بحيرة البرت ، وفي أقليم تنجورو ، فوجد أرضاً طيبة / وظروفاً مناسبة[1] •

٢) طريق القوافل : من مراكش - وبلاد المغرب بصفة عامة إلى بلاد السودان الأوسط ، ولاسيما من جنوب تونس إلى بلاد البرنو غرب بحيرة تشاد ، ومن الجزائر إلى نيجيريا ، ومن ثم إلى الداخل ، حيث يجتاز هذا الطريق ، هذه البلاد ، إلى الكمرون وأفريقيا الوسطى ، ومن تشاد إلى غرب السودان وإلى بحر الغزال ، ثم إلى يوغندة ، وقد ازدهر هذا الطريق في زمن ازدهار الخلافة الصكتية التي أسسها المجاهد الكبير الشيخ عثمان بن فودي في مطلع القرن التاسع عشر ، وقد ساعد ازدهار هذه الدولة الإسلامية ، على تطور الطرق التجارية ، التي ساعدت في ربط أجزاء الخلافة بعضها ببعض • وقد سهل نهر النيجر الاتصال بين المدن منذ عدة قرون قبل الجهاد مثل دندي ويوري ونوبي ومعظم جنوب نيجيريا الحالية • وربطت هذه الطرق التجارية ، التي كان من أهمها طريق كنو - باداقري - وطريق كنو - قوانجو ، ربطت مناطق كبى ويوري ونوبى ورابا - إلى بلاد الأشانتي وداهومي والكونغو ويوغندة ، فأدى كل ذلك إلى وصول جماعات إسلامية كبيرة ، أدت تأثيراً بالغاً في

---

(١) محمد السيد غلاب ، حسن عبدالقادر صالح ، محمود شاكر: البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر - جامعة الإمام محمر بن سعود الإسلامية - الرياض ، ص ٦٧٧ ، وما بعدها/ ابراهيم الزين وآخرون: الإسلام في يوغندة ، ص ٢٤٠.

Islam In Africa, Edited by - Jamed Kritzech and William - H. Liwis H. Lewis Van Nostrand - Reinhold Company, New York 1969, P. 216.

نشر الإسلام في تلك الأماكن النائية[1] .

٣) طريق الشرق : وهو طريق ساحل أفريقيا الشرقي ، الـذي يصلـه مـن جنوب بلاد العرب وهو طريق بلاد اليمن وحضر موت وعمان والبحرين والإحساء ، إلى الساحل الشرقي ، ومصوع وبربره ، حيث أخذت هجرات المسـلمين تتدفـق علـى طول الساحل الشرقي من خليج عـدن ، حتى مـدار الجدي ، على حافة المنطقة الـتي كان جغرافيو العرب يطلقون عليهـا اسـم " بر الزنج " . وقد وفـدت جماعـات مـن عرب مسقط وعمان وحضر موت واليمن ، وتبادلت التجارة مع هذه الجهات ، الـتي عرفت بساحل الزنج وزنجبار وبمبا ... وقد وصل العرب من زنجبار إلى يوغندة ، في منتصف القـرن التاسـع عشـر ، ... وكـانت رسـالة العـرب حينـذاك ذات شـقين : الدعوة والتجارة ...

فكثرت القوافل التجارية العربية بين زنجبار ومنبسه ، وبين داخل القارة ... وراجت تجارة المنسـوجات والأسـلحة والحلـي في يوغنـدة ، كمـا أدخـل العـرب فيهـا نوعاًمن العملة وهي " المحار " المنظوم في عقود متفاوتة القيمة. وشجع زعمـاء القبـائل الأفريقية العرب ، على ارتياد المناطق المجاورة لمدنهم ، بعدما لمسـوا علـى أيديهـم الخـير الوفـير . ومنـح الملـك (متيسـا) حريـة الاسـتيطان لهـم في مملكتـه كعلمـاء وأسـاتذة دينيين. وبهذه الوسيلة أمكن للإسلام أن يصل إلى قلوب بعـض الأهـالي ، واعتنقـه في القرن التاسع عشر (أمبوجا) شقيق الملك[2] .

وقد انتشر الإسلام بعد ذلـك نتيجـة لهـذه الجهـود، ووصـل إلى ربـوع القـارة الأفريقية ، فاخترق نطاق الغابات في وسط هـذه القـارة وجنوبهـا ، ودخـل مـع بعـض المهاجرين من يوغندة إلى الكونغو ، .. كما نفـذ مـن الشـرق ووادي النيـل وهضبـة

---

(١)

Lavers, John, The Diplomatic Relations of the Sokoto Coliphate, sokoto proven cial Gasettear, P. 72. London, 1920. AFRICAm vOL., 2ND EDITION, 1857, p. 147.

(٢) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا ، ص ٩٦ ـ القاهرة ، ١٩٦٥م.

البحيرات وقلب الهضبة الحبشية ، وتخطى هذه المناطق إلى كينيا الداخلية وتنجانيقا (في تنزانيا حالياً) ، كما نفذ إلى جنوب القارة – وما زال ينتشر حتى اليوم ٠

والإسلام في أفريقيا الإستوائية ، يكاد يكون منحصراً في البلاد الساحلية ، وما يتاخمها من البلاد ٠ على أن منع تجارة الرقيق ، ومد خطوط السكك الحديدية ، قد اقترن بنشاط ملحوظ في نشر الدعوة الإسلامية ٠٠ واستطاع التاجر المسلم أن يشق طريقه إلى مناطق كانت مغلقة في وجهه حتى ذلك الحين ٠ وتحول كثير من أهل " يجندة " إلى الإسلام ٠٠٠ إلا أن زيارة ستانلي[1] لملك هذه البلاد عام ١٨٧٥م أدت إلى دخول بعثات مسيحية ،الأمر الذي ساعد على ضعف قوة المسلمين ، وزاد الأمر خطورة ، وضع يوغندة تحت الحماية البريطانية في عام ١٨٩٤م ، فازداد عدد الأفارقة الذين بدأوا في اعتناق النصرانية ، وتضييق الخناق على المسلمين٠ ومع ذلك فإنه لا يزال في يوغندة أعداداً كبيرة من المسلمين تشغل مراكز هامة ، وتحتل وظائف كبيرة ٠ كما اعتنقت الإسلام أعداد كبيرة من بلاد بوسوجا **Busoaga** (في شمال يوغندة) الإسلام في سنة ١٩٠٦م[2] ٠

كما ازدهرت الدعوة الإسلامية في عهد ملك الباغندا كيووا ، وكذلك عهد الملك كاليما الذي طرد المنصرين[3] ٠ ولكن مكائد البريطانيين بعد احتلالهم يوغندة ، وتشجيعهم للبعثات التنصيرية ، ودعمهم لها عرقل انتشار الدعوة خصوصاً في عهد الملك موانجا ، وشجعت البعثات التنصيرية البروتستانتية والكاثوليكية على العمل ، وأسندت التعليم إلى البعثات التنصيرية، وحرمت هذه البعثات المسلمين من تطوير مدارسهم ، وقيدت السلطات البريطانية الاتصال بين شمال يوغندة وجنوب السودان خوفاً من انتشار الإسلام ، ورغم هذه العقبات ، اتسع انتشارالإسلام في يوغندة بجهود ذاتية ، ولولا جهود السلطات الاستعمارية لأصبح الإسلام دين الأغلبية في

---

[1] سيأتي الحديث مفصلا عن ستانلي في فقرات تالية.

[2] حسن ابراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الافريقية ـ الطبعة الثانية ، ص ١٨٧ ، القاهرة ، ١٩٦٤م.

[3] سيد عبدالمجيد بكر: الأقليات المسلمة في افريقيا ، ص ١٢٧.

يوغندة .[1]

ووصل الإسلام عن طريق آخر أيضاً، تمثل في قدوم المسلمين من الهند وباكستان حيث استقدمتهم بريطانيا لمد خطوط السكك الحديدية ،وزادت هجرة هذه الجماعات الآسيوية أيام سيطرة بريطانيا على الهند والباكستان ، فعمل العديد منهم في التجارة واستوطنوا يوغندة ، وزرعوا القطن ، وقصب السكر ، والشاي . غير أن بريطانيا عرقلت انتشار الدعوة الإسلامية ، فمنعت قدوم المسلمين من الشمال ، واقامت جامعة ماكريري في يوغندة كبديل لجامعة الخرطوم[2] ، لتعوق اتصال المسلمين بالشمال، وفصلت المسلمين من الوظائف الحكومية ، وعهد للبعثات التنصيرية بالإشراف على التعليم في يوغندة ، لتقطع الصلة بين المسلمين في يوغندة والثقافة الإسلامية ، وهكذا مثل الإحتلال عقبة خطيرة في سبيل الدعوة الإسلامية .

وأكملت بريطانيا حلقة الحصار بمعاهدة (مانجو) التي وقعت في سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٩م) بين ملك يوغندة وبريطانيا ، ونصت على أن يكون الملك ورئيس الوزراء من أتباع الكنيسة الإنجلكانية ، وكذلك وزير المالية ، بينما يكون وزير العدل من أتباع الكنيسة الكاثوليكية ، وهكذا ضمنت بريطانيا وقوف السلطات في وجه الدعوة الإسلامية[3] .

إكتشاف منابع النيل :

كان بطليموس الجغرافي أعظم الجغرافيين الذين وصفوا منابع النيل الاستوائية في داخل يوغندة . وكان أول من جمع المعلومات التي اهتدى إليها سائر المستكشفين والتجار والسائحين ، في كتاب أصبح المرجع الأكبر ، إن لم يكن الوحيد منذ القرن الثاني الميلادي الى القرن السادس عشر ... والمعروف أن منابع النيل الاستوائية ،

---

[1] نفس المصدر ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

[2] المصدر السابق ، ص ١٢٨.

[3] سيد عبدالمجيد بكر ، الأقليات المسلمة في افريقيا ، ص ١٢٨.

قد شغلت أفكار الكثيرين من المفكرين من قديم الزمان . ونظراً لصعوبة المواصلات في ذلك الوقت ... ونظراً لصعوبة الوصول إلى أواسط أفريقيا ، حيث منابع النيل الاستوائية ، بقيت يوغندة إلى القرن التاسع عشر مجهولة ، دون أن يعنى بها المستكشفون في وقت تنشط فيه حركة الاستكشاف[1] .

وأول من اخترق أراضي يوغندة في القرن التاسع عشر ، الرحالة بيرتون Burton ، في حوالي عام ١٨٥٤م ، وذلك في أثناء رحلته التي اكتشف فيها المنابع العليا للنيل ، وهو بذلك قد يكون أول أوروبي يطرق هذه الأجزاء[2] .

ولقد حزا صمويل بيكر حذو الرحالة بيرتون ، وذلك عندما عين مديراً لمديرية خط الاستواء المصرية سنة ١٨٦٤م ، فاكتشف بحيرة البرت في ذلك العام، واستطاع أن يضم بعض المناطق مثل بنيورو إلى الإمبراطورية المصرية ، ثم خلفه القائد غوردن باشا فأرسل المبعوثون إلى مملكة يوجندا ، ووصل فريق من المبعوثين البروتستانت إلى يوغندة عام ١٨٧٧م لتعيين الطريق الذي اتبعه العرب من زنجبار ، وجاء من بعدهم فريق من القساوسة الفرنسيين عام ١٨٧٩م . وفي أثناء حركة محمد أحمد المهدي بالسودان ، كان أمين باشا (الألماني الأصل) ، حاكماً علىٰ الأقاليم الاستوائية من السودان المصري ، بما فيها القسم الشمالي من يوغندة ، فقطع كل إتصال بينه وبين الخرطوم ، ثم إنقذه الرحالة ستانلي ، وثار فريق من جنود أمين باشا بقيادة ضابط مصري إسمه سليم بك مطر ،وظلوا في توروا ، وهي الأن بالكنغو[3] .

دخل أمين باشا بعد ذلك في خدمة الشركة الألمانية ، وكلف بقيادة حملة إلى

---

(١) محمد عبدالمنعم ، أوغندا بين الاستعمار ، ص ١٦ - ١٧.

(٢) زاهر رياض: المرجع السابق ، ص ٢٣٢ ، وما بعدها:

Burton Lake regions of Central Africa, Vol., 1, p. 323. Coupland East Africa and its Invaders, pp. 270 - 300.

(٣) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا ، ص ٩٥.

الشواطيء الجنوبية لبحيرة فكتوريا ، ونجح في أن يعقد معاهدة مع ملك يوغندة ، هـذا في الوقت الذي كـانت تعمـل شـركة بريطانيـة للوصـول إلى هنـاك أيضـاً[1] . وكـان الدكتور لفنجستون قد شرع في ذلك الوقت على إعداد حملة للتأكد من منابع المياه في المنطقة الواقعة ما بين نياسا وتنجانيقا ، ولكن أخبار تلك الحملة ما لبثت أن انقطعت ، واهتم العالم بالبحث عن لفنجستون ، وندب المستر ستانلي لتلك المهمة ، وبدأ ستانلي جهوده بتكليف من غوردن الذي قابله في باريس في مارس عام ١٨٧١م ، وطلب منه القيام بهذه المهمة التي بدأها من زنجبار . ورغم العقبات التي صادفت مهمته ، إلا أنـه اهتـدى إلى بعـض المعلومـات ، كـان مـن أهمهـا ، أنـه اسـتطاع الوقـوف علـى وفـاة لفنجستون في مجاهل أفريقيا ، والأمر الآخر أن العالم لا يعرف سوى القليـل عـن بحـيرة فكتوريا .

أما بحيرة تنجانيقا ، فلابد أن لها مخرجا ما دامت ليست بمالحـة ، وكذلـك يمكـن إلقاء بعض الضـوء علـى بحـيرة الـبرت . . . وعلـى ذلـك واصلـت الحملـة سيرها ، فتمكنت من كشف بعض المناطق في أواسـط أفريقيـا . وفي شـهر أغسـطس مـن عـام ١٨٧٥م مرت الحملة بمصب نيل الكسندرا ، ووصلـت إلى ريمـو في يوغنـدة . . ثـم سلكت الطريق البري ، وكان جميع أفرادها يسيرون على الأقدام ، إلا أنهـم في النهايـة تمكنوا من الوصول إلى الرافد الرئيسي لبحيرة البرت ، وهو نهر كاجيدا الـذي يعتـبره الأهالي " أم النهر " .[2]

في سـنة ١٨٧٥م زار سـتانلي بوجـانده ، وقـدر امكانيـات وصلاحيـة البـلاد كميدان خصب لعمل المبشرين ، في نشر المسيحية . فأرسل بموافقة مـو تيسـا برسـالة إلى جريدة الديلي تلغراف اللندنية ، يطلـب إرسـال بعـض المبشـرين الإنجليز إلى أرض الجاندة . . . ورغم صعوبـة الوصـول إلى يوغنـدة ، فقـد تطـوع ثمانيـة مـن المبشـرين الإنجليز بالذهاب إلى أرض الجاندة . . . وفي سنة ١٨٧٦م وصـل (الآبـاء البيـض) ،

---

[1] أوغندا بين الاستعمار والكفاح الوطني ، ص ٢٢٣:

Burton, Op. Cit., p. 323.

[2] زاهر رياض: كشف افريقيا ، ص ١٩٦ - ١٩٧. دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦١.

مع أتباع كنيسة روما الكاثوليكية تحت رئاسة الأب (لورديل)[1] .

حاول البروتستانت القادمون من بريطانيا ، اكتساب عطف موتيسا ، لكي يمهدوا السبيل لسادتهم المستعمرين البريطانيين ، فألفوا جماعة من الموالين لهم من أهالي البلاد ، عرفت باسم البا - انجليزا Ba-Ingleza . كما عمل الكاثوليك - رداً على هذا - على تنظيم المناصرين لهم في جماعات أطلق عليها إسم با - فرنسا Ba-Fransa، وذلك للعمل على ضم هذه البلاد للمستعمرات الفرنسية . وقد قامت الحرب بين هاتين الطائفتين ، وكان غرضها الظاهري هو المحافظة على الكاباكا مو تيسا ملك بوجندا ، لكنها في الحقيقة كانت تعمل لاغتصاب البلاد ... وفي أثناء القتال الدائر بين البروتستانت والكاثوليك ، ظهر المسلمون من العرب وأنصارهم من السودان كقوة ثالثة ، وانضموا إلى الشعب اليوغندي ، وحاولوا ضم الملك مو تيسا إلى صفوفهم ... إلا أن موته المفاجيء سنة ١٨٨٤م كان صدمة لهم غير متوقعة . وهكذا تحددت الجولة الأولى من الصراع بين تلك الطوائف المتنازعة ، وحسمت لصالح لوجارد ممثل شركة شرق أفريقيا البريطانية الإمبريالية ، واصبح لوجارد سيد الموقف في يوغندة . كان هذا بداية السيطرة والنفوذ البريطاني ، كما كان الخطوة الأولى التي مهدت لنشر المسيحية ، الأمر الذي أدى بالتالي إلى اضمحلال دور الإسلام في المنطقة - فاصبح رجال التبشير والإرساليات الدينية ، هم العناصر الأولى للسيطرة الاستبدادية المستعمرة[2] .

لذلك يمكن القول ، أن أول السبل التي مهدت الطريق للإستعمار البريطاني ، هو كشف يوغندة ، ثم جاءت المرحلة الثانية وهي نشر المسيحية ، ثم استغلال خيرات

---

(١) محمد عبدالفتاح يونس: افريقيا من مصب نهر الكونغو إلى منابع النيل في هضبة البحيرات:
Horrabin, F: - An Atlas of Afric, p> 92, lOndon, 1960.

(٢) افريقيا من مصب نهر الكونغو ، ص ٢٧٩ - ٢٨٢. زاهر رياض: استعمار القارة الافريقية واستقلالها ، ص ٢٢٩. قدري قلعجي: لقمبا ن ص ٧٧ - ٧٨ ، بيروت ، ١٩٦٧م.

هذه البلاد ، والسيطرة على منابع النيل .

كان السلطان سعيد برغش يسيطرعلى جزءً كبير من شرقي أفريقيا ، وذلك منذ أن قدم إلى جزيرة زنجبار من مسقط عام ١٨٣٨م واتخذها مقراً لملكه الذي يشمل كلاً من مسقط وساحل أفريقيا الشرقي . وعمل السلطان سعيد على تطوير دولته وإنمائها ، بتشجيع التجار الأجانب إليها سواء كانوا من الهنود أو الأوروبيين . وكان النفوذ البريطاني في الهند قد جعل بريطانيا ، صاحبة النفوذ الأكبر لدى هذا السلطان ، وخاصة منذ أن تولت حركة مقاومة تجارة الرقيق ، ونشطت سفنها في البحر الأحمر والمحيط الهندي في تتبع السفن التجارية . وبحكم هذا النفوذ استطاعت بريطانيا أن تعقد معه معاهدة يتعهد فيها السلطان بتحريم تصدير الرقيق ، رغم ما في هذا الاتفاق من أضرار بمصالحه ... وتوفي السلطان سعيد سنة ١٨٥٦، وساندت بريطانيا أحد أبنائه في خلافة اخوانه ، فكان نتيجة ذلك ازدياد مكانتها في شرقي أفريقيا . وارتفاع نفوذها هناك . كما ازداد نفوذ بريطانيا حجماً بعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م. وفي خلال هذه الفترة اتخذ المستكشفون والمبشرون البريطانيون وغير البريطانيين ، من موانيء شرقي أفريقيا معابر إلى داخل القارة . وكان التجار العرب ينظرون إلى هذه الجهود الأوربية نظرة ريبة وشك وعدم اطمئنان إلى هذا التدخل الجديد ، الذي رأوا فيه بداية للقضاء على نفوذهم الذي اكتسبوه خلال قرون عديدة . وفي خلال هذه الفترة التي تسابق المغامرون في المنطقة ، يحملون أعلام بلادهم ليدنسوا بها الأرض العذراء ، رفع البريطانيون علم بلادهم على يوغندة .[1]

واعتبرت يوغندة محمية بريطانية على إثر المعاهدة الإنجليزية التي عقدت عام

---

[1] زاهر رياض ، المرجع السابق ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩. صلاح العقاد - جمال زكريا قاسم ، زنجبار ، ص ١٤٤ - ١٤٥ ، القاهرة ، ١٩٥٩.

Gray, j., History of Zanzibar from the Middle Ages to 1856, p. 82, London, 1962.

١٨٩٠م وعرفت بمعاهدة هيوجولاند • وبدأت بريطانيا منذ ذلك التاريخ بتدعيم نفوذها في المنطقة بمعاهدات عقدتها مع الملوك والزعماء والسلاطين المحليين ، وأهمها المعاهدة المشهورة باسم " اتفاقية أوغندا " سنة ١٩٠٠م ، ومن بنودها تنازل كاباكا بوجندا والزعماء الآخرين عن ملكية أراضيهم لمصلحة بريطانيا • وبموجب هذه المعاهدة أصبحت لبريطانيا السيطرة الشرعية على استثمار أراضي يوغندة زراعياً ومعدنياً • وقد لعب رجال الدين دوراً هاماً في تثبيت أقدام المستعمرين في يوغندة ، وجعلوا هوة واسعة بين الطبقات الشعبية من أتباع الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتيه، وكان الصراع والنزاع لا يهدأ بين الطائفتين ، وقد حدثت عدة اشتباكات ومعارك بين السكان ، نتج عن ذلك اسوأ العواقب ، كما ساعد المستعمر على إذلال الشعب اليوغندي ، ونهب ثرواته ، وتحطيم قواه[١] •

إن الإسلام الذي انتشر في يوغندة - كما أسلفنا - عن طريق ساحل شرقي أفريقيا ، عن طريق التجار والدعاة ، وعن طريق السودان ، فازدهر ، وزاد معتنقوه من الأهالي ، وأصبح المسلمون قوة في يوغندة لا يستهان بها - عمل المستعمرون منذ الوهلة الأولى ، على كسر شوكته ، وإضعاف شأنه • ولقد منح الملك مو تيسا وابنه موانجا للمسلمين فرصاً وتأييداً كبيراً ، وظروفاً كان من الممكن استغلالها لتدعيم مركز الإسلام والمسلمين في يوغندة بصفة مستديمة • وقد ساد الإسلام في ربوع يوغندة ، فاصبح له مركز الصدارة خاصة في الفترة الواقعة بين سنة ١٨٧٠ - ١٨٩٠ م ولكن هزيمة الملك كاليما أدت إلى إضعاف نفوذ المسلمين ، وخاصة بعد هزيمتهم الثالثة في عام ١٨٩٣م ، فانزوى المسلمون حينئذ في مركز توميالا في غربي العاصمة كمبالا • وقد اعتنق الأمير نومو أمبوجو الإسلام ، وتولى أمر المسلمين ، والاهتمام بهم ، والعناية بشئونهم ، فصار زعيماً لهم ، فبادلوه الحب والتقدير ، كما نصب ملكاً في

---

(١)

Reusch, History of East Africa, p. 290.,

زاهر رياض ، المرجع السابق ، ص ٢٢٩ وما بعدها.

الفترة ما بين ١٨٩٠-١٨٩٢م ، إلا أن لوجارد استطاع التأثير عليه ، وتمكن من ضمه إلى صفوفه ، فتوقف نشاطه ودعمه للإسلام والمسلمين ، وبوفاة هذا الأمير من بعد ذلك بقليل ، تأثر مركز المسلمين ، وافتقروا إلى الشخصية القوية التي تقف معهم وتشد من أزرهم ، ومن ذلك الحين لم يحظوا بشخصية قوية ، ومكانة مرموقة ، الأمر الذي أدى إلى تشتتهم وضعف مركزهم[١] .

ولا شك أن السياسة الاستعمارية التى اتبعها البريطانيون إزاء المسلمين كان لها أكبر الأثر في إضعاف شأنهم ، فكانت تقدم المعونات والدعم السخي باستمرار للهيئات المسيحية ، لتتمكن من أداء رسالتها ، ومزاولة نشاطها في التبشير والتعليم وإنشاء المستشفيات ، الأمر الذي كان يقرب الأهالي إليها ، فأوجد لدى هؤلاء الإحساس بأن انتمائهم للمسيحية سيوفر لهم كسباً ومغنماً كبيرين ، في حين أن المسلمين اصبح يعوزهم مثل هذا التأييد والدعم الذي كانوا في أشد الحاجة إليه لتدعيم مكانتهم . ومما يؤكد ما ذهبنا إليه ما يلي :

أولا : مناصرة لوجارد ، على حساب الكاثوليك أثناء اشتباك الطرفين . فإذا كان هذا مسلك البريطانيين إزاء أبناء مذهب آخر من نفس ديانتهم ، فكيف يكون مسلكهم إزاء أنصار دين آخر ؟.

ثانيا : مجهودات غوردون[٢] للحيلولة دون انتشار الإسلام ، وذلك أن مو تيسا ، كان قد أرسل إلى السلطات المصرية في أعالي النيل قبل ذهاب غوردن يطلب إليها إيفاد عالمين مسلمين ليقوما بتعليمه وشعبه ، مباديء الإسلام ، ولكن غوردن بادر لدى توليته السلطة ، بإرسال بعثة إلى مو تيسا لتحول دون اعتناقه

---

[١] أوغندا بين الكفاح الوطني والاستعمار البريطاني ، ص ٩٦ - ٩٩.

[٢] غوردون ، كان مكتشفا ، ثم حاكما علي الإقليم الاستوائي بجنوب السودان ، ثم حاكما على السودان في الخرطوم، وقد قتله انصار الإمام محمد أحمد المهدي عند حصارهم الخرطوم عام ١٨٨٤م.

الإسلام ، وتحمله على الدخول في المسيحية[1] .

ثالثا : عملت السلطات البريطانية الحاكمة في يوغندة على منع خروج الطلبة الأوغنديين إلى أي قطر من الأقطار العربية لإتمام دراساتهم الإسلامية .[2]

لقد اتبعت السياسة الاستعمارية البريطانية أسلوباً فريداً في حكمها لمستعمراتها في إفريقيا ، فأوجدت ما أسمته نظام مستعمرات التاج ، حيث يعين لكل مستعمرة حاكم ، يستعين في إدارة الإقليم بمجلس تشريعي يختاره لنفسه من بين الموظفين البريطانيين ، والبعض الآخر من غير الرسميين . وقد قسم البريطانيون يوغندة إلى أربع مقاطعات ، يحكم كل مقاطعة منها ملك ، وولايتين تخضعان للحكم البريطاني المباشر ، وتصب كل هذه السلطات عند الحاكم العام الذي اتخذ مقره في (عنتبى) ، ويعاونه مجلس تشريعي تنفيذي ، ويتكون هذا المجلس من ١٦ عضواً ، يعينهم الحاكم العام ، منهم أربعة أوربيون ، وثمانية أفريقيون ، وأربعة هنود[3] .

أما أهم المناطق الحضرية في يوغندة فهي :

١) كمبالا : تعتبر أهم المدن اليوغندية ، حلت محل عنتبى كعاصمة للبلاد ، وقد تحول إليها مركز الحكم والإدارة . كما أن كمبالا مركز صناعي وتجاري رئيسي ، تتجمع فيها وتخرج منها طرق النقل المختلفة لتربطها بأنحاء البلاد الأخرى ، وهي كذلك المركز التعليمي والثقافي الرئيسي و، وفيها جامعة ماكريري .

٢) عنتبى : كانت العاصمة القديمة ، وتبعد حوالي ٣٢ كم من كمبالا . تأسست عام ١٨٩٣م ، وهي ليست مدينة كبيرة ، ولكن تأتي أهميتها من كونها محطة جوية رئيسية على طرق الملاحة الجوية العالمية ، كما أنها ترتبط بكينيا

---

[1] أوغندا بين الكفاح الوطني والاستعمار البريطاني ، ص ١٠٠ ـ ١٠١.

[2] المرجع السابق ، ص ١٠١

[3] صلاح صبري: افريقيا وراء الصحراء ، ص ٥٠ ـ ٥١ ، القاهرة، ١٩٦٠.

بخدمة بحرية منتظمة[1] .

مرحلة الكفاح الوطني :

تميزت يوغندة بشعب له ثقافة وتاريخ ، وهو في ذلك كثير الشبه بشعوب غربي أفريقيا ، ولذلك نزعة للوطنية فيها منبثقة من الداخل ، وكانت بوجندا تزعم الحركة الوطنية الصاعدة ، فظهرت طبقة شعبية واعية بجانب الطبقة الأرستقراطية الحاكمة . وقد أدى نفي الكاباكا إلى التفاف الشعب اليوغندي حوله ، وعلى تركيز أماني شعب يوغندة بأسره في تلك الروح الوطنية العارمة[2] . ونتيجة للتسلط البريطاني واستبداده ، استيقظ عدد غير قليل من المواطنين ، فتنادوا إلى بحث واقعهم المؤلم ، فألفوا جمعيات وطنية متعددة للدفاع عن حقوق الشعب اليوغندي، وبدأت هذه الجمعيات تمارس نشاطها بين المواطنين ، وقد صادفت من السلطة البريطانية جميع أصناف الإضطهاد ، وكل أنواع العسف والعذاب ،على أن هذه الأعمال الوحشية واللاإنسانية ، لم تزد الشعب اليوغندي ،إلا ضراوة وصلابة في الدفاع عن حقوقه الاجتماعية والسياسية ، وعن مطالبته بالحرية الكاملة .[3]

وظلت الاضطرابات والمظاهرات تهدأ حينا ، وتنفجر حيناً آخر حتى عام ١٩٥٣م ، عندما ألقت الحكومة القبض على الملك مو تيسا الثاني ... الذي طالب بالحكم الذاتي ، وكان هذا الملك يتمتع بشعبية قوية، فغدا الكفاح الوطني أكثر اتساعاً من ذي قبل ، وأكثر تصميما على إعادة الملك المنفي خارج بلاده إلى عرشه . وأخيراً أذعنت السلطات البريطانية للأمر الواقع ، فعاد الملك إلى عرشه في ١٦ تشرين الأول سنة ١٩٥٥م ، وانتصر الشعب اليوغندي بصلابته وصموده[4] ، وشكل

---

[1] محمد عبدالغني ، افريقية دراسة شخصية الأقاليم ، ص ٣٣١ ، القاهرة ، ١٩٦٦م.

[2] صلاح صبري ، المرجع السابق ، ص ٥٦.

[3] قدري قلعجي ، المرجع السابق ، ص ٧٩.

[4] المرجع السابق ، ص ٨٠.

الزعماء الوطنيون حركتهم الوطنية ، وهي جماعة تطالب بتحقيق أهداف التحرر الاقتصادي ليوغندة ، وإلغاء نظام الاحتكار الذي تتبعه الحكومة الاستعمارية ٠ ولكن الحكومة أصدرت قانوناً على هذه الجماعة ، ولم يلبث الزعماء الأحرار أن كونوا جماعة جديدة باسم " حركة الحرية " تتبع نفس أهداف الجماعة السابقة ٠ وأعلن مولسيدا أحد زعمائها أن هدف هذه الحركة هو الدفاع عن الاستقلال الاقتصادي للآفريقيين ، واستقلال يوغندة ٠ وتعارض الحركة الجديدة المجلس التشريعي القائم ، وتطالب بجمعية عمومية ديمقراطية ٠ وقامت بعد ذلك عدة أحزاب وطنية ٠ وبعد كفاح ونضال نالت يوغندة حريتها واستقلالها في ٩أكتوبر سنة ١٩٦٢م[١] ٠

ولقد ازدهرت الدعوة الإسلامية بعد الاستقلال ٠ وفي عهد الرئيس عبده أمين انضمت يوغندة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي ، غير أن الحكومات التي تلت حكم الرئيس عيدي أمين امتنعت عن إرسال مندوبين للمؤتمر الإسلامي ، ورغم هذا اتخذ المؤتمر العاشر قرارات بمساعدة اللاجئين اليوغنديين المسلمين الذين فرّوا من الاضطهاد الذي تعرض له المسلمون في الأحداث التي وقعت في سنة ١٣٩٩هـ ، وقدر عددهم بخمسين ألف لاجئ من مسلمي يوغندة ٠ وتعرض المسلمون إلى حرب إبادة على أيدي قوات تنزانيا التي أرسلها جوليوس نيريري للقضاء على حكم عيدي أمين ٠ ويوجد المسلمون الآن في منطقة الباسوجا في شمالي يوغندا ، وفي مانجو ، ومازاكا حيث قبائل الباغندا ، وفي أقاليم انكولى ، وتورو ، وموينيدي ، وفي شرقي يوغندة وفي شمالها على ضفاف مجاري نهر النيل في سوجا ، وجانوا[٢] ٠

الهيئات الإسلامية في يوغندة في الوقت الحاضر[٣] :

---

(١) افريقيا وراء الصحراء ، ص ٥٧.

(٢) سيد عبدالمجيد بكر: الأقليات المسلمة في افريقيا ، ص ١٢٨.

(٣) أخذتها بحذافيرها من المرجع السابق: سيد عبدالحميد بكر في كتابه: الأقليات المسلمة في افريقيا ص ١٢٩.

١) المجلس العالمي لمسلمي يوغندة، يشكل الدور القيادي لكل المسلمين في يوغندة ، وقد باشر دوره القيادي بعد اتفاقية مكة المكرمة التي أشرفت عليها رابطة العالم الإسلامي .

٢) الهيئة الخيرية الإسلامية .

٣) جمعية الطلاب المسلمين .

٤) اتحاد الأساتذة المسلمين .

٥) الجمعيات النسائية وتضم :

أ - الجمعية النسائية اليوغندية . ب - جمعية المحصنات .

ج - جمعية الأمهات المسلمات . د - جمعية الشابات المسلمات .

٦) اتحاد الطلبة المسلمين بجامعة ماكريري ٠٧) اتحاد الشباب المسلم .

٨) مركز المعلومات الإسلامي ٠٩) جمعية التبليغ الإسلامي .

وتتعدد الهيئات والمؤسسات الإسلامية ، ومعظمها في كمبالا ، حيث توجد ١٤ هيئة ومؤسسة . وفي جنجا مؤسستان ، وواحدة في كل من أريو ، ومبالي . وتقام المدارس والمعاهد الإسلامية بالجهود الذاتية من داخل البلاد ومن خارجها . ومن المدارس الإسلامية بيوغندة : الكلية الإسلامية بالقرب من كمبالا ، ومعهد بلال الديني ، ومدارس التقوى الإسلامية في مدينة مازاكا ، ومدرسة الين في كتومو ، والمعهد الديني في جنجا ، ودار الحنان في جنجا ، ومدرسة بومبو الثانوية . ومن أكبر المشاكل التي تواجه المسلمين في يوغندة ، ضعف امكانياتهم أمام البعثات التنصيرية ، وعدم تمثيل المسلمين في السلطة ، ورغم هذا فإن تقارير البعثات التنصيرية تفيد أن العديد من اليوغنديين يعلنون إسلامهم كل يوم ، مما جعل أنصار الإسلام يتزايدون

بجهود ذاتية[1] ورغم الخلافات بين الفصائل الإسلامية لأسباب عرقية تمكنت على أثرها رابطة العالم الإسلامي من احتوائها بعقد اتفاق مكة المكرمة في مارس ١٩٨٦م.

وعلى وجه العموم فإن المسلمين في يوغندة ، يعانون من الأمية والفقر وقلة الامكانات المتاحة في مواجهة ما تقدمه البعثات التنصيرية من معونات مادية ومعنوية، حيث سيطرت تلك البعثات على النظام التعليمي ، وأدخلت عليه بعض القيم الغربية، بهدف التأثير على النشىء ، وصرف الأنظار عن الدين الإسلامي[2] . وتضطلع المملكة العربية السعودية بجهود كبيرة للنهضة بمستوى المسلمين في يوغندة تعليمياً وثقافياً واقتصادياً ، وقد كانت لزيارة المغفور له الملك فيصل – طيب الله ثراه – ليوغندة عام ١٣٩٢هـ أبلغ الأثر في النهضة بأحوال المسلمين ، وساعدت كثيراً على الحد من النشاط التبشيري والمد الإسرائيلي الذي تزايد تحت ستار المعونة الفنية والخبرة المتطورة . وتساهم المملكة بجهود خيرة في سبيل إنشاء جامعة إسلامية جديدة.[3]

ويفرد سيد عبد المجيد بكر بعض المتطلبات التي من أهمها التوسع في المشاريع الخيرية الخاصة بكفالة الطلاب المسلمين ، وتنشيط دور الشباب الجامعي ، وإنشاء معهد متطور للدعاة ، والتوسع في المنح الدراسية بجامعات العالم العربي والعالم الإسلامي [3] وبهذا يمكن وضع حد الى سيطرة المسيحيين على التعليم ووسائل الإعلام، كما يمكن القضاء على الأمية والفقر بدعم الدعاة والمتخصصين وإنشاء مراكز إعلامية لمواجهة الإعلام الغربي والمسيحي الذي يسعى عبر وسائل غير مباشرة إلى تشويه صورة الإسلام في أفريقيا عموماً . والثابت أن مشكلة التعليم الإسلامي تعد من كبريات المشاكل التي يعاني منها المسلمون هناك ، فلا توجد مؤسسات كافية للتعليم ولا يوجد اهتمام واسع به ، وهذه المسألة الهامة تحتاج إلى التفات واهتمام واسع . والأمل كبير في أن تولي الجهات المعنية بالدعوة الإسلامية ، إنشاء مدارس

---

[1] سيد عبدالمجيد بكر ، المرجع السابق ، ص ١٣١ - ١٣٢.

[2] المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم ن ص ١٢٥.

[3] المرجع السابق ، ص ١٢٦.

إسلامية بيوغندة ، وبالامكانات المتاحة . ومنظمة الدعوة الإسلامية منظمة ذات اهتمامات متعددة بالدعوة الإسلامية ، ولها مركز عمل بيوغندة ، وهي من هذا المنطلق جديرة بالعناية والاهتمام بهذا الموضوع الهام ، كما يمكن الاستعانة والتنسيق مع المؤسسات الأخرى ، حتى تتحقق الأهداف المنشودة بإذن الله .

الفصل الثالث

كينـــــــيا

كينيا الموقع والمساحة :

تقع هذه المنطقة بين تنزانيا ويوغنده والصومال وتمسها شمالاً اثيوبيا والسودان . وتقدر مساحة كينيا بـ ٢٢٤٫٩٦٠ ميلاً مربعا ، منها ٢١٩٫٧٣٠ يقع في القارة ، وما تبقى عبارة عن جزء من جزيرة تقع بالقرب من الساحل . وتنقسم كينيا إلى خمس مديريات هي : ممبسه وتبيدي وناكورو ونيانزا (كيسومو) ، وعاصمة كينيا هي نيروبي ، وممبسه هي الميناء ، وتقع على الساحل[١] ، ويصل عدد سكانها حوالي ٢٥ مليون نسمة تقريباً . ويعتبر المسلمون في كينيا أكثرية بالنظر إلى أن نصف عدد السكان من الوثنيين ، ونحو ١٥٪ يدينون بالمسيحية ، ومن ثم يشكل المسلمون ٣٥٪ من إجمالي عدد السكان وتنتشر المسيحية في داخل البلاد عن طريق البعثات الدينية ولاسيما الإرساليات البريطانية الكاثوليكية والفرنسية والإيطالية ، وكذلك على مذهب البروتستانت ، وفي كينيا جالية هندية كبيرة[٢] . نالت كينيا استقلالها في سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م ، وأعلنت بها الجمهورية في السنة التالية لاستقلالها، وكانت بريطانيا قد احتلتها عقب توقيع معاهدة مع ألمانيا لاقتسام شرقي أفريقيا في سنة ١٣٠٥هـ - ١٨٨٨م . وقام هذا الاحتلال على أنقاض تمزيق دولة (آل بوسعيد) الإسلامية ، فأخذت ألمانيا القسم الجنوبي أو تنجانيقا (تنزانيا حالياً) ، وأخذت بريطانيا كينيا والقسم الأكبر من الصومال[٣] . وتقع كينيا في الوسط الشرقي لأفريقيا . وتمر بها الدائرة الاستوائية ، وتشرف بحدودها الشرقية على المحيط الهندي ،

---

[١] عبدالرحمن زكي ، المسلمون في العالم ، القسم الثاني ، افريقيا الإسلامية ، ص٢ ، القاهرة ، ١٩٦٥ د. سيد عبدالمجيد بكر ، الأقليات المسلمة في افريقيا ، ص ٨٩.

[٢] عبدالرحمن زكي ، الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا ، ص ٩٣: المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات في العالم، ص ١٢٦. سيد عبدالمجيد بكر ، ص ٨٨ - ٨٩.

[٣] سيد عبدالمجيد بكر ، المرجع السابق ، ص ٩١.

وتبدأ أرضها بمستنقعات ساحلية تنمو بها غابات المنجروف ، يليها سهل ساحلي يمتد بطول البلاد من الشمال إلى الجنوب • ويتكون الشعب الكيني من مجموعة قبائل من أهمها قبائل البانتو والكيكويو والماساي والجالاوالكامبا ، وهناك جماعات أسيوية من العرب والهنود والباكستانيين والفرس ، ويتمركز الوجود العربي والفارسي منذ قديم الزمن على الساحل المطل على المحيط الهندي ، وخاصة في مدن ممبسه ومالندي وبيت ولامو •

والزراعة هي عصب الاقتصاد الكيني ، وتعتمد الزراعة على الأمطار والري حول الأنهار ، ويزرعون الذرة والقمح والأرز والكاسافا والموز ، بالإضافة إلى حاصلات نقدية تتمثل في القطن والبن والشاي وقصب السكر والسيسل • والرعي حرفة هامة في كينيا ، وثروتها من الأبقار والماعز والأغنام والإبل[1] •

ازدهرت الحضارة الإسلامية في ساحل شرقي إفريقيا منذ العصور الوسطى ، ودخل الإسلام الساحل الشرقي منذ وقت مبكر ، وتجمع المصادر والروايات أن ساحل شرقي أفريقيا شهد الإسلام منذ القرن الأول الهجري ، واستقر العرب في هذا الساحل ، الممتد من مقديشو شمالاً إلى سوفالا في روديسيا جنوباً منذ قرون مبكرة ، وبالطبع فإن الساحل الكيني يغطي مساحة كبيرة من هذا الساحل الطويل ، وحظي بوجود عربي إسلامي مكثف منذ زمن الخلفاء الراشدين ، حيث استقر المسلمون في منطقة بنادر وحول ممبسة ومالندي ولامو منذ ذلك الحين[2] •

لذلك حفلت البلاد بحضارة إسلامية راقية ، منذ القرون الإسلامية الأولى ، وأسهم في بنائها المسلمون من عرب وفرس وأفارقة ، وغيرهم ، منذ أن أصبح هذا

---

[1] سيد عبدالمجيد بكر ، المرجع السابق ، ص ٩١.

[2] عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا ، ج١ ، ص ٧٧:

Warner, A., Encyc. of Islam, art. Mombassa, Vol., 3 (2), p. 552, London, 1934./ Stigand, Op. Cit. 29./ Reusch, Op., p. 75 Seq.

الساحل داراً للإسلام في العصور الوسطى ، فهي لذلك حضارة عربية وحضارة إسلامية ، وليس المقصود هنا أن الذين أسهموا في بنائها هم العنصر العربي والمسلمون وحدهم ، بل جميع شعوب

الساحل التي اتخذت العربية لغة لها ، أو تلك التي عاشت في ظل الإدارة الإسلامية بصرف النظر عن الجنس واللون والدين • ومن ثم اشتركت في بناء الحضارة الإسلامية التي انتظمت على طول الساحل الشرقي لأفريقيا وفي داخله من بعد ذلك، العرب والفرس والهنود والأتراك والمصريون بالإضافة إلى الأفريقيين من البانتو والجالا والصوماليين والأحباش والسواحيليين الذين هم نتاج عربي أفريقي ، بعد اختلاط العرب بالأفريقيين ، والتزاوج معهم ، خاصة مع قبائل البانتو والبوشمن وغيرها •

ويعتبر المؤرخون أن العصور الوسطى هي العصور الزاهرة في التاريخ الوطني لشرقي أفريقيا ، حيث هاجرت جماعات إسلامية عربية وفارسية – أسست دولاً وحكومات إسلامية ساهمت إسهاماً إيجابياً في نقل الفكر والتراث الإسلامي إلى هذا الساحل ، ومن ثم إلى الداخل ، والعرب هم العنصر الفعال في هذه الدول الإسلامية التي أسسوها على الساحل • ولعل من أبرزها دولة سليمان وسعيد التي تأسست في حوالي عام ٦٩٥م ، حول منطقة أرخبيل لامو (في كينيا) ، والتي ربما امتد نفوذها حتى جزيرة مافيا ، وتليها دولة الزيود عام ٧٤١م ، وهي دولة شيعية برزت في منطقة بنادر على الساحل الصومالي ، وجعلت من مدينة براوة حاضرة لها ، أما الأخوة السبعة الذين هاجروا من الاحساء عاصمة دولة القرامطة في الخليج العربي ، فقد أسسوا دولة قوية عام ٣٥١هـ (٩١٣م) ، وظلت مقديشو عاصمة لهم حتى ذهاب نفوذهم السياسي عام ٩٧٥م ، وامتد نفوذهم جنوباً حتى ممبسة ومالندي ولامو حيث نشروا الإسلام على المذهب السني الشافعي[١] •

---

[١] انظر للباحث الأول: أرض الزنج الإسلامية في العصور الوسطى. مجلة كلية الآداب ـ جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الثاني. ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م، أم درمان، ص ٢٥ وما يليها ـ وانظر للباحث الأول أيضا: معالم

وبالطبع يضاف إلى هذه الدول وجهودها في نشر الثقافة الإسلامية الدور الكبير الذي قام به الشيرازيون الفرس بزعامة علي بن حسن الشيرازي الذي أسس سلطنة الزنج الإسلامية (٩٧٥هـ - ١٤٩٧م) ، وجعلوا من مدينة كلوة عاصمة السلطنة قاعدة ومركزاً كبيراً لنشر الثقافة الإسلامية بين القبائل الأفريقية في الساحل وداخله .

وظلت مدن ساحل شرقي أفريقيا التي حكمها العرب والمسلمون - ولقرون عديدة - مراكز نشاط ومدنية ، وتطورت هذه المدن العربية الإسلامية بفضل تجمع العلماء والفقهاء الذين وفدوا إليها من مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق وبغداد والقاهرة ، ومدن شمال أفريقيا مثل القيروان وفاس وغيرها - وأدى هذا كله إلى تجاوز شهرة هذه المدن الإسلامية الزاهرة حدود الساحل أمثال : مقديشو وبراوه (في الصومال) ولامو وممبسة وبيت وشاقا (في كينيا)، وكلوه (في تنزانيا) ، وسوفالا (في روديسيا) ، بالإضافة إلى جزر زنجبار وبمبا وهافيا ، التي ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية ، وظلت الصبغة العربية هي البارزة والمميزة في هذا الساحل خلال فترة العصور الوسطى ، فأسهم العرب في هذه البلاد بالآداب والعادات التي اتصفوا بها ، وشاعت هذه الآداب بين بقية المجتمعات التي تعيش في هذا الساحل الأفريقي وفي داخله ، ولقد بقيت تلكم الثقافة العربية ، بل ظلت تشيع وتنتشر حتى بعد ذهاب نفوذهم السياسي غداة مجيء الأوربيين للساحل في القرن التاسع عشر .

والمجتمع الإسلامي في شرقي أفريقيا ، يتكون من أجناس متعددة ، وأمم مختلفة في صفاتها وعاداتها وثقافاتها ، ولكنها بعد إسلامها وبسببه أخذت تنصهر جميعاً في بوتقة الحضارة الإسلامية ، واختلطت هذه الدماء والنظم والأذواق اختلاطاً خلاقاً رائعاً ساعد عليه التزاوج بين الفاتحين ، وأهل البلاد المحليين ، ومن هذا الاختلاط نشأ جيل جديد يحمل ميزات عقلية وجسمانية خاصة ، عرف في التاريخ باسم العنصر

الحضارة الإسلامية في ساحل شرق أفريقيا في العصور الوسطى ، مجلة دراسات افريقية ، المركز الإسلامي الأفريقي ، العدد الثاني ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ٨٣.

السواحيلي (يعيش اليوم في الصومال وكينيا وتنزانيا) ، ويتكلم لغة واحدة هي السواحيلية ، ويدينون بدين واحد هو الإسلام الذي وحد بين هذه الشعوب المختلفة ، وكون منها خلال العصور الوسطى – ما يصح أن يسمى أمة واحدة ، لها آداب واحدة ، وثقافة واحدة ، ومصير واحد : يفسر ذلك جهاد المسلمين المتصل على طول الساحل الممتد من سوفالا جنوباً حتى مقديشو شمالاً ضد سيطرة البرتغاليين الذين حاولوا ضرب الحركة الإسلامية في هذه المنطقة والقضاء عليها ، يضاف إلى ذلك ما قام به المجاهد الإسلامي الكبير أحمد بن إبراهيم (الجران) من جهاد ضد الصليبيين وأعمالهم الوحشية في كل من الحبشة والصومال .[1]

لذلك أخلص إلى القول أن الهجرات العديدة العربية منها والإسلامية غير العربية التي وصلت إلى ذلك الساحل منذ فجر الإسلام ، أسهمت بدورها إسهاماً فعالاً ومؤثراً في نشر الإسلام ، ونقل الحضارة والفكر الإسلامي إلى الداخل أيضاً ، فمن ممبسة ومالندي وبيت ولامو رحل العرب إلى الداخل ، ونشروا الإسلام بين قبائله التي تحمست لاعتناقه ، لأنه الدين الذي يحمل في طياته المساواة والعدالة الاجتماعية . فمن مدينة بيت أو باتا ، تمكنت قبيلة بني نبهان العربية التي وفدت من عمان إلى هذا الساحل ، تمكنت من التوغل في الداخل الكيني منذ القرن السابع الهجري ، وكان النبهانيون قد أسسوا إمارة عربية في منطقة بيت على الساحل الكيني في حوالي عام ٦٠١هـ (١٢٠٣م) ، ومن ثم أخذوا في توسيع دائرة نفوذهم حول السحل ، وفي الداخل . واستطاعت اسرة المظفر النبهانية أن تبسط سيطرتها على مقديشو حوالي عام ٧٤٠هـ (١٣٣١م) ، وفي أثناء حكم أبي بكر بن الشيخ عمر بن المظفر زار مقديشو الرحالة العربي ابن بطوطة في عام ٧٤٠هـ/١٣٣١م ، وذكر وصفاً ضافياً لأحوالها الاجتماعية[2] . وفي عهد هذا الشيخ بلغت مقديشو ذروة مجدها في القرن

---

[1] معالم الحضارة الإسلامية في ساحل افريقيا في العصور الوسطى، للباحث، مجلة دراسات افريقية، المركز الإسلامي الافريقي، العدد الثاني، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الخرطوم، ص ٨٣ - ٨٤.

[2] ابن بطوطة، أبو عبدا لله محمد بن عبدا لله الطنجي (ت ٧٧٩هـ) (١٣٦٩م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص ١٨٩ - ١٩٢، القاهرة، ١٣٢٢هـ.

الرابع عشر الميلادي ، وعم فيها الرخاء ، وامتد نفوذها التجاري إلى الداخل ، حتى بلغ مناطق كينيا ويوغنده الحالية – كما ضم مركه وبراوة حتى وصل إلى سوفالا في أقصى جنوب الساحل[١] .

وإمارة بيت Pate هي إحدى جزر أرخبيل لامو ، وأهم جزر هذا الأرخبيل (في كينيا اليوم) . وقد عثر فيها على بقايا نقوش عربية ترجع إلى الفترة ما بين ٩٣٠ – ١٠٢٤هـ (١٥٢٣ –١٦١٥م) وربما يرجع أصلها إلى قبائل عربية من حضر موت، ويحتمل أن تكون الجزيرة قد اشتقت اسمها من قبيلة الباتويه العربية ، وكان أهلها في معارك مستمرة مع السكان الوثنيين المجاورين ، وقد اشتهرت هذه الجزر كمركز لتجارة الرقيق ، وقد توغل العرب المسلمون منها إلى الداخل ، وقاموا بدور كبير في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية[٢] .

وتذكر الوثائق ومنها حولية بيت Pate Chronicle أن مدينة بيت عربية أسسها السوريون من قبل الخليفة عبد الملك عام ٧٧هـ (٦٩٦م) وخططوها على النهج العربي . ووصلها سليمان وسعيد إبني عباد والجلند من قبيلة الأزد من عمان ، ووضع فيها هذان الشيخان نظم الحكم والإدارة ، والأسس الكفيلة بنشر الأمن والاستقرار والرخاء . وشيد هؤلاء المباني والقلاع والاستحكامات ، ومارسوا الزراعة وصيد الأسماك والحيوان ، ثم تطورت حياتهم بعد ذلك ، بعد أن عملوا بالتجارة التي أدت إلى ازدياد ثرواتهم بسرعة فائقة، ولم تمض فترة طويلة حتى اندمجوا مع الوطنيين ، وتطورت قراهم في الساحل والداخل إلى مدن كبيرة زاهرة ، ولما كانت النساء العربيات قلة في شرقي أفريقيا ، فقد بدأ المهاجرون العرب في الزواج من نساء الوطنيين والجواري ، مما أدى إلى زيادة عدد السكان ، وهذه الهجرة الهامة تشير إلى

---

[١] ابراهيم علي طرخان، الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة، ص ٤٢، القاهرة، ١٩٥٩م. حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الافريقية، ص ٣٣، القاهرة، ١٩٦٣م.

[٢] Reusch, Op. Cit., pp. 182 - 183. Stigand, Op. Cit., pp, 29 - 30.

معرفة العمانيين بسواحل أفريقيا الشرقية منذ زمن بعيد ،وكان نجاحها داعياً لأن يزداد عدد المهاجرين إلى شرقي أفريقيا ، لما يجدون فيها من ترحاب وحسن ضيافة، ومناصرة لدينهم الحنيف[1] .

ويمكن القول أن هذه الجماعات العربية ، ومن أهمها بني نبهان ، بذلت جهوداً مضنية في نشر الإسلام واللغة العربية بين القبائل الوثنية ، كما أخضعوا مدناً عديدة على الساحل وفي الداخل مثل كيرمبا وكوامونا ومالندي وكويام وكيزمايو وتيولا وكيونقا ، فأصبحت مراكز هامة لنقل الثقافة والحضارة الإسلامية[2] . وظلت إمارة بيت العربية ، منطقة هامة لنقل النفوذ العربي الإسلامي إلى الداخل ، وهي منطقة في غاية الاتساع والكبر ، ولها علاقات ثقافية وتجارية واسعة مع مكة المكرمة والبلاد الأخرى ، وأهلها شديدو التعصب للدين الإسلامي والتحمس له .

في أواخر عصر الدولة الأموية كانت هجرة الزيود عقب مقتل زعيمهم زيد بن علي بن الحسين عام ١٢٢هـ (٧٤٠م) ، فراراً من اضطهاد بني أمية لهم . واتبعت هذه الجماعة تعاليم زيد حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذا سموا بالزيدية Ammu Zaid[3] . وهاجرت هذه الجماعة إلى ساحل بنادر بالقرب من مقديشو ،

---

(١) عبدالرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا، ص ١١٩. حمدي السيد، الصومال، ص ٣٥٠، القاهرة، ١٩٥٠.

(٢) توجد كل هذها المناطق في كينيا اليوم:

Stigand, Ibid, p. 89/ Reusch, Ibid, p. 185./ Theal, C.N., Records of South Eastern Africa, Vool. 111, London, 1899, pp. 210 - 216.

(٣) بدأت حركة الزيود أو الزيدية منذ أيام هشام بن عبدالملك، وذلك لما شعر زيد بن علي بأحقيته بالخلافة من الشام، واجتمع حول زيد أهل المدينة والكوفة، وبايعوه وحرضوه على الخروج ومحاربة الأمويين، إلا أنه انهزم أمام جيش الأمويين سنة ١٢٢هـ (٧٤٠م) بقيادة يوسف بن عمر، وتفرق أصحابه عنه وخذلوه، فحارب حتى مات سنة ١٢٢هـ ـ وتنسب إليه جماعة الزيدية التي تفرعت عنها عدة فرق منها "الرافضة" وجماعة أخرى بايعت ابنه يحيا وقاتلوا معه في خراسان سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م حتى قتل وانهزم أصحابه، الطبري الامام ابوجعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م)، الأمم والملوك، جدة، ص ٤٨٢ ـ ٤٩١. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٢٣م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ ج٢، ص ١٨٢، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

وتوالت هجرات الزيود بعد ذلك ، وكان الزيديون قد علموا بأمر العبادية (جماعة سليمان وسعيد) وأنهم كونوا أماكن للاستقرار في ساحل شرقي أفريقيا ، ومن المحتمل أنهم علموا بوجود سليمان وسعيد ، وتوطيد نفوذهما في تلك الجهات ، وهذا ما شجعهم على الاتجاه إلى ساحل شرقي أفريقيا ، حيث استقروا وكونوا لهم عدة قلاع في الساحل، ثم تبعتهم هجرات أخرى من الزيدية دعمت من مركزهم ووجودهم في الساحل ، ويذكر أن من بين قادتهم حمزة بن مالك الذي امتاز بالشجاعة والعقل ، وتضاعفت أعدادهم بسرعة ، ولاسيما وقد هاجرت أعداد أخرى من الزيدية في اليمن إلى شرقي أفريقيا في الفترة ما بين ٧٥٧ - ٧٦٠م ، وانتشروا في ساحل بنادر ، ثم توغلوا منه إلى الداخل ، حيث نشروا الإسلام بين قبائل الجالا والبانتو ، واتسع ملكهم شمالاً وجنوباً ، بالإضافة إلى بعض مناطق الداخل ، وقد تمتع هؤلاء الرجال بالذكاء الوقاد والطاقة الجبارة ، والحيوية المتدفقة ولا يقلون في ذلك عن قادتهم الذين سلكوا بهم ذلك الطريق الوعر ، وأسسوا لهم الإمارات ، وحاولوا بسط سيطرتهم ونشر مبادئهم ، وقد حكموا شرقي أفريقيا ما يقرب من المائتي سنة ، وأصلحوا الأراضي القاحلة وزرعوها ، واستفادوا من مياه نهري جوبا وشبيلي وأراضيهما الخصبة ، واستطاعوا بمساعدة الرقيق زراعة بعض النباتات التي أرفدتهم بثروات طائلة ، ودرت عليهم أموالاً هائلة ، وقد احتفظوا بنقائهم فترة من الزمن لعاملين اثنين:

أولهما : أن الوافدين قد أحضروا معهم عدداً من النساء والفتيات العربيات، ومن ناحية أخرى أن الزيدية كانوا لا يريدون الاختلاط والزواج من أي عنصر آخر، ولذلك فقد انتشر مذهبهم في منطقة بنادر فقط .

ثانيهما : لأن الزيدية لم يختلطوا بالوطنيين إلا بعد فترة طويلة من الزمن، وذلك عندما توقف تدفق الوافدين. فأضطر الزيدية إلى الزواج من الوطنيات، واختلطوا لهذا السبب مع قبائل البانتو والجالا ، وحتى يومنا هذا توجد قبيلة عربية في كينيا والصومال تفخر بنسبها إلى الزيدية ، وتدعي الانتماء إلى النازحين الأوائل . واحتفظوا كثيراً بتقاليد زيد وابنه يحي ، وعندما هاجر الأخوة السبعة إلى شرقي

أفريقيا، وهي الجماعة التي جاءت من بعد جماعة الزيدية اصطدموا بالزيدية وهزموهم وأحرقوا لهم منازلهم، فأضطر الزيدية إلى الانسحاب إلى الداخل حول أودية نهري جوبا وشبيلي ، وكانت فرصة طيبة للإندماج والانصهار مع السكان الأصليين، فتزوج العرب الزيدية منهم ، وتطبعوا بطباعهم ، ونشروا بينهم الدين الإسلامي واللغة العربية، حتى أن الكثير من قبائل الجالا ، اعتنقت الإسلام على أيديهم ، بدليل أن كثيراً منهم قد أصبحوا فقهاءً ووعاظا [1] .

أما الاخوة السبعة ، فقد حدثت هجرتهم في خلال العصر العباسي الثاني ، في بداية القرن الرابع الهجري (بداية القرن العاشر الميلادي) ، في حوالي عام ٣٠١هـ (٩١٣م) ، من الاحساء عاصمة دولة القرامطة الذين نشروا الرعب في جميع أنحاء الجزيرة العربية وسوريا والعراق . والاخوة السبعة من قبيلة الحارث العربية ، نما إلى علمهم أخبار بلاد الزنج ، وربما سمعوا بأخبار جماعة سليمان وسعيد ، أو أنهم سمعوا تلك الأخبار من التجار ، لذلك قرر الأخوة السبعة أن يحذوا حذو سليمان وسعيد في الهجرة إلى شرق أفريقيا . يراودهم الأمل العريض في تكوين وطن جديد ، وقد تحقق لهم ما أرادوا بفضل جهودهم ، فتمكنوا من الاستيلاء على منطقة بنادر وامتد نفوذهم حتى جنوبي ممبسه ، وربما وصلوا إلى جزيرة قنبلو (مدغشقر) . ولم تمض فترة طويلة حتى أصبح بنادر كله شافعياً على المذهب السني ، وذلك بعد ان اصطدم الأخوة السبعة بالزيود الذين اضطروا للإنسحاب إلى الداخل، ولا يزال المذهب الشافعي هو السائد في بلاد شرقي أفريقيا[2] ، حيث وصلت جماعة أخرى ، هي جماعة آل شيراز الفرس ، الذين وصلوا في عام ٩٧٥م ، وتمكنوا من الاستيلاء على بلاد شرقي أفريقيا

---

[1] حمدي السيد، المرجع السابق، ص ٣٥٠ - ٣٥١.

Reusch, Op.cit., pp. 79 - 80 - 86. Trimingham, Islam In East Africa, p. 40.

[2] مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص ٩٨. ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص ١٩٣. **Reusch, Ibid, p. 90**.

كلها في سهولة ويسر ، وجعلوا من مدينة كلوة (في تنزانيا) عاصمة لهم[1] وقد دخل الشيرازيون في حروب طاحنة مع جماعة الأخوة السبعة الذين رفضوا الخضوع لهم في بداية الأمر . واستمر ذلك الصراع العنيف بين المسلمين في أراضي شرقي أفريقيا ردحاً من الزمن ، وانتهى أخيراً باستسلام الأخوة السبعة ، بعد أن دمر الأمير علي بن حسن الشيرازي مدن الأخوة السبعة وقلاعهم ، وفرض عليهم الجزية السنوية ، وبدأ الأهالي الأصليين من الأفارقة يدخلون تدريجياً في الإسلام . وأوضحت المخطوطات العربية وأهمها حولية كلوة ، بأن سلطنة كلوة التي أصبحت تعرف كذلك باسم امبراطورية الزنج الإسلامية، امتدت من الساحل الممتد من لامو وساحل بنادر شمالاً ، حتى سوفالا (في روديسيا) جنوباً . كذلك أوضح ما كتبه البرتغاليون ، والنقود الإسلامية التي ضربت في عهد الحكام المسلمين في كلوة ، في القرن الثامن الهجري ، أن سلطنة إسلامية عاصمتها كلوة قد قامت منذ حوالي عام ٩٧٥/٩٧٦م ، وظلت قائمة حتى دخول البرتغاليين هذاالساحل عام ١٤٩٧ [2] . وقد نشر الشيرازيون الإسلام في مناطق لم يصلها المسلمون من قبل، وتوغلوا في الداخل كثيراً ونشروا الإسلام واللغة العربية بين سكانه . وقد أبقي الشيرازيون الفرس على كل النظم التي وضعها العرب في شرقي أفريقيا ، ومع أنهم شيعة ، إلا أن المذهب الشافعي ، ظل هو المذهب السائد في بلاد شرقي أفريقيا ، ما عدا جهات محدودة[3] . وبدأ الشيرازيون في تشييد المدن ، فأسسوا مدينة مالندي (في كينيا اليوم) ، بعد أن خربوا المدينة

---

[1] الشيخ محيي الدين، كتاب السلوى في أخبار كلوه.

Strong, S.A., The History of Kilwa, Journal of the Royal Asiatic Society, Vol., pp. 425 - 448. 1895. walker, Y., Encyc., of Islam, art Kilwa, Vol., 1111., p. 116.

[2] كتاب السلوى في أخبار كلوه.

Strong Ibid, p. 425 Seq.
Freeman & Grenville, The East African Goast, (Select Documents from the First to the Earlier nineteenth Century), pp 34 - 35, Clarendon Press, 1962,.

توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام (ترجمة)، ص ٢٧٨.

[3] الدمشقي، شمس الدين أبي عبدا لله محمد أبي طالب الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بطربورغ، ١٢٨١هـ - ١٨٦٥م، ص ١٦٢. حمدي السيد، المرجع السابق، ص ٣٤٦.

القديمة وأحرقوها، وهي بالقرب منها ، وكان ذلك في حوالي عام ٩٧٦م ، وهناك بعض الآثار والمقابر الفارسية والعربية ، وقطع الخزف التي عثر عليها ، وتشير إلى وجود الشيرازيين بمالندي في بداية تأسيسها ، وكذلك توجد في المدينة بعض الآثار الإسلامية التي ترمز شواهدها إلى قدم الإسلام في تلك الأجزاء .[١]

استأنف الأمير علي بن حسن سيره جنوباً من مالندي حتى وصل إلى ممبسه (ميناء كينيا اليوم) ، فجعلها قاعدة ومركزاً للإشراف على الإمارات التي استولى عليها قبل وصوله إلى ممبسة ، وجعل بذلك مالندي إمارة تابعة لممبسة ، وتكون حكومتها المركزية ومقرها في ممبسة ، وهذا يؤيد ما ذكره أبو الفداء عن مالندي حينما قال : (وسكنى ملكهم في مدينة ممبسة)[٢] – وقد ازدهرت مالندي ازدهاراً عظيماً في عهد السلطان سليمان حسن العظيم سلطان كلوه (١١٦٠ – ١١٧٩) [٣] . وقد تطورت مدينة ممبسه هي الأخرى تطوراً عظيماً، حتى أصبحت مدينة كبيرة وغنية ، بل أصبحت من أكبر مدن سلطنة كلوة الإسلامية ، وأكثرها منعة .[٤] وتحكم المسلمون على طول هذا الساحل ، حتى بلغوا جنوب أفريقيا ، وظلت لهم السيادة الكاملة على طول الساحل وداخله وجزره ، منذ القرن العاشر الميلادي، وحتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، وتطورت المدن ، وبلغت شأواً عظيماً ، وشجع الحكام على العمران وبناء المساجد والمدارس والبيمارستانات ودور العبادة ، كما انتشر الأمن وعم الرخاء والعدل والإسلام . كما انتعشت التجارة ، وقام السلاطين بتأمين

---

(١)

Kirikman, J.S., Men and Movementson the East Africa Coast, pp. 86 - 89

(٢) أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ - ١٣٣٢م): تقويم البلدان، ص ١٥٢، باريس، ١٨٤٠م.

(٣)

Reusch, Op. Cit., p. 168 Seq.

(٤) ياقوت الحموي، الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبدالله (ت ١٢٢٩م)، معجم البلدان ج٨، ص ١٨٣، بيروت، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م.

الطرق إلى الداخل، وحماية السفن في المحيط الهندي لتأمين التجارة مع الشرق[1] . وجرد السلاطين الحملات الحربية إلي الداخل لنشر الإسلام بين قبائل البحيرات العظمى في كينيا وأفريقيا الوسطى ويوغنده . كما وصلت جيوش عديدة إلى أراضي رواندا وأورندي ونياسالاند وروديسيا وجنوب الحبشة وشرق الكونغو ، وفتحت أبواب التجارة في تلك الجهات حتى بلغت نياسا وتنجانيقا وفكتوريا[2] .

لقد بذل سلاطين دولة الزنج الإسلامية في كلوة ، جهوداً جبارة في سبيل نشر الإسلام ، واللغة العربية في الداخل ، وقد تمكنوا من التوغل من الساحل ، حتى بلغوا أواسط أفريقيا ، حيث أقاموا علاقات تجارية ، مع القبائل الأفريقية في الداخل ، وقد توغل العرب في تلك الجهات بتجارتهم ، حتى وصلوا إلى منطقة كلمنجارو (في كينيا) ، كما كانت تجاور الإمارات العربية والإسلامية ، مملكة كبيرة عرفت باسم " مملكة البانتو العظيمة " ، وهي مملكة في الداخل (تضم أراضيها اليوم كينيا وتنزانيا) ، ويطلقون عليها أيضا اسم "مملكة مونبومجي أو نيميا ماجي " ، وهي مملكة في الداخل ، ولها علاقات تجارية واسعة مع ممبسة ومالندي وكلوه . ومملكة البانتو تحدها في الشرق إمارات ممبسه وكلوه ومالندي ، وفي الشمال الحبشة ، ودولة ماكوكا العظمى ،وفي الجنوب تمتد حتى موزمبيق ومملكة مونوموتابا ، وفي الغرب تصل إلى بحيرتين كبيرتين ونهر النيل . وكانت هذه المملكة تسمى باسم دولة واني مويزي القديمة ، وتأسست بواسطة حاكم قوي ، استطاع أن يوحد كل أجزائها إلى مملكة واحدة ، وأخضع بعض القبائل المجاورة . وقد أقامت هذه الدولة العريقة ، علاقات تجارية وثقافية مع العرب والمسلمين في الساحل ، وهذا يفسر قدم الإسلام والثقافة الإسلامية في الداخل الأفريقي .[3] وكان لازدهار حركة التبادل التجاري مع الداخل ، من العوامل التي

---

(1) Coupland, Op., Cit., p.20., March, An Introduction to History of East Africa, p. 8, London, 1966.

(2) Reusch, Ibid, p. 144.

(3) Freeman, Op., Cit., p. 39. Reusch, Ibid, PP. 157 - 222.

ساعدت على نشر الإسلام في كينيا ، كما كانت من العوامل التي عملت على ازدهار الحركة العلمية فيها • واشتهرت مدن ممبسة ومالندي وكلوة ، بمكانتها العلمية كمراكز كبرى للثقافة الإسلامية في تلك البقعة ، وقد عني حكام الساحل بجانب الاهتمام الكبير بالحركة الفكرية والثقافية ، عنوا عناية كبيرة بنشر الإسلام بين القبائل الأفريقية ، التي لم يصلها الإسلام ، وخاصة قبائل الداخل الوثنية ، مثلما عنوا عناية تامة ، بشتى نواحي الحياة الأخرى : الاقتصادية والاجتماعية والبدنية ، فأصبحت تلك البلاد إسلامية خالصة ، بفضل هذه الجهود • وبدأت حملات ثقافية تأخذ مكانها بين شبه الجزيرة العربية ، وشرقي أفريقية ، واتسمت بالطابع الديني ، وأرسلت البعثات إلى الدول العربية الإسلامية ، وعاد أبناء شرقي أفريقيا لتعليم الإسلام وقواعده إلى شعوبهم ، وبرزت مدن إسلامية في مثل لامو ومالندي وممبسة وتانجا ، فأصبحت مراكز إشعاع للدعوة الإسلامية ، وكان من الطبيعي أن ينتقل الإسلام إلى الداخل ، فتدخل إلى كينيا – كما سبق القول – ووصل إلى تنجانيقا وموزمبيق ويوغنده ، ووصل إلى زائير ، وازدهرت التجارة بين الساحل والداخل ، وظهرت مراكز تجارية مثل كيتوتو وساباي ومماس في داخل كينيا ، واتخذ العرب والسواحيليون منها مراكز استقرار في الداخل ، ووصل الإسلام إلى كينيا عن طريق محور آخر ، حيث كانت القبائل الصومالية دعامته ، فانتقل الإسلام عن طريقهم إلى شمال كينيا ، وحيث انتشر بين القبائل التي تعيش في شمالي كينيا ، وامتد نفوذ دولة آل بوسعيد من زنجبار إلى داخل شرقي أفريقيا خلف انتشار الإسلام ، وعندما فرض الاستعمار الألماني والبريطاني سيطرتهما على هذه المنطقة عرقلا سريان الدعوة الإسلامية ، وشجع البعثات التنصيرية ، وكان طبيعياً أن يقاوم المسلمون نفوذ الاستعمار والتنصير، فشبت الثورات في كينيا ، كان منها ثورة ويتو (Witu) في سنة ١٨٩٠م ، وثورة المازوري (Mazri) في سنة ١٨٩٥م ، وانتشرت الثورات في ساحل كينيا[1] •

والملاحظ أن قبائل البانتو والجالا التي اعتنقت الإسلام منذ وقت مبكر كما

---

[1] سيد عبدالمجيد بكر، نقص المرجع، ص ٩٣.

سبق القول ، قامت هي الأخرى بدور كبير في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية ، خاصة قبائل الماساي ، كما قامت بدور نضالي كبير ضد المستعمرين الأوربيين ، وقاوموا حركات التنصير • وغالبية هذه القبائل المسلمة على المذهب الشافعي ، وينتشرون في القطاع الساحلي من مدن باتا (بيت) ولامو ومالندي ومجلس نيروبي وما حولها • كما ينتشرون في القطاع الكيني المجاور لحدود الصومال وأوجادين • ومن المسلمين بكينيا جالية هندية باكستانية ، وجالية عربية ، وجالية فارسية ، وما زال الإسلام ينتشر بين الجماعات الأفريقية مثل البانتو وبين النيليين الحاميين ، وبين العناصر الصومالية في شمال شرقي كينيا •[1]

ويمكن تقسيم الجماعات الإسلامية في كينيا من ناحية التوزيع الجغرافي إلى ثلاثة أقسام : –

القسم الأول : القسم الساحلي ، وهو يشمل ممبسه ولامو ومالندي وقانجا وتاكونجى وكليفى وغيرها ، ومعظم أفراد الجالية العربية جاءوا من مسقط وعمان وحضر موت واليمن ومصر •

القسم الثاني : وسط كينيا ، ويشمل نيروبي وجزءاً من نيري ونيوكى •

القسم الثالث : في نيانزا ، بقرب كينيا ، حيث توجد نسبة صغيرة من المسلمين، حيث يعيش بعض السواحيليين والصوماليين في المدن الصغيرة والمراكز التجارية وسكان بلدة مومبا في شمال نيانزا على الطريق الرئيسي من أوجندا إلى الساحل ، غالبيتهم مسلمون (سواحيلي وصوماليون ونوبيون) •ويمكن القول بأنها أهم مركز إسلامي في المنطقة ، والإسلام قوي جداً بين أهالي وانجا تبعا للنفوذ السواحيلي الذي تأثروا به منذ زمن • وقد أسلم بعضهم في أثناء خدمتهم بالقوات المسلحة ، أو أثناء عملهم كحمالين • وهناك بعض الأسرات بين قبائل الحاميين • وهناك حزب اتحاد

---

[1] المصدر نفسه، ص ٩٣، ٩٤.

مسلمي كينيا ويرأسه الشيخ عليّ سعيدا ، وأمينه الشيخ علي كوشيد ، وللحزب فروع في ممبسه ونيروبي وكومو ، وينهض هذا الحزب بإيفاد البعثات التعليمية وبناء المدارس • وهناك بعثات كثيرة من الطلاب الكينيين المسلمين في مصر ، ويشرف عليهم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة ، قبل فترة من الزمن• ويقوم أفراد هذا الاتحاد بنشر الثقافة العربية الإسلامية ، كما يعنى بنشر دعوة الإسلام • وفي كينيا عدد كبير من المساجد ، أكثرها في ممبسا[1] •

ولعل من أكبر التحديات التي تواجه المسلمين في كينيا ، أنها أصبحت معقلاً للنشاط التنصيري ، ولقد وجدت الجماعات التنصيرية بيئة مناسبة لنشاطها ، حيث يواجه المسلمون العديد من المشكلات مثل الأمية والفقر والمجاعة والبطالة • في مقابل ذلك تقدم بعثات التنصير الأدوية والأغذية والمصحات المتنقلة ، وينشط ذلك في مناطق المسلمين ، وهذا الوضع يجعل المؤسسات الإسلامية لا تقوى على مواجهة حركة التنصير • ولولا تمكن العقيدة الإسلامية من نفوس المسلمين في كينيا لتحقق لتلك الجماعات المشبوهة ما تريد وهو عدم الإسلام • وفيما مضى كان القضاء على الإسلام هدفاً استعمارياً ، وليس أدل على ذلك من تدمير مدن بكاملها وإحراق بعض المدن التاريخية مثل ممبسه أكثر من مرة • والآن يتخفى الاستعمار تحت أكثر من ستار، فتارة يأتي في شكل البعثات التنصيرية ، وأخرى عبر مناهج التعليم الغربية[2] •

وفي ظل تلك التحديات ، تكونت في كينيا نحو ٥٠ جمعية إسلامية يشرف عليها المجلس الأعلى لمسلمي كينيا ، إلا أن هذه الجمعيات والهيئات في حاجة إلى توحيد جهودها ، لأن المسلمين في كينيا يعانون الأزمات في المجال الثقافي والاقتصادي ، ويعانون أيضاً من ضعف التعليم الإسلامي ، وكل ذلك يتطلب تضافر الجهود لمواجهة منافسة البعثات التنصيرية ، لأن نصف سكان كينيا مازالوا على الوثنية ، والبعثات

---

[1] عبدالرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا، ص ٩٤ - ٩٥.

[2] المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم، ص ١٢٧ - ١٢٨.

التنصيرية زادت من قدراتها في ظل الدعم الاستعماري ، وأخذت تعمل بإمكانات مادية أتاحت لها فرص الحركة والانتشار ، فشيدت المدارس والكنائس والمستشفيات ، كل ذلك لتجذب المواطنين إلى المسيحية ، وطورت التعليم المهني والتعليم العام ، وتدفقت المعونات من الخارج، وتأتيها من المجلس العالمي للكنائس[1] ... والحاجة ماسة وملحة بأن تسارع المؤسسات والمنظمات الإسلامية لمد يد الدعم والعون للمسلمين ومؤسساتهم المختلفة ، حتى يمكن مواجهة هذا التيار الجارف .

[1] سيد عبدالمجيد بكر، المرجع السابق، ص ٩٦ ـ ٩٧.

الفصل الرابع

تنزانيـــــــــا

تتكون تنزانيا من اتحاد تنجانيقا مع جزيـرة زنجبـار ، وكـانت تنجانيقـا تخضـع لألمانيا قبل قيام الحرب العالمية الثانية ، وبعد هزيمة ألمانيا في هذه الحرب ، أصبحت هذه البلاد تحت وصاية هيئة الأمم ، وكانت تديرها بريطانيا عن طريق الانتـداب • ونـالت تنجانيقا استقلالها في عام ١٩٦١م وانضمت لدول الكمونولث ، أما زنجبار فهي قريبة من سـاحل تنجانيقـا ، نـالت استقلالها في عـام ١٩٦٣م ، ثـم انضمـت في اتحـاد مـع تنجانيقا • وتم ميلاد تنزانيا ، بعد توحيد تنجانيقا وزنجبـار في عـام ١٣٨٤هـ الموافـق ٢٧ إبريل ١٩٦٤م ، تحت اسم " تنزانيا الموحدة " • وأصبحت دار السـلام عاصمـة هذه الدولة ، وهي مدينة مطلة على المحيط الهنـدي• وتعتبر تنزانيـا الآن منفـذا لـدول إفريقيا الداخلية كزامبيا وموزمبيق وغيرها •

وقد عرفـت هـذه البـلاد الإسـلام في فـترة مبكـرة ، وربمـا منـذ القـرن الأول الهجري ، عندما تدفقت موجات العرب على طول السـاحل الممتـد مـن زيلـع وبربـرة ومقديشو شمالاً حتى سوفالا جنوباً ، وذلك لأسباب دينية وسياسية ، فضلاً عن العامل التجاري والاقتصادي الذي كان بارزاً في جميع الهجرات العربية ، كما سـبق القـول • وقد كانت (تنجانيقا و زنجبار) مهد إمبراطورية الزنج الإسـلامية ، وعاصمتهـا كلـوه (وهي تقع في تنزانيا اليوم) •••وقد سيطرت هذه الدولة الإسلامية على جميع أجزاء الساحل الممتد من مقديشو شمالاً إلى سـوفالا جنوبـاً، يضـاف إلى ذلـك جـزر (المحيـط الهندي مثل زنجبـار وبمبـا ومافيـا ومدغشـقر• وازدهـرت حركـة انتشـار الإسـلام في ساحل هذه المنطقة وفي داخلها •• وازدهرت بصورة أكبر عبر العلاقات التجارية بـين جنوب الجزيرة العربية وبلدان شرق أفريقيا ، ثم موجات الهجرة القادمة مـن الشـمال مع قبائل البانتو ، وقد تمكن المسلمون من بسط سيطرتهم على معظم المناطق الداخليـة

من خلال الدعاة . كما خضعت زنجبار لنفوذ العرب من الشيرازيين مؤسسو سلطنة الزنج في كلوة ، ثم خضعت بعد ذلك لحكم السلاطين العمانيين حقبة طويلة[1] .

ويعتبر ما كتبه ابن بطوطة الرحالة العربي المشهور الذي قام برحلة من طنجة عام ٩٣٤هـ (١٣٣٠م) لتأدية فريضة الحج ، من أهم المراجع عن أحوال إمبراطورية الزنج ، فقد زار ابن بطوطة مقديشو وممبسة ، كما زار كلوة حوالي سنة ١٣٣٢م ، في أيام السلطان أبي المظفر الملقب " بأبي المواهب " (١٣٠٨ - ١٣٣٢م) ، ووصف إبن بطوطة كلوة بقوله : (ركبنا البحر إلى مدينة كلوة ، وهي مدينة ساحلية عظيمة ، أكثر أهلها الزنوج المستحكمو السواد ولهم شرطات في وجوههم . ومدينة كلوه أحسن المدن وأتقنها عمارة وكلها بالخشب ، وسقف بيوتها الديس ، والأمطار بها كثيرة ، وهم أهل جهاد لأنهم في بر واحد متصل بالكفار والزنوج ، والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعية المذهب)[2] .

ويضيف إبن بطوطة عن كلوه وسلاطينها ويقول : (كان سلطانها - يقصد كلوه - في عهد دخولي إليها أبو المظفر حسن ويكنى أبو المواهب لكثرة مواهبه ومكارمه ، وكان كثير الغزو إلى أرض الزنوج يغير عليهم ، ويأخذ الغنائم فيخرج خمسها ويصرفه في مصارفه المعينة في كتاب الله ، ويجعل نصيب ذوي القربى في خزانة على حده ، فإذا جاءه الشرفاء دفعه إليهم . وكان الشرفاء يقصدونه من العراق والحجاز وسواها . ورأيت عنده من شرفاء الحجاز جماعة منهم محمد بن جماز، ومنصور بن لبيدة بن أبي غي ، ومحمد بن شميله بن ابي غي . وهذا السلطان له تواضع شديد ويجلس مع الفقراء يأكل معهم ويعظم أهل الدين والشرف)[3] .

---

[1] المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم، ص ١٢٣.

[2] تحفة النظار، ص ١٩٣.

[3] المرجع السابق، ص ١٩٣ - ١٩٤.

وبما كتبه ابن بطوطة عن سلطنة كلوة ، وعظمة سلاطينها ، يوضح أن الإسلام قد دخل تنزانيا في زمن مبكر ، وأن الهجرات العربية من الجزيرة العربية والعراق وفارس كانت مستمرة ، بل وقد توغل العرب إلى داخل هذه البلاد واستقروا فيها بصفة دائمة ، حيث ازدهرت الزراعة والصناعة ، واشتهرت معظم مدن تلك البلاد ، بالنهضة العلمية والأدبية[١] . وقد شن سلاطين سلطنة كلوة ، وأبرزهم السلطان أبو المواهب عدة حروب على القبائل الوثنية ، وأجبروها على اعتناق الإسلام ، ودفعت قبائل تلك البلاد المال المقرر لبيت المال في كلوة ، ويقوم السلطان أبو المواهب بتوزيع خمسها في سبيل الله ويحفظ الباقي . وبالمتحف البريطاني بلندن توجد بعض قطع من العملة التي كانت مستعملة في أيام السلطان أبي المواهب ، وهي عملات برونزية حملت اسمه في أحد وجهيها ، وفي الوجه الآخر كتبت العقيدة الإسلامية ، وعبارة (رافقك الحظ السعيد) ، إلا أنها لا تحمل تاريخاً معيناً ، وتوجد كذلك أنواع مختلفة من عملات برونزية تشير إلى عهد ابنه السلطان المقتول سليمان بن حسن[٢] .

وقد ذكر باربوسا Barbosa وصفاً لازدهار كلوة التي زارها في حوالي ١٥١٧-١٥١٨م - فقال :

(. . . . وعندما تركنا موزمبيق وصلنا إلى جزيرة عرفت باسم كلوة ، وهي مدينة للمسلمين العرب ، مبانيها في غاية الجمال والروعة ، بها نوافذ كثيرة ومنازلها أحدث طراز. وشوارعها منظمة ونظيفة ، وسقوف منازلها مسطحة ، وأبوابها من الخشب ، وحول المدينة عدة قنوات ، وتجري فيها الأنهار ، ومياهها عذبة ، وعليها ملك مسلم . ويتاجرون مع سوفالا ، ويجلبون منها الذهب ، ويرسلونه إلى كل أنحاء الجزيرة العربية وحتى الحبشة ، وساحل البحر به قرى يسكنها العرب

---

(١) تحفة النظار، ص ١٩٤.، **Reusch, Op. Cit., p. 173.**

(٢) تحفة النظار، ص ١٩٣ - ١٩٤. **Freeman, Op. Cit., p. 39.**
Walker, Art, Kilwa, (Encyce. of Islam). Vol. 111, p. 116. Reusch, Ibid, p. 172.

المسلمون . . .)[1] .

وأضاف باربوسا . . . (. . . وعند وصولنا للساحل كانت كل مناطق مسلمي سوفالا ، قواما، وانقويا ، وموزمبيق ، تخضع لملك كلوة الذي يتمتع بنفوذ عظيم عليهم . وفي هذه المدينة يتوفر الذهب . ولا تمر سفينة إلى سوفالا دون أن ترسو في هذه الجزيرة . ويتمتع أهلها بالثروة والجاه ، ولديهم الذهب والحرير والقطن . وتزين الجواهر واللآلئ أيديهم (يقصد النساء) ، وهؤلاء المسلمون يتكلمون اللغة العربية ، ويقرأون القرآن ، عقيدتهم راسخة في الإسلام . . .)[2] .

ويعرض باربوسا وصفاً لازدهار امبراطورية الزنج وأحوالها الاجتماعية ، وتجارتها الرائجة ، وذلك عندما زار سوفالا حوالي عام ١٥١٨/١٥١٧، فقال : (. . . ونحن في اتجاهنا إلى الهند ، يوجد هناك نهر ليس له حجم كبير ، وهو الذي تقع عليه مدينة للمسلمين تسمى سوفالا ، والتي استولى ملكنا على قلعتها (يقصد ملك البرتغال)، وسكن المسلمون منذ فترة طويلة من الزمن هناك ، ويتكلمون اللغة العربية في هذه المدينة ، وعليهم ملك أصبح خاضعاً لملكنا ، ويصل المسلمون في مراكب من مملكة كلوة وممبسة ومالندي ، ويجلبون معهم عدة ملابس قطنية وبعضها ملون ، وأيضا ملابس حريرية ، وكلها محملة في سفن كبيرة كذلك من مملكة كامبايا Cambaya . ويتاجر المسلمون بها هناك مقابل الذهب ، ويرجع التجار فرحين مسرورين . ويتاجر مسلمو سوفالا بعد ذلك بها مع تجار مملكة بنامتابا Benamatapa ، الذين يأتون هم أيضاً محملين بالذهب ويتبادلون به . ويجمع

---

(١)

Dames, M.L. & Hakuyt, The Book of Daurte Barbosa, Vol.3, pp. 6 - 29, 1918.

(٢) انقويا، مدينة عظيمة للمسلمين، لها حاكمها، بها عدد من التجار للذهب، العاج، الحرير، الملابس القطنية، ويبحر إليها مسلمو سوفالا، ممبسة، مالندي، وكلوة، ويجلبون منها الدخن والأرز واللحم. سكانها سود، وبعضهم رمادي اللون. يلبسون الملابس القطنية والحريرية، ويلبسون العمامة على رؤوسهم، ويتكلمون العربية والسواحيلية، إلا أنهم يتكلمون العربية بطلاقة. **Dames, Ibid, p.20.**

المسلمون أيضاً كميات كبيرة من العاج الذي يجدونه بصعوبة في سوفالا ،وهذا يبيعونه

أيضاً في مملكة كامبايا ، ويبيعون أيضاً اللؤلؤ والأحجار الكريمة التي تاتيهم من الحجاز، وهؤلاء المسلمون سود الأجسام ، وبعضهم يتكلم اللغة العربية ، ويلبسون الملابس القطنية والحريرية ، ويعض الملابس الأخرى ، ويضعون على رؤوسهم عمامة ، وبعضهم يضع طاقية صغيرة ، وطعامهم الدخن والأرز واللحم والسمك • وهناك صناعة غزل القطن ، ويصنعون الملابس القطنية البيضاء والملونة الجيدة[1] •

مما تقدم ، يمكن القول ، أن الإسلام واللغة العربية ظفرا بنجاح كبير في تنزانيا منذ العصور الإسلامية الأولى ، الأمر الذي يدعو إلى دراسة الدور الكبير الذي قام به الدين الإسلامي واللغة العربية في تقدم تلك البلاد وتطورها ، فقد أصبحت عن طريق الإسلام والعلوم الإسلامية العربية عظيمة الحضارة ، والتقدم ، وشكل الإسلام عادات السكان ، وطور أحوالهم ، حتى صار مستوى التفكير والثقافة يقارن بنظائره أو يفوقه في الدول المعاصرة في أوروبا المسيحية ، خلال فترة العصور الوسطى ، ولذلك ليس من سرف القول: أن العصور التاريخية الزاهرة لبلاد شرقي إفريقيا تقترن بالإسلام ، لأن هذه البلاد قد تطلعت منذ القدم إلى البلاد الإسلامية في الشمال والشمال الشرقي من أجل العقيدة والمدنية • وكان العامل الجغرافي من أهم العوامل التي ساعدت على ذلك الاتصال والاكتفاء • لذلك يمكن القول أن هذه البلاد كانت مسرحاً لنشاط عربي وإسلامي مكثف مع شعوب تلك البلاد ، أدت إليه الهجرات العربية المتلاحقة • ثم تبلور عن ذلك النشاط قيام الإمارات العربية والإسلامية ، ومن ثم نمو وتطور الثقافة والحضارة الإسلامية وازدهارها • وأصبح الإسلام يسير بخطى ثابتة وواسعة من الساحل إلى الداخل ، فاعتنقته القبائل التي تسكن في الشواطئ ، وانتقل معها إلى

---

[1] توجد كل هذه الممالك: كامبايا وبنامتابا في الداخل من كلوة. وتغطي تنزانيا وموزمبيق، وزيمبابوي إلى جنوب افريقيا، ويطلق المسلمون على مملكة بنامتابا اسم كافرس **Cafres**، وسكانها سود معظمهم مسلمون، ويتكلمون اللغة العربية، وتوجد في بلادهم بعض المعادن والذهب، وهم محاربون مهرة، ومعظمهم تجار أغنياء، ويتاجرون مع العرب في الساحل وعرب اليمن والحجاز. **Dames & Hakyut, Vol., (1), pp. 6 -29.**

الداخل ، فانتشر بين بعض قبائل الزولو والبوشمن والبانتو ، وتكونت على أثر ذلك مراكز استقرار في ممالك كامبايا وكافرس ، ثم كثر توافد المسلمين عليها بعد ذلك للأهداف التجارية والدينية . وامتزج المسلمون بالوطنيين في هذا الداخل وصاهروهم ، كذلك ظلت تلك البلاد التي أمها المسلمون ، ظلت - ولقرون عديدة - مراكز نشاط ومدنية ، وقواعد لنشر الثقافة الإسلامية بين القبائل الإفريقية في الساحل وداخله .وظلت الصبغة العربية هي البارزة والمميزة لتلك البلاد خلال فترة العصور الوسطى وإلى مطلع العصر الحديث . فأسهم العرب في هذه البلاد بالآداب والعادات التي اتصفوا بها ، وشاعت هذه البلاد بين بقية المجتمعات التي تعيش هناك . ولقد بقيت الثقافة العربية ، بل ظلت تعيش وتنتشر حتى بعد ذهاب نفوذ العرب والمسلمين السياسي غداة مجئ الأوربيين في القرن التاسع عشر .

والجدير بالذكر أن أعلام المسلمين في تلك البلاد ، فكروا بالعقلية العربية الإسلامية، وكتبوا باللغة العربية - وهم في إنتاجهم ونشاطهم ، إنما يعبرون عن حضارة عربية إسلامية، ولا غرابة في ذلك، وهم الذين نبتوا في ظل إدارة إسلامية ، وعاشوا في رعاية الدولة الإسلامية وكنفها . فالدين الإسلامي عامل هام من عوامل الانسجام بين الشعوب التي تدين به . والدين الإسلامي فضلا عن أنه عقيدة ، فإنه كذلك نظام اجتماعي كامل ، ومجموعة من الأخلاق والقواعد والأنظمة التي يستطيع الناس أن يعيشوا بمقتضاه . ومن ثم استطاع الإسلام أن يمد أبنائه بجميع مقومات الدول وأساليب الحياة والسياسة والتشريع والحضارة .

لقد كان وما زال المجتمع في شرقي أفريقيا ، يتكون من أجناس متعددة ، وأمم مختلفة في صفاتها وعاداتها وثقافاتها ، ولكن بعد إسلامها وبسببه أخذت تنصهر في بوتقة الحضارة الإسلامية ، واختلطت الدماء ، والنظم والأذواق اختلاطاً رائعاً ساعد عليه التزاوج بين الفاتحين وأهل البلاد المحليين ، ومن هذا الاختلاط نشأ جيل جديد ، يحمل مميزات عقلية وجسمانية خاصة عرف في التاريخ باسم العنصر السواحيلي ، ويتكلم لغة هي اللغة السواحيلية ، ويدينون بدين واحد هو الإسلام الذي وحد بين

هذه الشعوب المختلفة ، وكون منها – خلال العصور الوسطى – ما يصح أن يسمى أمة واحدة ، لها آداب واحدة ، وثقافة واحدة، ومصير واحد ، يفسر ذلك جهاد المسلمين المتصل على طول الساحل وداخله وجزره ضد سيطرة البرتغاليين الذين حاولوا ضرب الحركة الإسلامية في هذه المنطقة والقضاء عليها .

وكانت القبائل العربية التي هاجرت إلى بلاد شرقي أفريقية ، تحمل معها دينها ولغتها العربية ، وكانوا يختلطون بالسكان ، وينقلون إلى لغات تلك البلاد ولهجاتها ، الكثير من كلماتهم ، خصوصا ما كان متعلقا بأمور الدين . لذلك سار الإسلام واللغة العربية جنباً إلى جنب مع الجهاد في سبيل الله ، ونشر الإسلام ، وتوسيع رقعة البلاد ، فضلاً عن تنشيط الحركة التجارية ، وذلك عندما أشار ابن بطوطة ، عند زيارته لكلوه ، أن السلطان أبي المواهب كثير الغزو لأرض الزنوج لنشر الإسلام[1] .

لذلك احترم المسلم الأفريقي اللغة العربية احتراماً يقرب من التقديس ، لأنها لغة القرآن الكريم ، فبها يؤدي صلاته ، وبها يتلو القرآن ، وبواسطتها يلم بعلوم الدين . وقد نفح المسلمون في هؤلاء السكان حب الأدب وفنون الشعر . وخرج هؤلاء شعراء وخطباء مفوهون ، وأصبح لهم أدبا يعتزون به . ومن العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في تلك البلاد ، هجرة القبائل العربية إلى تلك البلاد واستقرارها فيها ، وهذه الهجرات قديمة وسابقة على دخول الإسلام ، وازدادت بانتشار الإسلام ،ثم إن مصاهرات العرب والفرس وغيرهم من دعاة المسلمين مع القبائل الأفريقية كالجالا والبانتو وغيرهم ، ساعدت على انتشار اللغة العربية بجانب الإسلام ، فالسواحيليون الشماليون – وهم من فروع الزيدية – يدعون أنهم نتيج المصاهرات بين العرب والصوماليين والجالا ، ومن أجل ذلك قالوا إن لهم أصولاً تنحدر عن عرب الجزيرة العربية . كما أن السواحيليين الجنوبيين يدعون الانتماء إلى أسرة الحسن الشيرازي ، ويفخرون بماضي دولة الزنج المجيد[2] . أي أن الدماء العربية

---

[1] تحفة النظار، ص ١٩٣.

[2] صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: زنجبار، ص ٢١.

أو المستعربة قد اختلطت وامـتزجت بدمـاء أفريقيـا السـوداء .[1] ويحـرص المتكلمـون باللغة العربية في تنزانيا على الاحتفاظ بها حتى لا تطغى عليها اللغات المحلية ، ولاسيما لغة البانتـو . كما أن اللهجة السائدة في زنجبار تغلب عليها اللهجة الحجازية .[2]

وهكذا وجدت اللغة العربية تربة خصبـة في تنزانيـا ، بـل ظلـت كذلـك حتـى عصر الاستعمار البرتغالي الذي بـدأ عـام ١٤٩٧م ، فعندمـا وصـل فاسـكوداجاما إلى الساحل عام ١٤٩٧م ، وجد معظم أهـل هذه البـلاد يتكلـم اللغـة العربيـة ، كمـا وجد القرآن الكريم شريعتهم ، ومما أثار دهشته أنه وجد إلمامهم باللغـة العربيـة يفـوق إلمام أهل أوروبا الوسيـطـة باللغـة اللاتينيـة . وجـد كذلـك أن الكثـير يتكلـم اللغـة العربية بالإضافة إلى لغته الأصلية المحلـيـة[3] .

كذلك وجد البرتغاليون والأوروبيون من بعدهـم ، عـدداً كـبيراً مـن المـدارس التي تعلم القرآن واللغة العربيـة في كلـوه وسـوفالا وزنجبـار . ووجـد البرتغـاليون ثـم الإنجليز من بعد ذلك، جماعات من القبائل الأفريقية تتقن اللغة العربية ، وتعنـى بإنشـاء المدارس الخاصة لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية .

ورغم الجهود التي بذلها الأوربيون للقضاء على اللغة العربيـة والثقافـة العربيـة الإسلامية في تلك الجهات ، وتحويل أنظار الأفريقيين عن مكة المكرمة والمدينة ودمشـق والقاهرة وبغداد وغيرها من عواصم العالم الإسلامي الكبرى ، فإنه فشل فشـلاً ذريعـاً،

---

(١)

Reusch, Op., pp. 218 - 219.

اللغة السواحيلية، تعرف باسم الـ كي سواحيلي - Ki - Swahili

كي: معناها اللغة ـ كي سواحيلي، معناها اللغة السواحيلية.

(٢) زنجبار، ص ٢١.

(٣)

Duffy, James, Portugesse Africa, pp. 31 - 34, London. 1961. Dames, The Voyage of Pedro al - Vares Cabral to Brazil and India, p. 78, London, 1938. Sidney R., & Welch, p.d., Y.p., Portuguese Rule and Spanish Grown in South Africa, 1581 - 1641. Cape Town and Johannsburg 1950, p, p. 1681 Seq.

إذ كان المسلمون والمستعربون من الأفريقيين يعمدون إلى إنشاء مدارسهم ومؤسساتهم الثقافية في المناطق الوثنية النائية كما في زنجبار وتنجانيقا وموزمبيق وكينيا، .

لكن يلاحظ أن اللغة العربية لم تنسي القبائل الأفريقية لغتها الوطنية أو تطغى عليها ، بل ظلت هذه اللغات بجانب اللغة العربية ، لغة الدين والثقافة والحكومة والتجارة . بل أن اللغة العربية تركت أثرها القوي في جميع اللغات المحلية لدرجة كبيرة ، وظهر هذا الأثر واضحاً في اللغة السواحيلية أكثر من غيرها من اللغات المحلية، ويوجد في اللغة السواحيلية الكثير من الكلمات ذات الأصول العربية ، بل إن الحروف العربية استخدمت في كتابة اللغة السواحيلية منذ زمن مبكر ، واحتفظت اللغة السواحيلية بقيمتها وأهميتها التي اشتهرت بأنها اللغة السائدة **Lingue Franca** وهي لغة المعاملات المالية والتجارية ، في مساحات شاسعة تمتد من الصومال إلى روديسيا ، بحيث صار الإلمام بها أمراً ضرورياً لجميع القبائل، لذلك لم تكتف القبائل الأفريقية بدخولها في الإسلام ، بل طبعت بطابع عربي ، بسبب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد .

ولا يزال إلى اليوم آلاف الكلمات العربية المستخدمة في بلاد شرقي أفريقيا في شتى مظاهر الحياة : الدينية والثقافية والاقتصادية، وفي الحرب والسياسة ونظم الحكم والحياة الاجتماعية ، وحتى في أسماء النباتات والمدن والحيوان والإعلام[1] .

ويقترن العهد الزاهر للغة العربية والعلوم العربية الإسلامية في شرقي أفريقيا بعهود الإمارات الأفريقية الإسلامية ، فقد كانت اللغة العربية الرسمية السائدة ، واستخدمت في شتى الأغراض وأوفت بها . فاستخدمت في مجال الحكم والإدارة والقضاء ، ثم هي لغة المكاتبات الرسمية بين هذه الدول وبين العالم الإسلامي الخارجي . ووجد في الدواوين المصرية زمن المماليك صيغ عربية خاصة لمخاطبة حكام تلك

---

(١) Reusch, Ibd, p. 218 Seq.

البلاد ، لابد من تصدير المكاتبات بها • كذلك كانت اللغة العربية هي السائدة في تسجيل شواهد القبور ، وقد عثر على عدد كبير من المقابر في تلك الجهات[1] •

وقد ظلت اللغة العربية هي لغة التدوين والتسجيل والمراسلات في العهود والاتفاقيات ، وغير ذلك سواء في الساحل أو مع الدول الخارجية • ومنذ فجر التاريخ والقلم العربي هو القلم المعروف في تنزانيا قبل ظهور الاستعمار في تلك البلاد • واصبح الدين الإسلامي أساس التشريع والقضاء ومصدر القيم الروحية • والمعروف أن أساس الثقافة هي طريقة التعبير أي اللغة ، واللغة العربية اختلطت بلهجات البانتو عشرات القرون، وتوالد عنها لغة جديدة هي اللغة السواحيلية • ولما كان العرب والفرس تجاراً ، كانت نساء البانتو أو الوطنيات يحترفن الرعي والزراعة • فتعلم أبناؤهم من الآباء الكلمات العربية والفارسية التي لها صلة بالحرب والملاحة والتجارة والسلع المختلفة ، بالإضافة إلى مفردات الرحلات والفنون والانتاج وما يتعلق بالثقافة • وأخذوا من أمهاتهم البانتويات المفردات البانتوية التي تتعلق بالزراعة وتربية الماشية ورعيها ، والطعام والشراب، وبعض أمور الحياة اليومية[2] •

وعلى هذا ظهرت عضوياً لغة جديدة هي خليط من العربية وبعض الفارسية مع اللهجات البانتوية المختلفة • ومن المحتمل أن يكون ثلثا الكلمات السواحيلية من أصل عربي – فارسي ، وما تبقى من ذلك من أصل بانتوي • وهذه اللغة السواحيلية الجديدة عرفت باسم الكي – سواحيلي ، وقد اشتملت فيما بعد على مفردات اللغة العربية والبرتغالية ثم الإنجليزية والهندية • وقد أصبحت اللغة السواحيلية لغة طريفة للغاية ، غنية جداً في مفرداتها، وجاءت حركاتها الحلقية من اللغة العربية • وقد تلطفت هذه الحركات بحيث يستطيع الأوربي أن ينطقها بسهولة • وقد أصبحت اللغة

---

(1) حمدي السيد: المرجع السابق، ص ٣٢٦.

(2) أرض الزنج الإسلامية في العصور الوسطى، للمؤلف، ص ٣٣.

Reusche, Op. Cit., 218 Seq. See Also:- Stigand, Op. Cit., p. 39 Seq. Freeman & Grenville, Op. Cit., pp 41 - 44.

السواحيلية لغة التجارة ، وانتشرت بسرعة إلى داخل أواسط أفريقيا ، ويتكلمها الآن حوالي الخمسين مليون نسمة • وتعتبر اللغة السابعة في العالم • وهي الآن شائعة الاستعمال في بلاد تنزانيا والصومال وكينيا ويوغنده وموزمبيق وشرق الكونغو • وللغة السواحيلية أدب خاص ومتطور ووفير المادة وسريع الانتشار ، وأصبحت كذلك لغة المعاملات التجارية والمالية – كما سبق القول • بمعنى آخر أن اللغة السواحيلية هي اللغة السائدة • ورغم ارتباط العنصر السواحيلي واللغة السواحيلية بالدين الإسلامي ، والحضارة العربية والفارسية ، إلا أن الشخصية الأفريقية لهذا العنصر ولغته هي الصبغة القوية المسيطرة[1] •

وفي مجال التعليم والحركة العلمية عامة ، وهو أخصب الميادين إنتاجاً في المكتبة العربية ، كان أساس التعليم العربي الإسلامي في تنزانيا وغيرها من بلاد شرقي أفريقيا ، حفظ القرآن الكريم وتفسيره ، ودراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية • ولقد ساعد الازدهار والرخاء التجاري الذي ساد في إقليم شرقي إفريقيا – خلال العصور الوسطى – على قيام نهضة علمية وثقافية شامخة • فقد كثرت الخلاوي وامتدت منتشرة عبر الساحل ، وزادت حلقات الدرس التي كان يقوم بالتدريس فيها علماء نابهون في علوم اللغة العربية والفقه والتفسير حيث يفد إليهم الطلاب من أنحاء متفرقة • ولم تقتصر العلوم الدينية على الرجال ، وإنما امتدت لتشمل النساء أيضاً ، فقد نلن حظهن من القرآن الكريم والعلوم الدينية واللغة العربية • وكانت حلقات الدراسة تعقد في المساجد وفي بيوت الفقهاء حيث يأتي الطلاب في حماس شديد ، وغالباً ما تكون الدراسة عقب صلاة المغرب • ومن الكتب التي كانت تدرس: كتاب " سفينة النجاة " ، وكتاب " منجى الطالبين " للنووي ، وكتاب " المقدمات الحضرمية في فقه السادات الشافعية " لعبد الله بن عبد الرحمن الحضرمي • وليس معنى هذا أن التعليم الديني كان يقوم على المذهب الشافعي وحده ، بل كان الكثيرون

---

[1] حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الافريقية، ص ٢٤٠ - ٢٤١، القاهرة، ١٩٦٣م. انظر أيضا: صلاح العقاد وجمال زكريا قاسم، المرجع نفسه، ص ٢١ وما بعدها.

يتعاملون مع بقية المذاهب الأخرى : المالكية والحنبلية والحنيفية . وكانت حكومات الساحل ترسل البعوث العلمية إلى الحجاز والعراق والشام ومصر لتلقى المزيد من العلوم[1] . وكان لكل منطقة رباطها الخاص بها ، وبجانب العلوم الدينية كانت تدرس اللغة العربية وآدابها . وكانوا يعتمدون في تدريس النحو على الأجرومية وألفية إبن مالك ، وشرح إبن عقيل وقطر الندى لابن هشام . ومن الكتب التي اشتهرت عندهم في التفسير : تفسير الجلالين ، وهذا من غير شك للمكانة السامية التي احتلتها مؤلفات عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ - ١٥٠٥م) ، أحد الجلالين ، في تلك البلاد ، وربما أيضاً لأن تفسيرالجلالين مختصر . كذلك كان لابد من دراسة السيرة النبوية . ولمن يريد أن يكون معلماً ، عليه أن يلم كذلك بالتاريخ الإسلامي العام ، بجانب بعض الدراسات اللغوية والأدبية من شعر ونثر . ومن الكتب التي أقبلوا عليها مقامات الحريري . كذلك درست ودرست أمهات الكتب في العلوم الإسلامية المختلفة التي ضمتها مكتباتهم في كلوه وزنجبار ومقديشو ، كما كانت في زنجبار وكلوة سوق رائجة للكتب . ومن هذه المصنفات على سبيل المثال : صحيح البخاري - صحيح مسلم - أصول السبكي - مختصر خليل - ألفية العراقي - الموطأ - شفاء عياض[2] .

---

[1] حمدي السيد، المرجع السابق، ص ٣٢٦ - ص ٣٥٣. وانظر ايضا: عرب فقيه، شهاب الدين، فتوح الحبشة، (تحفة الزمان)، مخطوط نشره مع مقدمة بالفرنسية رينيه باسيه، حققه فهيم محمد شلتوت، القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص ٧٥ وما بعدها. انظر: السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج١، ص ٢٣٢، القاهرة، ١٣٥٣هـ. انظر كذلك: ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري بردي: المنهل الصافي والمستوى بعد الوافي، تحقيق أحمد نجاتي، ج١، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٢٢٦ _ ٢٢٧.

[2] الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج٢، ص ٤٠٢. القاهرة، ١٣٨٤هـ. عبدالقارة شيخ علي، تاريخ التعليم في الصومال، ص ٢١ - ٢٢ن مقديشو ١٩٨٧. العمري، شهاب الدين بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٢، ورقة ١٨٣، ص ١١ - ٢١ - ق٣، القاهرة، ١٩٢٤م. المقريزي، أحمد بن علي بن عبدالقادر (ت ٨٤٥هـ - ١٤٤١م)، الإلمام، بأرض الحبش من ملوك الإسلام، ص ٧ - ٢٢، القاهرة، ٢٨٩٥م. السخاوي: المصدر نفسه، ص ٢٣٢، وما بعدها. السيوطي، جلال الدين، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج١، ص ٦٥١، القاهرة (بدون تاريخ).

لذلك أعطى المجتمع الإسلامي العلم والعلماء منزلة عالية ، وتمنى كل طالب أن يكون عالماً من علماء الدين ، واندفعوا إلى مجالس الفقهاء والعلماء للتزود من مناهلهم العلمية • وبذل العلماء مجهودات هائلة لأداء رسالتهم العلمية ، وساعد على ذلك قرب المنطقة من موطن الحضارة الإسلامية ، فتنوعت الثقافة ، وازدهرت الحركة العلمية والأدبية ، وتعدد العلماء والفقهاء • وركز السلاطين على الالتزام بخلق الإسلام في المجتمع (كما أشار ابن بطوطة إلى مكارم سلطان كلوه أبي المواهب ، وخلقه المتين) ، وأصبح لكل الدول الإسلامية المطلة على الساحل أو في الداخل قضاة ومحاكم شرعية وأئمة للمساجد وكتبة ومحتسبين ، مما يستدعي وجود طائفة متمكنة من الثقافة الإسلامية • لذلك كان العلماء والفقهاء ذات وجود مؤثر في الحياة الثقافية والاجتماعية •

يتضح من هذا العرض السريع ، عمق الإسلام في تنزانيا ، كما أن اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، انتشرت على نطاق واسع في تلك المنطقة خلال فترة العصور الوسطى ، وامتد أثرها وتأثيرها حتى العصر الحديث • فنجد أن اللغة العربية كانت اللغة الدولية في جميع تلك البلاد الإسلامية ، فهي لغة الدين والثقافة والتجارة ، ثم هي لغة الحكومة والإدارة والقضاء • كما أصبحت لغة تخاطب في كثير من بلاد تنزانيا وزنجبار والصومال ، مع وجود اللغات المحلية ، ثم هي من بعد ، لغة المراسلات الدولية والوثائق والمعاهدات •••• كما أن اللغة العربية لم تقض على اللغة المحلية في تنزانيا ، وإنما أثرت فيها تأثيراً كبيراً • أما وجه التفوق الذي ظفرت به اللغة العربية فينحصر في أن اللغة العربية اكتسبت صفة القداسة في تنزانيا وزنجبار والصومال ، لأنها لغة القرآن الكريم والصلاة والعلوم الإسلامية •

لقد توغل الإسلام – كما سبق القول – إلى داخل تنجانيقا ، كما أصبحت زنجبار كلها إسلامية منذ زمن مبكر ، وقد اندفع المسلمون إلى التوغل في الداخل بهدف المتاجرة والدعوة للإسلام ، فتوصلوا إلى نياسلاند (ملاوي حالياً) ، وبرزت

مراكز إسلامية بالداخل، كان منها في تنجانيقا طابورة وأوجيجي على بحيرة تنجانيقا ، وتانجا التي كانت من أكبر مراكز الثقافة العربية بالبلاد ، ونقل العمانيون العاصمة إلى دار السلام ، وكان الاستعمار البرتغالي من قبل قد دهم الإمارات الساحلية وشن ضدهم حرباً صليبية دمرت معظم مدن الساحل ، وبعد هذه المرحلة ازداد التنافس الاستعماري على أفريقيا ، وعلى المحيط الهندي ، وظهرت قوى استعمارية جديدة تمثلت في بريطانيا وألمانيا ، واقتسمتا دول آل (سعيد) في شرقي أفريقيا ، واستولت ألمانيا على تنجانيقا • فظهرت المؤامرات الاستعمارية تستهدف الإسلام والمسلمين في تنجانيقا وزنجبار ، فأصابت العرب أحداث دامية في زنجبار ، في سنة ١٣٨٤م ، وراح ضحيتها ٢٣ ألفاً من العرب والمسلمين[١] •

يتجمع المسلمون في تنزانيا في مناطق عديدة ، فالأغلبية العظمى من سكان جزيرتي بمبا وزنجبار مسلمة ، وإقليم البحيرة في تنجانيقا ، وتتوما وفورا وتوشى وعروشة ، وكذلك سكان مدينة دار السلام ، وتبلغ نسبة المسلمين ٩٠٪ ، وكذلك ميناء تنجا ، والمدينة التاريخية كلوه التي تحفل بالمساجد والمدارس الإسلامية ، والغالبية المسلمة تتركز في النطاق الساحلي • وينتشر المسلمون في ولاية طابورة في الداخل وفي موشى وكيجوما وأوجيجي[٢] وتكمن المشكلة الحقيقية في سيطرة المسيحية على التعليم ووسائل الإعـــلام ، مما أسهـم في تفشي الأمية والفقر بين المسلمين ، فضلاً عن تنشيط الحملات التنصيرية عبر وسائل الإعلام ويجد المسلمون في تنزانيا دعماً ماديا ومعنوياً من قبل دول إسلامية عديدة مثل المملكة العربية السعودية ومصر وسلطنة عمان ، غير أنهم بحاجة إلى المزيد من الدعم المادي ، وكذلك المعنوي المتمثل في صورة كتب إسلامية ودعاة متخصصين ، ومراكز إعلامية لمواجهة الإعلام الغربي والمسيحي الذي يسعى عبر وسائل غير مباشرة إلى تشويه صورة الإسلام في أفريقيا

---

[١] سيد عبدالمجيد بكر، المرجع السابق، ص ١٠٧. انظر: حسن محمود، انتشار الإسلام والثقافة العربية في افريقيا، ص ٤٧٥.

[٢] سيد عبدالمجيد بكر، ص ١٠٨.

عموما[1] .

---

[1] المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم، ص ١٢٤.

الفصل الخامس

جنوب أفريقيا

تقع جمهورية اتحاد جنوب أفريقيا في الطرف الجنوبي من قارة أفريقيا ، أو في أقصى الطرف الجنوبي من القارة الأفريقية ، وتحدها ناميبيا من الشمال الغربي ، وبتسوانا وزيمبابوي من الشمال ، وموزمبيق من الشمال الشرقي ، وباقي حدودها على المحيطين الهندي والأطلسي • وتبلغ مساحة جنوب أفريقيا ١٫٣٣١٫٠٠٠ كم٢ ،وسكان الاتحاد في سنة (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) ٣٣٫٧٣٦٫٠٠٠ نسمة ، وتنقسم الجمهورية إلى أربع ولايات هي : الكاب ، وأورانج ، ونتال ، وترانسفال • ومن أهم المدن دربان ، وجوهانسبرج ، ومن المدن الهامة بورت اليزابيث • ولاتحاد جنوب أفريقيا عاصمتان ، التشريعية ، وهي مدينة الكيب ، وإدارية وهي بريتوريا[١] •

تشير الدلائل الأثرية ، إلى أن منطقة جنوب أفريقيا كانت مأهولة بالبشر منذ آلاف السنين ، وأن الإنسان الأول كان يسكن جنوب أفريقيا في الأزمنة الموغلة في القدم • وهناك اعتقاد أن البوشمن هم أقدم سكان جنوب أفريقيا ، ويعرف البوشمن في جنوب إفريقيا بأسماء متعددة ، فالأوربيون يسمونهم البوشمن ، والأكزوسا يسمونهم توا Twa ، والسوثو Satho يسمونهم روا Roa والهوتنتوت يسمونهم سان [2] San • ومهما يكن من أمر فإن الاسم الأكثر شيوعاً هو البوشمن وهو الاسم الذي أطلقه عليهم للمرة الأولى جماعات البوير Boers •[٣]

والبوشمن يمثلون جماعات قديمة وفدت على القارة من بابها الشرقي منذ عصور

---

(١) سيد عبدالمجيد بكر، المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٢) جديون س. وبر: تاريخ جنوب افريقية (ترجمة: د. عبدالرحمن عبردا لله الشيخ) ص ١٦، دار المريخ للنشر، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، الرياض.

(٣) جديون، نفس المرجع، ص ١٦.

متقدمة انتهى بها المطاف تحت ضغط العناصر التي لحقت بها ، ويمارسون الصيد والزراعة • ورغم أن دماء بعضهم قد اختلطت بدماء غيرهم من البانتو والهوتنتوت بوجه خاص ، فلم يقتبسوا من ثقافة غيرهم • ويمتاز هذا العنصر بالقامة القصيرة والبشرة السمراء المشربة بالصفرة والأديم الذي يتجعد في سهولة ، والجبهة البارزة[1] • وهم أقدم الأجناس الأصلية في أفريقيا ، وكانوا فيما سبق أكثرهم توزيعاً وانتشاراً في القارة ، أما وقد أثر عليهم أعداؤهم من البانتو والأوربيين ، فقد أصبح وجودهم الآن مقصوراً على صحارى كلهاري وما جاورها ، وهم يعيشون على الصيد ، وجني الثمار من جذور أو نبات ، فلا هم يمارسون الزراعة ، ولا هم يمتلكون الماشية ، وهم شعب مرح يأخذ لنفسه بالرقص والغناء ، وأهم من ذلك أن لهذا الجنس إنتاجاً فنياً ، وهو ذلك اللون المعروف من الفن المسمى برسم الصخور **Rocks Painting** ، وهو يصور الناس والحيوان في حياتهم اليومية في رسوم أجروها على الحوائط الصخرية لكهوفهم ، فالألوان حية للغاية ، والصور نفسها ذات قيمة فنية عالية[2] • واستقر البوشمن والهوتنتوت فيما يعرف حالياً باسم اتحاد جنوب أفريقيا ، وخاصة في منطقة الكيب وهضبة الفيلد • وقد تعرض البوشمن والهوتنتوت في القرن السابع عشر لضغط العناصر الهولندية التي استقرت في منطقة الكيب وتوغلت شمالاً • كما تعرضت هذه العناصر لضغط عناصر البانتو الزنجية التي جاءت من الشمال على طول الهضبة الوسطى والسواحل الشرقية[3] •

أما العنصر الثاني ، فهم جماعة الهوتنتوت ، وهم مجموعة من الرعاة ، ويختلفون عن البوشمن قليلاً بصفاتهم الجسمانية ، فهم أقوى منهم بنية ، وأطول قامة ، وهم يمثلون جماعة قديمة قد لجأت إلى هذه المنطقة في أعقاب البوشمن • وكانت

---

(1) أنطوني سلري (ترجمة)، افريقيا والجغرافيا الاجتماعية، ص ١٥. الناصوري، جمال الدين الدناصوري، جغرافية العالم (افريقيا واستراليا)، ج٢، ص١٠، القاهرة، ١٩٦٧م.

(2) فؤاد محمد الصفار، دراسات في الجغرافيا البشرية، ص ٢٣٦، القاهرة، ١٩٦٥.

(3) المرجع السابق، ص ٢٣٦.

ديارهم تمتد من ولاية الكاب ، وفقدوا نظامهم القبلي بعد أن اتصلوا بالهولنديين ورجعوا إلى حياتهم التقليدية الشاقة ، بعد أن طردهم البانتو من المراعي الغنية إلى أطراف الصحراء حيث يقيمون في أكواخ بسيطة من القش وفروع الشجر ، ويربون البقر والأغنام ويمارس بعضهم الزراعة البدائية[١] .

البانتو ، هم العنصر الثالث الذي يسكن هذه المنطقة منذ زمن موغل في القدم . وكلمة بانتو **Bantu** ، مصطلح لغوي محض ، ولكنه يستخدم في مجال وصف السلالات أو الأجناس البشرية ليدل على مجموعة زنجية كبيرة جداً ذات لغات تشترك في خصائص عامة لا يخطئها أحد ، وكلمة بانتو معناها البشر أو بني الإنسان . والبانتو يمثلون الثلثين الجنوبيين من إفريقيا بأكملها ، وبغض النظر عن رباط اللغة الذي يجمعهم فهم يختلفون في الشكل ، وعلى الرغم من وجود ملامح معينة مشتركة بينهم، إلا أنهم يختلفون اختلافاً كبيراً في ثقافتهم من قبيلة إلى قبيلة ، ومن منطقة إلى أخرى.[٢] ومنهم الزولو **Zolo** المنظمين المحاربين الأقوياء ، ويسكنون المناطق الساحلية لشرقي أفريقيا . وهذا النوع السلالي يكون مدعاة لإثارة مزيد من المشاكل في وجه الحكومات ، إذ أن كل مجموعة سلالية في تركيب بشري كهذا تكون أكثر وعياً وإدراكاً وتمسكاً بحقوقها مما لو كانت في مجتمع تسوده سلالة واحدة . ومجموعة البانتو الزنوج جماعات زراعية تكون أكبرها قبيلتي الكيكويو **Kikyu** والباغندا . ولقد عاشت هذه المجموعات الزنجية تحت تهديد العناصر الحامية كقبيلة الماساي لفترة من الزمن ، مما أدى إلى انسحابها جنوباً[٣] . وقد اعتنقت قبائل البانتو الإسلام منذ وقت مبكر .

أما الأهمية الاقتصادية لهذه البلاد ، فيبدو أن الزراعة والصناعة هي عصب

---

[١] الدناصوري، المرجع السابق، ص ٧١.

[٢] انطوني سلري، المرجع السابق، ص ١٥.

[٣] نفس المرجع، ص ١٥ وما بعدها.

الحياة هناك ، كما أن الزراعة تفي باحتياجات الناس بمدهم بالحاصلات الضرورية • وتختلف الحياة النباتية اختلافاً كبيراً من جنوب خط الاستواء – عنها شمال هذا الخط • ففي جنوب القارة تزدهر الحياة النباتية بفضل الأمطار الصيفية التي تجلبها الرياح التجارية • وهناك أيضاً مناخ البحر الأبيض المتوسط ، كما نجد في ناتال غابات شبه استوائية في الجهات المنخفضة ، ثم تقل كثافة الغابات وتتحول إلى حشائش كلما ارتفعنا فوق سطح الهضبة • ويوجد الذهب بكثرة ، وبعضه مستخرج من مرتفعات أفريقيا الجنوبية • فقد استغل عرب الجنوب هذه المناجم ، حتى أن الأوربيين في عصر الاستعمار في القرن التاسع عشر ، حين اشتغلوا في استخراج الذهب من مرتفعات أفريقيا الجنوبية (روديسيا) ، اتضح لهم أن هذه المناجم قد استغلت أيام عظمة دولتي معين وسبأ ، وكانت هذه المناجم من أهم مصادر الذهب في العالم القديم زمن الأغريق والرومان، وهو الذهب الذي قال عنه سليمان أنه يأتي من أوفير ، وهي سوفالا التي سبقت الإشارة إليها ، والتي ارتادها العرب منذ فجر التاريخ •

لذلك لم تكن منطقة جنوب أفريقيا مجهولة لدى شعوب العالم الخارجي منذ أقدم العصور ، وقد كشفت البحوث التاريخية والأثرية عن وجود صلات قديمة ومستمرة بين هذه البلاد وشعوب العالم الأخرى ، ليس فقط الشعوب القريبة جغرافياً ، ولكن أيضاً الشعوب البعيدة مثل الهنود والصينيين •

أما العرب ، واتصالهم بهذه الجهات وسواحلها ، فالثابت أن ذلك الاتصال يرجع إلى عصر ما قبل الإسلام ، ولكن المعلومات عن هذه الفترة لا تكاد تذكر ، والراجح أنها كانت مقصورة على المبادلات التجارية • وقد سبق القول أن عرب الجنوب قد وصلوا إلى هذه المنطقة في العصور القديمة ، وقد عرفوا سوفالة الذهب في روديسيا ، وتبادلوا معها السلع المختلفة • وكان أهل اليمن يوهمون الناس أن جميع السلع التي يجلبونها سواء أكانت من الشرق أو من أفريقيا ، إنما هي من غلات بلادهم خوفاً من أن يتنبه المستهلكون أو المشترون عامة إلى مواطن بعضها ، فيعملون على

استيرادها من المنتجين مباشرة . ونجح العرب اليمنيون في كتمان هذا السر أجيالاً ، فبقيت التجارة وقفاً عليهم ، ونمت فيهم سليقة الاحتكار ، ومن لوازمها الشراء بأبخس الأثمان والبيع بأفحشها ، حتى إذا ضج المستهلكون فكروا في التخلص من هذا العنت، كما فعل الأوربيون حين بالغ سلاطين المماليك في فرض الضرائب الجمركية على تجارة المرور في القرن الخامس عشر ، مما كان من بين الأسباب التي أدت إلى كشف طريق رأس الرجاء الصالح إلى الهند وما وراءها .

أما بعد الإسلام فقد اتخذت هذه الصلات شكلاً آخر تمثل في هجرة جماعات من العرب والفرس إلى الساحل الأفريقي وتوطنها فيه . - وكما سبق القول - فإن هذه الجماعات كانت تأتي من سواحل شبه الجزيرة العربية مثل الإحساء والبحرين وعمان وحضر موت واليمن ، وكلها هجرات إسلامية ، نقلت معها صوراً من الحضارة الحديثة على أفريقيا ، وهي إنشاء المدن والمراكز التجارية التي كانت تمتد من خليج عدن إلى مدار الجدي ، أي في تلك المنطقة التي كان يطلق عليها جغرافيو العرب إسم " بر الزنج "[١] .

وقد ساعدت العوامل الجغرافية على نشاط حركة الملاحة بين منطقة الخليج العربي ، وبين سواحل أفريقيا الشرقية والجنوبية ، لأن الرياح التي تهب على منطقة المحيط الهندي تمكن

السفن الشراعية من القيام برحلتين في السنة بأقل مجهود . ففي فصل الخريف تدفعها الرياح في اتجاه جنوبي غربي ، فتخرج من خليج عمان إلى المحيط الهندي ، ثم تسير بمحاذاة الساحل الأفريقي الذي ينحني في اتجاه جنوبي غربي ، وفي فصل الربيع تدفعها الرياح الموسمية في اتجاه شمالي شرقي يمكن هذه السفن من العودة إلى قواعدها في شبه جزيرة العرب . ولا شك أن الهنود قد استفادوا أيضاً من تلك الرياح ، فاتصلوا هم أيضاً بأفريقيا الشرقية والجنوبية أو ساحل عزانيا **Azania** (هو الساحل الممتد من

---

[١] العقاد، وزكريا قاسم، المرجع السابق، ص ٤.

مقديشو شمالاً إلى روديسيا جنوباً ،ويطلق عليه اسم عزانيا أوأزانيا في العصور القديمة والوسطى) ، ولكن نشاطهم ارتكز على الناحية التجارية البحتة ، وقد انشغل المسلمون المهاجرون بنقل التجارة بين البلدان الواقعة على سواحل المحيط الهندي ، وأهم السلع التي اعتمدت عليها هذه التجارة الذهب والعاج والعنبر ، ويبدو أن المسلمين كانوا يحصلون على هذه السلع من رؤساء القبائل الأفريقية في نظير المنسوجات ، ولا يعرف على وجه التحديد ما إذا كان العرب قد توغلوا في المناطق الداخلية لاستغلال مناجم الذهب بأنفسهم ، أم أن الأفريقيين كانوا يحملون الذهب إلى الساحل ، والمعروف أن مناجم الذهب التي ما تزال موجودة في إقليم روديسيا ، تقع خلف القسم الجنوبي من الممتلكات العربية في أفريقيا ، ثم سيطرت عليه سلطنة كلوه الإسلامية ، وتوغلت إلى الداخل لنشر الإسلام وللأهداف التجارية، فكانت كميات هائلة من الذهب ترد إلى ميناء سوفالا حتى سماها ابن بطوطة سوفالة الذهب [١] ،

لذلك يمكن القول ، أن العرب توغلوا في المناطق المعروفة اليوم باسم جنوب أفريقية ، منذ العصور الوسطى ، وربما تحركوا إليها من كلوة أو من ممبسة ومالندي ، أو من سوفالا التي تقع بالقرب منها ، والراجح أنهم لم يبسطوا سلطتهم السياسية فعلاً في الداخل ، ولكن قوافل التجارة كانت تتردد بانتظام في قلب القارة ، حتى البحيرات الاستوائية منذ ذلك الوقت البعيد ، وتدل الحفريات التي أجريت في منطقة مناجم مانيكه بروديسيا ، على أنه قد وجدت فيها حضارات أرقي من حضارة البانتو ، وتتسم هذه المخلفات بالطابع العربي الفارسي الذي ميز سلطنة الزنج الإسلامية ، والواقع أن مجموعة قبائل البانتو – التي سبقت الإشارة إليها –والتي كانت تسيطر

---

[١] كتاب الطواف حول البحر الأريتري، أو كتاب المرشد الملاحي:

The Periplus of the Erythrean Sea:

المؤلف يوناني مجهول الإسم، ولكنه من سكان الاسكندرية في العهد الروماني، وسجل في كتابه ما شاهده في شرقي افريقيا التي سماها (أزاليا)ن وفيه وصف شامل لسواحل البحر الأحمر والمحيط الهنري. انظر:

Schoff, E.H., Somalia, Travel and Trade (The Periplus of the Erythrean Sea, Hammer, Magadishu, 1912, p., 37.

على النصف الجنوبي من القارة الأفريقية ، قد اتصلت بالعرب منذ زمن مبكر ، كما أن عرب الساحل كانوا على اتصال دائم بهذه المجموعات القبلية بغرض التجارة ، فتسرب الإسلام ، واعتنقته جماعات منهم منذ ذلك الحين . وقد سبقت الإشارة إلى أن سلاطين كلوه كانوا يرسلون الجيوش للجهاد في سبيل الله ، وأن السلطان أبو المواهب بذل جهوداً مضنية في سبيل نشر الإسلام ، وقد أشار ابن بطوطة إلى ذلك بقوله أن أهل كلوة في جهاد دائم[١] .

وقد أشارت المصادر إلى أن السلطان سليمان سلطان كلوه (١١٥٩ – ١١٧٨م) ، جرد الحملات الحربية إلى الداخل ، وأخضع قبائل البحيرات العظمى ، كما توغلت قوافله التجارية تحرسها جنوده إلى داخل أراضي رواندا ، وأورندى ، ونياسالاند وروديسيا . وفتحت أبواب التجارة في تلك الجهات ، حتى بلغت مناطق نياسا وتنجانيقا ، كما كان العرب على صلات وثيقة بالممالك الأفريقية الداخلية مثل مملكة مونوموتابا التي امتدت بين حوض الزمبيزي واللمبوبو ، وأنه وقعت حروب عدة بين الفريقين ، لأن ابن بطوطه ذكر أن أهل كلوه في حالة جهاد دائم . وكان العرب يطلقون اسم الكفار لوصف قبائل البانتو في الجنوب ، وما زالت إحدى مجموعات البانتو في اتحاد جنوب أفريقيا تعرف عند الأوربيين باسم **Les Cafres** كأثر من آثار تلك التسمية العربية[٢] . وكان لهجرات العرب والفرس لهذه البلاد تأثير بعيد في تكوين أهل تلك البلاد من الناحيتين الثقافية والاجتماعية . والمعروف أن سوفالا (سفالة) أصبحت تحت سيطرة كلوه منذ أن دخلها علي بن حسن الشيرازي عام ٩٧٦م ، وعين السلطان علي بن حسن ابنه حسناً حاكماً عليها ، وعلى جزر كومورو كذلك . وظلت سفالة تحت سيطرة سلاطين كلوة حتى دخلها البرتغاليون في

---

[١] تحفة النظار، ص ١٩٣.

[٢] العقاد وجمال زكريا قاسم، زنجبار، ص ١٠. تحفة النظار، ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

-Reusch, Op, Cit., 173. Dames, & Hekuyt, The Book of Durate Barbosea, Vol.3, p.6 29.

القرن الخامس عشر، وبذل أمراؤها جهوداً كبيرة في نشر الإسلام[1] ومن المدهش أنه كان من نتائج حملات البرتغاليين الوحشية ، أن ازداد انتشار الإسلام في جنوب أفريقيا، ذلك لأن المسلمين تركوا الساحل ولجأوا إلى الداخل حيث نشروا الإسلام هناك .

لقد انتشر الإسلام بعد ذلك انتشاراً ملحوظاً في جنوب أفريقيا بعد منتصف القرن السابع عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر ، فإن هدوء الأحوال ، وفتح المناطق الداخلية ، مهدت العمل للتجار العرب ، وفتحت لهم أفاقاً فسيحة ، كانت مغلقة من قبل . وفضلاً عن ذلك فقد استخدم رجال الإدارة البريطانيون والألمان ، المسلمين في الوظائف وفي أعمال الوكلاء والشرطة والجيش والأشراف على المدارس . والمعروف عن المعلمين السواحيليين ، أنهم نشطوا في نشر الدعوة الإسلامية بين قبائل البانتو وغيرهم . ويمكن القول بوجه عام ، أن الإسلام سار سيراً حثيثاً في أعقاب مد الخطوط الحديدية وإنشاء الطرق التجارية ، وبذلك انتشر عبر تنجانيقا إلى المناطق الداخلية جنوباً وشمالاً . ففي القرن السابع عشر ، وصلت أولى طلائع المسلمين إلى جنوب أفريقيا في عام ١٦٥٢م من أرخبيل اندونيسيا في مقاطعة الكيب كعبيد في شركة شرق الهند المعروفة بسمعتها السيئة للعمل في مزارع قصب السكر بمقاطعة ناتال ، كما قدم إلى المنطقة أيضاً مسلمون من زنجبار ، وذلك مع بداية العام ١٨٣٧م واستوطنوا في منطقة ديربان[2] وقد ذكر الأستاذ سيد عبد المجيد بكر[3] في هذا

---

[1] سفالة أو سوفالا Sofala اسم من اصل سامي، وجدت جذوره في العربية، والعبرية، والسورية، ومعناها في الأرض المنخفضة، أو أرض الساحل المنخفضة، ومن ثم فإن سفالة تعني تلك الأرض المنسقة السهول التي تحتل مكانها في ساحل موزمبيق، وهذا المكان موجود أيضا في الهند.

Reusch, p. 126 = Franz Babinger, Encyc. of Islam, art. Sofala, Vol., 4 (1), p, 469.

[2] عبدالرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص ١٠٠: المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم، ص ١٣٠. عمر الصديق عبدا لله، أضواء على أوضاع المسلمين واللغة العربية في جنوب أفريقيا: بحوث ومحاضرات المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٢ - ١٧ جمادى الأولى، ١٤٠٦هـ.

[3] الأقليات المسلمة في أفريقيا، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

الشأن ، أن الهولنديين عندما أخذوا يفرضون سيطرتهم على جزر اندونيسيا ، وشبه جزيرة الملايو ، وقاوم المسلمون في هذه المناطق الاحتلال الهولندي ، قبض الهولنديون على المناضلين ، ورحلوهم إلى جنوب أفريقيا ، حيث وضعوا تحت سيطرة الشركة الهولندية التي كانت تحتل هذه المنطقة ، وهكذا شهدت (سنة ١٦٥٢م) قدوم جديد ومؤثر إلى مدينة الكاب ، وتلا ذلك قدوم مناضلين مسلمين جدداً في الأعوام التالية ، كان من بينهم الشيخ يوسف أحمد بن بتانيا شقيق ملك جاوا ، وزعيم المقاومة ضد الاحتلال الهولندي لجزر الهند الشرقية ، فلقد جاء به الهولنديون بعد القبض عليه هو وتسعة وأربعين من المهاجرين المسلمين كسجناء إلى جنوب أفريقيا في سنة ١١٠٥هـ . ثم نفي كثير من المسلمين الهنود إلى هذا السقع بعد نفي الشيخ يوسف . وقد كان هؤلاء المنفيون أساس الوجود الإسلامي الحالي بجنوب أفريقيا . وقد تزوج هؤلاء بالهولنديين والألمان والفرنسيين ، كما تزوج العرب والفرس من قبل بالبانتو وغيرهم[1] .

وفي حوالي عام ١٨٦٠م ، وبضغط من المسلمين أنفسهم ، طلبت الملكة فيكتوريا من الحكومة التركية أن تبعث أحد المعلمين المسلمين ليقوم بتعليم المسلمين أمور دينهم . ولم يكن هذا بالطبع رغبة من الملكة فيكتوريا في نشر الإسلام بتلك البقاع ، ولكن كان ذلك عبارة عن استجابة لضغط المسلمين أنفسهم ، لما يعني الرغبة الصادقة والملحة التي كانت تستبد وتدفع بهم دفعاً تجاه هذه المسألة المتعلقة بضرورة استيعاب تعاليم دينهم الحنيف التي أصبحوا يجهلوها جهلاً تاما[2] .

---

[1] عبدالرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا، ١٠٣.

[2] زنجبار ، ص ١٢:

Reusch, oP. cIT., P. 128.

هذا وقد استجابت الحكومة التركية لهذا الطلب ، وأرسلت معلما مسلماً وهو الشيخ آبو بكر أفندي الذي وصل إلى مدينة الكاب لتنفيذ تلك المهمة، فبدأ المسلمون على أثر ذلك في إرسال أبنائهم لهذا الشيخ ليقوم بتعليمهم مبادئ الإسلام واللغة العربية . وبهذا تمثلت أول نواة للتعليم الإسلامي بجنوب أفريقيا ، وقد تطورت هذه النواة التعليمية الأولى إلى نواة أخرى تمثلت في أن المسلمين لجأوا إلى إرسال أبنائهم إلى البلدان الإسلامية الأخرى لكي ينهلوا من المعارف الإسلامية ثم يعودوا إلى أهليهم معلمين ووعاظاً ودعاة . ثم تطورت الأحوال التعليمية بعد ذلك بجنوب أفريقيا ، حيث قام المجلس الشوري الإسلامي بجنوب أفريقيا ، بإنشاء كلية لأصول الدين برأس الرجاء الصالح . هدفها الأساسي تخريج المعلم الكفوء الذي يساهم حتماً في ترقية وتطوير التعليم الإسلامي[1] .

وفي القرن التاسع عشر استقدم البريطانيون العمال من شبه القارة الهندية الباكستانية ، وذلك بعد أن خلفوا الهولنديين في احتلال جنوب أفريقيا ، وقام هؤلاء العمال بزراعة قصب السكر، وحاصلات المناطق المدارية في منطقة ناتال الساحلية . وكان بين العمال عدد كبير من المسلمين ، وهكذا ازداد عدد المسلمين في جنوب أفريقيا ، وبعد استقرار الجالية المسلمة بالبلاد قام المسلمون بنشر الدعوة الإسلامية بين الجماعات المستضعفة ، والتي تعاني من التفرقة العنصرية، وأخذ أنصار الإسلام يتزايدون ، ثم أخذ الإسلام ينتشر بين المواطنين الأفارقة ، فاتجهت الدعوة نحو معازل البانتو ، فهناك مركز إسلامي في معزل (Uape) ، وهناك مشروع لتأسيس مركز إسلامي في معزل (Sowelo) الخاص بالمواطنين الأفارقة قرب مدينة جوهانسبرج. هكذا غزا الإسلام أقوى قلاع التفرقة العنصرية[2] التي انتهت اليوم بقيام حكومة الأغلبية .

---

[1] عمر الصديق، أضواء على أوضاع المسلمين واللغة العربية في جنوب افريقيا.

[2] سيد عبدالمجيد بكر، المرجع السابق، ص ٢٠٠.

هذا وقد مثلت مدينة رأس الرجاء الصالح الثقل التاريخي للمسلمين ، فمنذ النواة الأولى للمسلمين بها ، لم يزل عددهم يزداد يوماً بعد يوم ، إلى أن بلغوا مبلغاً عظيماً ، فقد يقترب عددهم اليوم من المليون مسلم ، وأنشأوا من المساجد عدداً يتراوح ما بين الـ ٦٠ إلى الـ ٧٠ مسجداً بمدينة الكاب وحدها[١] .

إلا أن الدولة العنصرية ، قبل قيام حكومة الأغلبية برئاسة نيلسون مانديلا ، عملت بشتى الوسائل والسبل ، على محاربة التجمع الإسلامي الكبير بمدينة الكاب ، وضيقت عليهم الخناق ، أيما تضييق ، ثم اضطرتهم إلى الهجرة إلى أماكن أخرى أحياناً ، أو نفتهم إلى أماكن أخرى بعيداً عن مدينتهم التي نشأوا بها ، وترعرعوا فيها – وألقت بهم في مناطق نائية ساءت فيها أحوالهم المادية والاقتصادية، ورغم ذلك تمكنوا في منفاهم من تشييد المساجد ودور العبادة ، ليؤدوا فيها صلاتهم ، ويعلموا فيها أبنائهم أصول الدين واللغة العربية[٢] .

حال المسلمين بجنوب أفريقيا :

تبلغ نسبة المسلمين بجنوب أفريقيا حوالي المليون مسلم من تعداد السكان البالغ ٢٥ مليون نسمة تقريباً . وهذه النسبة الضئيلة للمسلمين بجنوب أفريقيا أدت إلى انعدام الوزن السياسي للمسلمين، وبالتالي أدت إلى انعدام القدرة على متابعة مجريات الأحداث السياسية ، فضلاً عن كل ذلك يجدون من عنت السلطة ما يجدون ، إذ أن النظام في جنوب أفريقيا يقوم على أساس الفصل العنصري ، في ما يعني أن البيض وحدهم هم الذين كانوا يسيطرون على كلية الأحداث السياسية ويصنعونها دون غيرهم ، وهم الذين يسيطرون على جلية الأحداث السياسية ويتمتعون بكل شيء دون غيرهم من بقية الأجناس بما في ذلك الملونين الذين نص الدستور مؤخراً

---

[١] عبدالرحمن زكي، المسلمون في العالم اليوم، ص ٧١.

[٢] مجلة منبر الاسلام، عدد ربيع الأول، سنة ١٤٠٥هـ مقال تحت عنوان: الدعوة إلى الإسلام في افريقيا وأزمة التبشير، د. عبدا لله بخيت محمد.

على إعطائهم بعض الحقوق ولكن بالطبع كانت تلك الحقوق دون حقوق البيض بكثير[1] .

وقد حاول البيض فرض سيطرتهم التامة ، ولعله من المؤسف أن المسلمين كانوا لا يتمتعون بحق التصويت في الانتخابات العامة ، والذي من المفترض أن يكون حقاً مشاعاً لكل مواطن ، ولكن العنصرية لا تعرف معنى الحق . إذ أنها تصنف الناس إلى درجتين لا غير : درجة سامية وهي الدرجة المقدسة المتمثلة في البيض ، ودرجة منحطة يمثلها سواهم من الناس .

وقد حاول البيض فرض سيطرتهم التامة على الأقلية المسلمة ، إذ وفرت الفرص للإرساليات المسيحية لكي تعمل جاهدة من أجل تنصير المسلمين ، ولكن دون جدوى تذكر في هذا الخصوص .

يعتمد المسلمون في دراستهم على الظهيرة ، إذ يدرسون في الفترة الصباحية في مدارس الحكومة العلمانية[2] .

يبلغ عدد المدارس الابتدائية الإسلامية بمدينة الكاب زهاء الـ ٤٠ مدرسة ، وأيضاً توجد ٤ معاهد مسائية للكبار والشباب ، وتستأنف دراستها بالمساء . ولكن من كبريات المشاكل التي يعاني منها التعليم بجنوب أفريقيا وجود المعلم المؤهل الذي يمكن أن يوصل المادة الإسلامية الصحيحة لتلاميذه ، وفي الآونة الأخيرة لجأت الحكومة العنصرية إلى فتح قسم للغة العربية بجامعة (دربن) ولكنها لم تنشئ هذا القسم رغبة منها في تعليم اللغة العربية ، بل مصانعة منها للأنظمة العربية ، بغية استقطاب دعمها لهذا القسم [2] .

---

[1] حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الافريقية، ص ٣٨. عبدالرحمن زكي، المسلمون في العالم اليوم، ص ٧٥ وما بعدها.

[2] أحمد سويلم العمري، الافريقيون والعرب، ص ٧٩ ـ ٨٠ ن/ أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، ص ١٤٥.

الدعوة بجنوب أفريقيا :

الدعوة إلى الإسلام بجنوب أفريقيا تقتضي أن تقسم نشأتها إلى قسمين :

القسم الأول : تناقش فيه معـالم الدعـوة ونعـني بهـا المواعـين الـتي تنصـب فيهـا الدعوة، أو التي تناقش فيهـا معـالم الدعـوة ، أو الـتي بإمكانهـا أن تسـاهم في الدعـوة للإسلام .

معالم الدعوة :

من أبرز معالم الدعوة نشـوء مـا لا يقـل عـن ٣٫٠٠٠ مسـجد بجميـع نواحـي جنوب أفريقيا . وقد سبق أن ذكرنا المعاناة التي يجدهـا المسـلمون مـن بنـاء المسـاجد ، ولكن مع ذلك فإنها تزداد يوماً بعد يوم[١] . ومن معالم الدعوة أيضا أنها توجد زهـاء ٣٫٠٠٠ مدرسة إسلاميـــة في ضواحي جنـوب أفريقيـا . وقـد ذكـر ذلـك الأسـتاذ أحمد زيدان في لقاء له مع هيئة تحرير مجلة الأمة القطرية ، وقد جـاء أيضـاً ذكـر لبعـض معالم الدعوة في نشرة أصدرتهـا النـدوة العالميـة للشـباب الإسـلامي باللغـة الإنجليزيـة بعنوان :

Some (بعض معالم الدعـوة)Musli,s and the DD, Wah- In S-A,
Mileslones in the Da,Wah Salama Educational Institute معهـد السلامة للتربية الذي يقوم بمهمة تأهيل المعلمين والذي تتولى الإشراف علـى التدريـس فيها ، مجموعة من العلماء والذي تكون مدة الدراسـة فيهـا عامـان دراسـيان ، يـدرس الطالب خلالها مجموعة مكثفة من الدراسات الإسلامية .

---

[١] المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم، ص ١٣٠.

أ – مؤتمر الدعوة القومي : وهو مؤتمر قومي يناقش شئون الدعوة بجنوب أفريقيا • فهذه المعالم الدعوية سابقة الذكر مجهود متواضع من المسلمين بغرض تركيز الدعوة •

ب – أنشطة الدعوة :

اتسم تاريخ النشاط الدعوي في جنوب أفريقيا في الفترة التي تسبق بداية السبعينات ، اتسم نشاط الدعوة قبل الفترة آنفة الذكر ، بالجمود الشديد ، إذ كان شأن الدعوة عند المسلمين أن يحافظوا فقط على دينهم ، دون أن يؤثروا في الآخرين • وفي الفترة الأخيرة بالذات أي منذ عام ١٩٧١م –١٩٧٢م تغير الشأن إذ ظهرت جماعة من الشباب المسلم والنشط الذي أخذ يولي الدعوة اهتماماً كبيراً ، وتسمى هذه الجماعة المهمومة بأمر الدعوة ، باسم حركة الشباب المسلم : **Muslim Youth Movement In S.A** والتي تسمى اختصاراً "**M.Y.M**" هذه الجماعة الشبابية المسلمة نشطت الدعوة بطريقة لم يسبق لها مثيل ، لذا يلزم أن تخصص لها الحيز التالي للحديث عنها باعتبارها الجماعة الوحيدة التي تتولى أمر الدعوة في جنوب أفريقيا •[1]

تأسيس الجماعة :

تأسست هذه الجماعة في مدينة دربان في اجتماع عقد يوم ١٦/١٢/١٩٧٠م ثم بدأت من بعد ذلك بمحاضرات تعريفية بها ، واشتد نشاطها بعد مؤتمر الأسرة الأول الذي عقد في عام ١٩٧٢م ، ثم أنشأ لها بعد ذلك فرعاً بمدينة ترنسفال ، وفروع أخرى في كل من جاتسوت ومدينة بريتوريا ، وذلك في عامي (١٩٧٣م – ١٩٧٤م) ، ثم تكون بعد ذلك فرع للنساء ، وقد تأسست هذه الجماعة على عقيدة الإسلام ، كما جاء في الكتاب والسنة •

---

[1] عبدالرحمن زكي، المسلمون في العالم اليوم، القسم (٢)، افريقيا الإسلامية، ص ٦٧.

هدف التأسيس :

وقد هدفت هذه الجماعة من تأسيسها إلى الوصول إلى أسلمة جميع أوجه الحياة : الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وغيرها .

الأهداف الجانبية :

١) صقل الشخص المسلم العامل في مجال الحركة بحيث يصبح شخصية إسلامية متكاملة .

٢) إبراز وترقية نظام القيم الإسلامية في أوساط الأمة .

٣) نشر الإسلام في القطاعات غير الإسلامية .

الوسائل :

١) نظام الدراسة الفردية .

٢) نظام الدراسة الجماعية .

٣) تنظيم ودعم برامج الجماعة .

٤) تبني مبدأ الاستخدام والمشاركة والتدريس .

مبادئ الحركة :

شعارنا كل المؤمنين أخوة ، قائدنا النبي صلى الله عليه وسلم ، دليلنا القرآن الكريم ، مثلنا توحيد وتنشيط الأمة الإسلامية لتكون خيراً وبركة . سياستنا الصداقة مع الجميع ولا مساومة على المبادئ .

العضوية :

يحق لكل مسلم أن يلتحق بعضوية هذه الجماعة ولكن النظام فيها يبدأ

بالتدرج التالي :

الخطوة الأولى : الالتحاق بإحدى حلقات الحركة وتسمى هذه المرحلة بمرحلة الصديق •

الخطوة الثانية : ثم يرتقي العضو إلى مرتبة النصير •

الخطوة الثالثة : ثم يرتقي بعد ذلك ليكون عضواً عاملاً ، وبعد ذلك يحاسب على أعماله جميعاً، الخاصة والعامة ، وتمنح عضوية الشرف لكل من قام بخدمات جليلة للإسلام •

نكسات الحركة :

تعرضت هذه الجماعة إلى بعض النكسات منها : عجز الاتصال بالفروع أدى إلى الشكوك في بعض الدوائر ، ومنهال نزوع بعض الأشخاص دون النضج للتحدث باسم الحركة ، ثم ظهرت بعض الخلافات الشخصية ، هذا فضلاً عن أن بعض الناس أساءوا فهم مواقف الحركة، ولكن الحركة استطاعت أن تتغلب على هذه المشكلات وتتسع دائرتها إلى الدول الأفريقية المجاورة[1] •

أهم أنشطة الجماعة ومنجزاتها :

١) إنشاء صندوق الزكاة الذي يتولى جمع الزكاة وتوزيعها •

٢) إقامة عدد كبير من المؤتمرات والمعسكرات التأهيلية والتربوية من أجل الارتقاء بشأن الدعوة •

٣) تقوم الجماعة بإصدار جريدة تسمى جريدة القلم •

---

(1) حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الافريقية، ص ١٨٥ - ١٨٧.

أحمد سويلم العمري، المرجع السابق ص ٦٦.

A Survey of Muslim in S.A., Journal Institiute of Muslim Mimority Affairs Vol, 3 - 20.

٤) إنشاء معهد السلام للدعاة والذي أشرنا إليه في حيز سابق •

٥) إصدار مجموعات من الكتاب الإسلامي •

٦) إنشاء لجنة طبية تقوم بمهام علاجية واسعة •

٧) قيامهم بمشاريع استثمارية دعماً لخزينتهم •

٨) قيامهم بإحصائيات دورية للمسلمين ، وكشف مناطق الضعف والقوة في مجتمعهم

٩) تصدر الجماعة مطبوعات دورية •

١٠) إنشاء كتيب الثقافة الذي يقوم بمهمة الرد على أعداء الدعوة والحركات المضادة •

١١) إنشاء مركزاً إسلاميا •

١٢) المكتبات للجماعة : عدة مكتبات غرضها الرئيسي توفير المراجع اللازمة للمسلمين •

وقد اجتهدت هذه الجماعة في شأن الدعوة، ولكن ركز نشاطها بصفة خاصة على السود، وكان السبب في ذلك هو نظام الطبقات الذي يباعد ما بين المسلمين ومجتمع البيض[١] •

ما نسبة المسلمين في جنوب أفريقيا وما هي المشكلات التي يواجهونها ؟

إن المسلمين في جنوب أفريقيا لا وزن لهم سياسياً ، ولا يتمتعون بحقوق المواطنة مثل الفئة الحاكمة من البيض ، ويبلغ عددهم اليوم قرابة المليون مسلم ، وهم غير مسموح لهم بالتصويت، إلا أن حالتهم الاقتصادية جيدة جداً ، يمثلون أقل من ٧٪ من مجموع السكان أما المشاكل والتحديات فإنها كثيرة • لما جاء الاستعمار بعدد كبير من المسلمين من أندونيسيا وماليزيا إلى هذا البلد كأسرى وعبيد ، ضغط عليهم

---

[١] عبدالمنعم يوسف عبدالحفيظ، الأقليات المسلمة في جنوب افريقيا، الخرطوم، ١٩٨٧، ص ٥٠.

ليتركوا دينهم ، وطيلة ثلاثمائة سنة والإرساليات التبشيرية ، تعمل عملها بينهم على قدم وساق ، ويقرع أفرادها على المسلمين بيوتهم ويوزعون لهم المكتب والنشرات النصرانية[1] ، وهذه أخطر مهمة تقوم بها الإرساليات في معظم أنحاء العالم. والبيض في هذا البلد أغنياء ، ولكنهم مع ذلك يتلقون فيضاً من المساعدات من الخارج (من فرنسا – ألمانيا – أمريكا)وغيرها، لتقوية الإرساليات التبشيرية ، لذا فمن المستحيل أن تقوم القلة القليلة من المسلمين في جنوب أفريقيا بأعباء إبلاغ الدعوة الإسلامية إلى ٩٨٪ من سكان هذا البلد ، ولا يجوز أن تترك لهم هذه المهمة الجليلة دون مساعدة من الخارج .

والمشكلة الثانية هي : عدم إجادة اللغة العربية ، فالمسلمون هنا يرغبون في تعلم اللغة العربية لأنها لغة الإسلام ، ويجب على كل مسلم أن يتقنها ، إلا أنهم لم يتلقوا عدداً كافيا من معلمي اللغة العربية ، وهناك في جنوب أفريقيا حركة لتعليم اللغة العربية من قبل الحكومة إذا ما وجد عدد مناسب أي حوالي ٢٠ طالباً في المدارس الثانوية ، فإن الحكومة تهتم بتدريس العربية لهم على حسابها ، وكذلك تم فتح قسم للغة العربية في جامعة درين ، وهذا القسم يقوم بتدريب المعلمين ، وهذه البادرة من الحكومة ليست إسلامية ، بل تريد من ورائها تحقيق منافعها الذاتية حتى تتصل بالعرب ، وتتمكن من تحقيق الكثير من المصالح الإقتصادية وغيرها[2] .

النشاطات الإسلامية في جنوب أفريقيا ومراكز التعليم فيها :

إن النشاطات الإسلامية إجتماعيا وثقافيا وتربوياً متعددة ، وقد قام المسلمون منذ ثلاثة قرون بنشاطات إسلامية جليلة فقد أسسوا أكثر من ثلاثمائة مسجد ، وثلاثمائة مدرسة إسلامية وعدداً من المؤسسات الإسلامية . أما النشاطات الإسلامية فتتمثل في إلقاء المحاضرات ، وطباعة النشرات ، وعقد الندوات ، ومن المراكز

---

[1] أحمد نجم الدين، افريقيا ـ دراسة عامة وإقليمية، ص ٤٣.

[2] سيد عبدالمجيد بكر، المرجع السابق، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

والمؤسسات الإسلامية " جمعية المسلمين البيض " ، و"المجلس الإسلامي " ، و " المحكمة الشرعية الإسلامية " ، و " المعهد الإسلامي الشرقي " ، و"دائرة الدراسات العربية " ، و " حركة الشباب المسلمين " ، و " مركز الدراسات الإسلامية".

أما جمعية المسلمين البيض فهي أول جمعية تأسست عام ١٩٧٦م في جوهانسبرغ ، وفي نفس الوقت تم إنشاء مدرسة داخل المسجد . أما المجلس الإسلامي ومقره الرئيسي في دربن ، فيأخذ على عاتقه دعوة العلماء والفقهاء لزيارة جنوب أفريقيا ، وتقوم بمراسلة العالم الإسلامي والجامعات الإسلامية .

أما المحكمة الشرعية في الكاب فتقوم بإنجاز قضايا الزواج والطلاق والتركات ، أما المعهد الإسلامي فهو أقدم معهد تعليمي في دربن .أما حركة الشباب المسلمين فقد تأسست في دربن عام ١٩٧٠م .

وانتشار الإسلام في جنوب أفريقيا خير بديل لما فيه أمل البلد ، فقد عقدت قوانين التفرقة العنصرية كل أمور الحياة على أكثرية سكان هذا البلد ، وحفنة من البيض المستعمرين تقود الكثرة ، وتحرمهم من حقوق الإنسان . وفي هذا الوضع المتأزم يمكن للمسلمين القيام بدور بناء من شأنه أن يساعد على تحقيق الحرية والعدالة والسلام في هذا البلد[١] .

من وسائل نشر الإسلام :

١) إلقاء المحاضرات وعقد الندوات ، وهذا يتم حسب الضرورة والمناسبات .

٢) طبع الكتب والمنشورات للرد على إرساليات التبشير ودعاياتهم المضللة . وقد قام المسلمون بطباعة أكثر من مائة ألف نسخة من كتاب " ماذا

---

[١] حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الافريقية، ص ١٨٦. سيد عبدالرحمن زكي، المسلمون في العالم اليوم، ص ١٢٤.

يقول الإنجيل عن محمد صلى الله عليه وسلم " .

ويمكن تعميم الدعوة في جنوب أفريقيا ، لكن هذا يحتاج إلى جهد الرجال وإعدادهم ، وفي فترة قصيرة جداً . ولكن الذي يحول دون ذلك هو عدم توفر المال الكافي .

أما بالنسبة لوسائل نشر الإسلام وخاصة الراديو والتلفاز ، فإنه لا يمكن أن يستخدمها المسلمون للدعوة الإسلامية فكل وسائل الإعلام تحت سيطرة الحكومة وما يجري في التلفاز عبارة عن مقابلة مع المسلمين الهنود وغيرهم ، ولكن المسلمين لهم الحرية التامة في الدعوة إلى الإسلام ، والحكومة لا تسمح للمسلمين في البلدان أن يبرزوا سياسياً واقتصادياً واجتماعياً . ومنذ عام ١٦٨٥م صدر قانون يحظر زواج البيض مع غير البيض ، وقانون آخر حدد الوظائف ، وقانون جواز السفر والتجارة والتصويت ، كل هذه القوانين تقوم على التفرقة العنصرية . وهناك وسائل أخرى لنشر الإسلام عبر مجلة المسلم " دابجست " ، ومجلة " القلم : في دربن ، وغيرها . ويحتاج المسلمون في هذا المجال إلى طبع نشرات وكتب مهمة ، وهذا يحتاج إلى مساعدة مالية من المسلمين ، وهذا يتم بتضافر الجهود[1] .

بجانب هذا العمل المحدود من المسلمين ، ومقارنة بما تقوم به الإرساليات التبشيرية ، والعمل الضخم الذي تضطلع به المؤسسات النصرانية المسيحية ، لابد من أن نشير إشارة بسيطة، حتى تتضح الرؤيا ، وحتى يتضح الخطر الذي يحيق بالمسلمين في تلك البقاع ، وهو توضيح أهم الأعمال التبشيرية ومراكزها ومؤسساتها ووسائلها المتبعة في جنوب أفريقيا :-

إن أعمال الإرساليات التبشيرية تجري على قدم وساق ، وبكل الوسائل

---

[1] عمر الصديق عبدا لله، المرجع السابق، ص ٨.

A Survey of Muslim in S.A., Op. Cit.

المتوفرة لديها، ففي مجال النشرات والكتب فإنها تقوم بطبع الكثير منها وبأعداد ضخمة بالملايين ، وتوزعها مجاناً وعلى سبيل المثال " فئة من فئات التبشير طبعت ٤٨٨٠٠٠٠٠٠٠ نسخة من كتاب واحد في خمس وتسعين لغة من لغات العالم ، وهذا الكتاب يحتوي على مائتي صفحة ، كل فرد يستطيع أن يجد هذا الكتاب بلغة ، وهذه فئة صغيرة تستطيع أن تقوم بهذا العمل الكبير لكتاب واحد فمابالك ببقية كتبها .

وفي عام ١٩٧٥م ، تم توزيع أكثر من مليون نسخة من الإنجيل ، وقاموا بثماني ترجمات للإنجيل ، من هنا نستطيع أن نعرف مدي تأثير الإرساليات التبشيرية في جنوب أفريقيا ، حيث زودت كل فرد من أفراد هذا البلد بالإنجيل وإذا استطاع المسلمون العمل بالمثل ، فهم يحتاجون إلى ترجمة معاني القرآن الكريم وكتب السنة إلى تلك اللغات .

أما مراكز التبشير ، فهي تنتشر في كل البلد ، وهناك أكثر من ألف طائفة وفرقة من البيض ، وأكثر من ٣ آلاف من السود ، ونجحت الإرساليات إلى توصيل كتبها لهم ، وترجمت لهم الإنجيل . وإذا أردنا أن ننقله مما هو فيه من عقيدة باطلة، فنحتاج إلى إيصال معاني القرآن المترجمة والنشرات الإسلامية إليه ، وحق المسلمين مهضوم في هذا البلد ، فمثلاً إذا بنى المسلمون مسجداً وحوله مساكنهم تأتي الحكومة بعد عشرات السنين وتقول أن هذا المكان مخصص للجالية البيضاء ، وعلى المسلمين أن يرحلوا مقابل تعويضات بسيطة ، ولكن المسجد لا يمكن أن يمحوه ، وقررت الحكومة إعطاء فترة راحة لكي يؤدي فيها المسلم صلاته ، والمساجد في أحياء البيض لا تمس ، ويهاجر إليها المسلمون لتأدية صلاتهم[1] .

---

[1] عبدالمنعم عبدالحفيظ، المصدر السابق، ص ٥٤.

أهم التحديات التي تواجه المسلمين في جنوب أفريقيا :

هناك تحديات من قبل النصارى وهي أنهم يقرعون على المسلمين بيوتهم ، فيعتقد كل من السود والبيض أنهم سوف يدخلون الجنة ، وأن غيرهم حطب جهنم ، ولذلك يريد كل واحد منهم أن ينجي المسلمين مما هم فيه ، فيأتوا إليهم ويعرضوا لهم دينهم في البيوت ومحلات العمل ، ويقوموا بتوزيع النشرات ، وبهذا العمل استطاعت طوائفهم أن تخدع المسلمين البسطاء الذين لا يعرفون كثيراً عن دينهم ، وطبعوا مثلاً كتاب " القرآن يقول " فالمسلم غير الواعي يأخذ الكتاب بكل احترام وثقة ويعظمه ويضعه إلى جانب المصحف ، وكذلك يطبعون الكتب ويزينونها بالآيات مثل " إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم " .وبهذه الطريقة أوصلوا كتبهم إلى المسلمين . وكذلك كتاب سلطان محمد يقول " لماذا تنصرت ؟ " وهذا الكتاب يجد فيه المسلم آيات قرآنية مبعثرة تشوش عليه تفكيره .

ورغم جهود النصارى الجبارة وحيلهم ، إلا أنهم لم يستطيعوا أن ينصروا ٣٠٠ مسلم ، بل قام المسلمون ببناء ٣٠٠ مسجد ومدرسة إسلامية ، رغم كل التحديات والمعوقات . وفي حوالي ٣٠٠ سنة لم يستطيعوا تنصير عدد كبير من المسلمين .[١]

وهنا يجئ دور العالم الإسلامي ، فهؤلاء المسلمين بحاجة إلى مساعدة ثقافية وتعليمية ، وتزويدهم بالعلماء والفقهاء والدعاة وبكل وسائل نشر الإسلام ، ونظراً للعدد الهائل من النصارى لابد أن يتناسب عدد الدعاة المسلمين ؛ والمسلمين بحاجة إلى تعلم اللغة العربية ، ويحتاج المسلمون إلى معلمين للغة العربية حتى يفهموا الإسلام . وعلى كل مسلم أن يقوم بنشر هذا الإسلام . وهذا لا يمكن أن يتبع نفس الوسائل التي يتبعها المبشرون والنصارى .[١]

---

[١] عبدالمنعم عبدالحفيظ، المرجع السابق، ص ٥٧.

[١] Muslim Survey in S.A. Op. Cit.

يعرف المسلمون في جنوب أفريقيا بالملويين ، (نسبة إلى الملايو) الذي جلبهم في الأصل المستعمرون الهولنديون لاستغلال نشاطهم حينما وطأت أقدامهم البلاد ، وكانوا في بادئ الأمر من الملايو وجزائر الهند الشرقية ، واليوم اصبح جميع المسلمين الذين يؤلفون جالية كبيرة في جنوب أفريقيا بهذا الاسم ، مع أنهم من شعوب كثيرة وفدوا من شبه الجزيرة العربية وسيلان والهند وبلاد الملايو أيضاً .

فكان أكثر الذين قد أتى بهم الهولنديون إلى جنوب أفريقيا من المنفيين السياسيين الذين قاوموا الاستعمار الهولندي في جاكارتا (بتافيا سابقاً)، وكان بعضهم من سادة البلاد .

وليس من اليسير معرفة عدد المسلمين في تلك البلاد ، لأن الإحصائيات الرسمية تصنفهم تحت عنوان " الشعوب الأسيوية الملونة " ، ويقدر عددهم حوالي ٧٩ ألفاً يضاف إليهم تسعة آلاف في بتسوانالاند . ويمكن تقسيمهم من ناحية اللغات التي يتكلمون بها إلى المجموعات الآتية :

المجموعة الأولى : والتي تتكون من العنصر الملوي ، والتي ساهمت في استيطان البلاد مع الهولنديين الأوائل . تتكلم اللغة الأفريكانية (الهولندية – الألمانية) وتخلت تدريجياً عن لغتها الأصلية وقد اتبعت الأساليب الأوربية في المعيشة ، وقد احتفظت ببعض أغانيها الفولكلورية ، وما زالت هناك بعض الألفاظ الملوية التي يستخدمونها أحياناً في ألفاظ المحادثة . أما اللغة العربية فهي قاصرة على المسجد أي في مستلزمات الدين الحنيف ، وهي تعلم في بعض المدارس الابتدائية بمعرفة المدرسين الخصوصيين .

ولا تتعدى اللغة العربية في الوقت الحاضر هذا النطاق المحدود ، والمسلمون حريصون على تأدية فريضة الحج كل عام ، وتزدحم بهم ميناء مدينة الراس " الكاب " في موسم الحج .

أما المجموعة الثانية : من مسلمي جنوب أفريقيا فتتكلم لغاتها الوطنية الأصلية

إلى جانب اللغة الإنجليزية ، وأكثر هؤلاء من الهنود ، وأغلبهم يعيشون في ناتال ، ويبلغ عددهم نحو ٢٦ الفاً ٠

المجموعة الثالثة : من قبائل البانتو الذين جاءوا من موزمبيق (كبلبماني) وفي جوهانسبرج يعيش نحو ١٧٠ ألفاً يشتغلون في المناجم ٠

والمجموعة الرابعة : من قبائل الزولو في دربان ، ويوجد في مدينة الكاب نحو ٢٣ مسجداً وثلاثة في مدغشقر ، ومسجدان في كمبرلي ، كما يوجد مسجد في كل من دربان ومارتيربرج[١] ٠

وعلى الرغم من بعد المسافات الشاسعة بين أفريقيا الجنوبية ، وبين الجزيرة العربية إلا أننا نجد أن الإسلام قد شق طريقه إلى أقصى الجنوب من القارة الأفريقية وأقصى الساحل الجنوبي الشرقي لأفريقيا[٢] ٠

مدينة الكاب :

ففي السنين الطويلة التي تلت الرحلات البرتغالية التي بدأت في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي نمت التجارة إلى الشرق حول القارة الأفريقية نمواً واسع النطاق، واجتذبت هذه التجارة الأمم البحرية في الغرب ، ولا سيما هولندا وإنجلترا ٠

ومسلمو الكاب من سلالة أهل الملايو الذين جاء بهم الهولنديون في القرن السابع عشر، أو الثامن عشر ومنهم الشيخ يوسف وهو معلم ديني ، كان ذا نفوذ عظيم في جاوة ٠٠٠ وقد ساقه الهولنديون منفياً إلى مستعمرة الكاب هو واسرته ، وكثيراً من أتباعه ، ولايزال ضريحه يعد مكاناً مقدساً يزوره المسلمون في هذه البلاد ٠

---

(١) المسلمون في العالم اليوم "افريقيا الإسلامية" دكتور عبدالرحمن زكي.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٩.

ولقد أراد المستعمر أن يبدد هذه الجماعات المسلمة وذلك بالاندماج معهم بالتزاوج، كما فعل الهولنديون أو عن طريق التبشير المسيحي إلا أن هذه الجهود التي بذلها الدعاة المسلمون المتحمسون ، ولا سيما الهنود الذين يزورون مستعمرة الكاب بطريقة منتظمة ، والذين يهتمون بتعليمهم أصول الإسلام ، ويبعثون في نفوسهم حياة دينية أعمق من الحياة التي كانوا يحبونها .

ويعتبر عمال الهنود الذين يأتون للعمل في حقول الماس في أفريقيا ، دعاة للإسلام ، وقد أحرز هؤلاء الدعاة نجاحاً ملحوظاً بين الأهالي السود في مستعمرة الكاب ، حيث أسسوا في هذه البلاد مركزاً هاماً لنشر الدعوة الإسلامية[١] .

وزاد انتشار الإسلام في اتحاد جنوب أفريقيا الذي توجد به جالية إسلامية كما ذكرنا ، وذلك على أساس اعتناق نصف مليون نسمة للإسلام سنوياً ، وأن إذاعات القاهرة وكراتشي ودعايات التجار المسلمين كلها ساعدت على انتشاره ، وقد اعتادت أجيال منهم أن تطأ قوافلها هذه البلاد ، وسائر الذين ينشرون الدعوة للإسلام ، ويلقنون الأهالي آيات الله البينات ، وأصبحت كلها تقضي على دعايات التبشير في أنحاء القارة ، وتقضي على أضاليل المبشرين[٢] .

وقد ذكر بعض الباحثين ، أن الذين تحولوا من الوثنية إلى الإسلام ، من بين الزنوج والسود ، ومن أهالي الكاب ، كانوا أكبر عدداً من هؤلاء الذين تحولوا إلى المسيحية ، على الرغم من الجهود الجبارة التي يبذلها المبشرون ، ويعزون ذلك إلى النفوذ الذي أبداه السادة المسيحيون من تعمد عبيدهم خوفاً من الحقوق التي قد يناله العبد الذي يُعمد على أن هذا النفوذ قد أخذ يزول الآن ، بدليل ازدياد عدد الذين يتحولون إلى المسيحية . بيد أن هذا لا يقلل من الجهود التي يبذلها الدعاة المسلمون المتحمسون ، ولا سيما الهنود الذين يزورون مستعمرة الكاب بطريقة منتظمة ،

---

[١] حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الافريقية، ص ١٨٥ - ١٨٧.

[٢] أحمد سويلم، الأفريقيون والعرب، ص ٦٦.

والذين يهتمون بتعليمهم أصول الإسلام ، ويبعثون في نفوسهم حياة دينية أعمق من الحياة التي كانوا يحيونها[1] ٠

ومسلمو مستعمرة الكاب الذين هم من سلالة أهل الملايو - كما تقدم - يتكلمون لغة محرفة من لغة البوير ، مع خليط كبير من اللغة العربية ، وبعض كلمات إنجليزية ، وكلمات من لغة الملايو ٠ ويذكر توماس أرنولد أن هناك كتاباً صغيراً ألف بهذه الطريقة ، وكتب بحروف عربية ، وأن هذا الكتاب نشر في القسطنطينية سنة ١٨٧٧م ، ليستعمل في تعليم أصول الدين الإسلامي ٠

وقد أضاف توماس أرنولد أن الداعي المسلم استطاع أن يحول جموعاً أكبر بمجهود أقل من المبشر المسيحي[2] ٠

ولعل ذلك راجع إلى تغلغل التفرقة العنصرية والتعصب الجنسي عند البيض في هذه البلاد، على حين يعامل المسلمون أهالي هذه البلاد وفق المبادئ الإسلامية ، التي تقوم على أساس الحرية والأخاء والمساواة ولا تقيم أي اعتبار للجنس أو اللون في النظام الاجتماعي ٠

ويتردد على مستعمرة الكاب كل عام جماعة من مسلمي البلاد الأخرى المتحمسين ، يبعثون بين اخوانهم في الدين حياة دينية أعمق من تلك التي كانوا يحيونها، ويقومون بالدعوة إلى الإسلام بين الأهالي السود ويثيرون اهتمامهم بالتعليم[3] ٠

وفي سنة ١٨١٩م لفت كولبروك الأذهان إلى نمو الإسلام في بعض مذكرات

---

(١) حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص ١٨٦.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، ص ٧٧، وما بعدها.

(٣) حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص ٢٤٣.

مختصة كتبها عن مستعمرة الكاب حيث قال : " يقال أن الإسلام يتقدم بين العبيد والسود الأحرار من أهالي الكاب ، ونعني بذلك أن الذين تحولوا من الوثنية إلى الإسلام بين الزنوج والسود على اختلاف أنواعهم ، كانوا أكثر عدداً من الذين تحولوا من الوثنية إلى المسيحية ".

وفي خلال الخمسين سنة الأخيرة كان يزور المسلمين في مستعمرة الكاب جماعة من بلاد أخرى من إخوانهم في الدين المتحمسين " كما ذكرنا من قبل " وقد أثاروا الآن اهتمامهم بالتعليم أكثر مما مضى وبعثوا بينهم حياة دينية أعمق من تلك التي كانوا يحيونها ، ويقال أنهم يقومون بدعوة حماسية ، وخاصة بين الأهالي السود في الكاب ، وأنهم حصلوا على نجاح محقق، وأن حركة نشر تعاليم الدعوة هذه قوية في الجزء الغربي من مستعمرة الكاب خاصة . ويقال أن هناك حركة سائرة في طريق التنفيذ لتأسيس كلية في كليرمونت **Claremont** بجوار مدينة الكاب ، وأنها ستصبح مركزاً لنشر الدعوة الإسلامية .ومن الوسائل التي تستغل الآن تبني الأطفال الشاردين أو المهملين وتنشئتهم على دين الإسلام .

الفصل السادس

بورنـــــــــــــدي*

وصل الإسلام إلى بورندي عن طريق الهجرات العربية التي استقرت في ساحل شرقي إفريقيا منذ زمن مبكر ، وكونت لها مناطق استقرار ومراكز للتجارة على طول ذلك الساحل ، كما نجحت هذه الهجرات في تأسيس الإمارات العربية الإسلامية منذ أيام الأمويين ، وازدادت بعد ذلك في العصر العباسي وقد سبق القول أن أهم الدول الإسلامية التي قامت في ساحل شرقي إفريقيا دولة سليمان وسعيد ، ودولة الزيود ، ودولة الأخوة السبعة ، ثم سلطنة كلوه الإسلامية التي قامت في نهاية القرن العاشر الميلادي • وقد سبقت الإشارة إلى بعض هجرات عربية تركت الساحل وتوغلت في الداخل لأسباب دينية وسياسية واقتصادية • فمثلا انسحب الزيود الشيعة إلى الداخل، بعد أن اشتدت عليهم وطأة الأخوة السبعة الذين هزموهم ، وخربوا لهم ديارهم ، فانسحب الزيود إلى الداخل ، حيث استقروا ، ونشروا الإسلام بين قبائل المناطق التي استقروا بينها •

ولما انهزم الأخوة السبعة على يد آل شيراز الفرس ، اضطرت جماعتهم إلى الهجرة في الداخل، ونشروا الإسلام بين قبائل البانتو والزولو وغيرهم •

وقامت سلطنة الزنج الإسلامية بدور كبير ينشر الإسلام بين القبائل الأفريقية الوثنية في الداخل وفي الجزر الواقعة على الساحل •

---

* بوروندي جمهورية صغيرة، وهي دولة داخلية لا سواحل لها، تقع ضمن هضبة البحيرات في وسط افريقيا، في شمالها رواندا، وشرقها رواندا وجنوبها تنزانيا، وفي غربها زائير، وتطل على القسم الشمالي الشرقي من بحيرة تنجانيقا حيث تسير حدودها مع زائير، تعتبر أكثر مناطق افريقيا ازدحاما بالسكان، وتسكنها قبائل الهوتو والتوتس وجاليات عربية وهندية وباكستانية، ويشكل المسلمون ربع السكان والحرفة الرئيسية هي الزراعة.

وقد أجمعت المصادر إلى السلطان سليمان حسن العظيم، الذي وصلت السلطنة في عهده أقصى اتساعها وازدهارها ، جرد الحملات الحربية إلى الداخل ، واستطاع إخضاع البحيرات العظمى لأفريقيا الوسطى ، وتوغلت قوافله التجارية ، تحرسها جنوده في داخل أراضي رواندا ، وبورندي ونياسالاند ، ورودسيا ، وشرق الكونغو ، وجنوب الحبشة ، وفتحت أبواب التجارة في تلك الجهات حتى بلغت نياسا وتنجانيقا وفكتوريا [١] .

وقد زار الرحالة ابن بطوطه هذا الساحل في زمن من عظمة سلطنة كلوه الإسلامية ، وأعجب بمدن الساحل ، وقال : " ركبت البحر من مدينة مقديشو متوجهاً إلى بلاد السواحل قاصدا مدينة كلوه من بلاد الزنوج فوصلنا إلى مدينة منبسى [٢] ، وهي جزيرة كبيرة بينها وبين أرض السواحل مسيرة يومين في البحر ولا بر لها ، وأشجارها الموز والليمون والأترج ، وأكثر طعامهم الموز والسمك ، وهم شافعية المذهب ، أهل دين وعفاف وصلاح ، ومساجدهم من الخشب محكمة الإتقان ، وبتنا بهذه الجزيرة ليلة وركبنا البحر إلى مدينة كلوه (كيلوا) ، وهي مدينة عظيمة ساحلية، وأكثر أهلها من الزنوج المستحكمي السواد ... ويتكلم ابن بطوطه عن سلطانها فيقول : " يغير عليهم (على الكفار) ويأخذ الغنائم فيخرج خمسها ويصرفه في مصارفه المعينة في كتاب الله " [٣] .

لذلك يمكن القول أن الداخل عرف الهجرات العربية الإسلامية منذ زمن مبكر، وأن العرب خالطوا القبائل الأفريقية القاطنة في الداخل ، وأصبح لوجودهم في الداخل أثر بعيد المدى، من ناحية انتشار الدعوة الإسلامية ، وانصهار المسلمين مع السكان هناك . ومنذ ذلك الحين ، بدأ الإسلام ينتشر انتشارا ملحوظاً في أواسط أفريقيا ،

---

(١) Reusch, Op. Cit., p. 144.

(٢) لعله يقصد هنا جزيرة ممبا، لأن ممبسه على الساحل، ولها بر.

(٣) تحفة النظار، ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

فمهد نزوح العرب منذ زمن دول الزيود والأخوة السبعة ، ودولة كلوة ، مهد العمل للدعاة والتجار العرب ، وفتحت لهم آفاقاً فسيحة ، فسار الإسلام سيراً حثيثاً عبر تنجانيقا وموزمبيق حتى وصل إلى أراضي بورندي . فانتشر الإسلام بين قبائل الهيه Hehe ، ودخل منطقة موجورو [1] .

واستمرت قوافل الدعاة والتجار تتحرك بين الساحل والداخل ، وازدهرت الدعوة الإسلامية في بورندي ، بتزايد الهجرات العربية إلى الداخل في الفترة التي تلت وصول البرتغاليين إلى ساحل شرقي أفريقيا ، في أعقاب رحلات المكتشف البرتغالي التي قادها فاسكو داجاما في نهاية القرن الخامس عشر . وقد تأكد لفاسكو داجاما في خلال هذه الرحلة أهمية ساحل شرقي إفريقيا ، بالنسبة لإمبراطورية البرتغال ، واحتكار تجارة التوابل بين الشرق الأقصى وأوروبا ، واحتكار ذهب أفريقيا ، لأن التجار في الهند لا يبيعون إلا بالذهب[2] . وفي سبيل السيطرة الكاملة على الساحل ومنافذ المحيط الهندي ، استخدم البرتغاليون كل الأساليب الوحشية ضد المسلمين الذين قاوموا التدخل البرتغالي في الأراضي الإسلامية الساحلية منذ الوهلة الأولى . ومن المدهش أنه كان من نتائج حملات البرتغاليين الوحشية ، أن ازداد انتشار الإسلام ، ذلك لأن المسلمين تركوا الساحل أمام تزايد نيران المعتدين ، ولجأوا إلى الداخل ، حيث اختلطوا بالقبائل الموجودة هناك ، ونشروا الإسلام بينها ، وأصبح أهلها مسلمين . وأصبحت مدينة أوجيجي على بحيرة تنجانيقا مركزا كبيراً للمسلمين في بورندي ، ومنها انتقل المسلمون إلى بوجمبورا (العاصمة اليوم) ، ثم توزعوا في أنحاء البلاد كلها ونشروا الدعوة الإسلامية فيها[3] .

وبزوال النفوذ البرتغالي في ساحل شرقي أفريقيا ، عندما اشتدت عليهم

---

(1) عبدالرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في شرق الفريقيا، ص ١٠١.

(2) صلاح العقاد، وجمال زكريا قاسم، زنجبار، ص ١٩ - ٢٠.

Reusch, Op. Cit., p. 227.

(3) المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم، ص ١٣٤.

المقاومة الإسلامية في الساحل ، ثم ظهور العثمانيين الذين شددوا من ضرباتهم عليهم، بدأت المدن الإسلامية في الساحل تستعيد قوتها وتسترجع مجدها . وكانت مقاومة المسلمين في شرق أفريقيا للحكم البرتغالي ، قد أدت إلى تدخل عرب عمان لنجدة إخوانهم في شرق أفريقيا .- وانتهى الأمر بطرد البرتغاليين في القسم الشمالي من الساحل ، ثم زوال نفوذهم من الساحل تماماً في نهاية الأمر . وكان لإمام عمان نفوذ كبير في شرقي إفريقيا ، لأن أسرة (بني يعرب) التي حكمت عمان من سنة ١٠٣٤ - ١١٥٤هـ قد عملت على طرد البرتغاليين من عمان ، ولاحقتهم في كل مكان وبخاصة في عهد السلطان سيف بن سلطان الذي قام بفتوحات كبيرة ، وقضى على ما بقي للبرتغاليين من نفوذ في المنطقة بين ممبسه في الشمال، وموزمبيق في الجنوب ، ويعرف هذا السلطان لدى أهالي البلاد باسم " قيد البحر "[١] .

وبعد انتهاء حكم أسرة(بني يعرب) في عمان تسلم الأمر الأئمة (السعيديون) الذين كان أولهم الإمام أحمد بن سعيد ، والذي حكم ١١٥٤ - ١١٨٨ ، ثم جاء بعده ابنه سعيد بن أحمد ١١٨٨ - ١١٩٣ هـ ، ومنذ سنة ١١٩٣هـ تغير الحاكم من إمام إلى سيد ، وذلك في عهد حميد بن سعيد الذي استمر في حكمه حتى عام ١٢٠٦هـ ، وفي عهده تم الاستيلاء على زنجبار ومراكز في شرقي أفريقيا ، ثم جاء سلطان بن أحمد الذي حكم حتى عام ١٢١٩هـ ، وأتى بعده ابنه سالم ، ولم يطل به الأمر ، حيث جاء بعده أخوه سعيد بن سلطان ، والواقع أن ولاء المدن الساحلية في شرقي أفريقيا لعمان بدأ يضمحل شيئاً فشيئاً حتى عام ١٢٤٨هـ . وعندها نقل سيد (سعيد بن سلطان) عاصمته من مدينة مسقط على خليج عمان إلى زنجبار ، وبهذا عاد الولاء ، بل اصبح مركز سادة عمان إنما هو شرقي أفريقيا . وفي عام ١٢٧٣هـ توفي سعيد بن سلطان ، وقسمت مملكته بين ولديه ، وكان القطاع الأفريقي من نصيب

---

[١] صلاح العقاد، وجمال زكريا قاسم. المرجع السابق، ص ٢٥.

محمود شاكر، المسلمون في بوروي، (مواطن الشعوب الإسلامية في افريقيا) - ١٣ - المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص ٢٤.

ماجد ، بينما حكم عمان ابنه الآخر تويني ، وبهذا أصبح شرقي أفريقيا دولة إسلامية خالصة[1] .

لقد ازدهرت الدعوة الإسلامية في بورندي في عهد سلاطين زنجبار ، فلقد زاد اتصالهم بالداخل ، وأقام التجار ، والدعاة مراكز دائمة بداخل شرقي ووسط إفريقيا ، كان منها طابور في قلب تنجانيقا ، ولا تزال تحمل إسمها إلى الآن ، كولاية في تنزانيا ومدينة هامة بها ، وأقام التجار والدعاة المسلمون في أوجيجي على بحيرة تنجانيقا ، وفي موضعها الآن ومدينة كيجوما في تنزانيا . ولقد ركب المسلمون سفنهم في بحيرة تنجانيقا ، ووصلوا إلى روضح في بورندي وهي ميناء صيد ما زال معروفا، وعقد المسلمون معاهدات مع أمراء المنطقة ، ونشطوا في بث الدعوة الإسلامية في الطرف الشمالي من بحيرة تنجانيقا ، وحيث توجد الآن بورندي ، بل انتقل نشاطهم إلى الكونغو (زائير حالياً) ، ولكن نشاط الاستعمار البلجيكي والألماني والبريطاني عرقل مسيرة الدعوة ، واقتسموا المنطقة بينهم ، وكانت بورندي من نصيب ألمانيا [2] . وشهدت منطقة وسط أفريقيا نشاطاً تنصيرياً مسيحياً يدعمه الاستعمار ، وحاصروا المسلمين ، وأوقفوا نشاطهم . وعندما آلت أمور بورندي إلى بلجيكا في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، واجه المسلمون تحدياً قاسياً ، فلقد فرضوا عليهم العزلة وحالوا بينهم وبين إخوانهم في المناطق المجاورة - بل فرضوا عليهم عدم التجمع والتمركز في جهة واحدة ، وسلبت منهم بعض أملاكهم لتعطيها للبعثات التنصيرية ، وأوكلت إليها الإشراف على التعليم ، ورفض المسلمون إرسال أبنائهم إلى مدارس هذه البعثات ، وفضلوا التخلف على تلقي العلم على أيدي المنصرين ، ولقد أثر هذا الوضع في المستوى الاقتصادي للمسلمين[3] .

لقد سبقت الإشارة إلى أنه كان لأعمال البرتغاليين الوحشية ضد المسلمين في

---

[1] محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٢٦.

[2] سيد عبدالمجيد بكر، المرجع السابق، ص ٢٤٤. محمود شاكر، ص ٣٤.

[3] سيد عبدالمجيد بكر، الاقليات المسلمة في افريقيا، ص ٢٤٥.

الساحل الأفريقي الشرقي ، أن هاجر المسلمون إلى الداخل وبأعداد كبيرة ، فكان لذلك فائدته الكبيرة التي ساعدت على انتشار الإسلام نتيجة لهذه الهجرات الإسلامية المتزايدة . وكان المسلمون قبل الاحتلال البرتغالي يلازمون الساحل ولا يتعدونه، ولم يكن انتقالهم إلى الداخل إلا لأجل التجارة وتنميتها أو لغرض الدعوة . ولم تطل إقامته في الداخل ، فلم يلبث الفرد المسلم منهم أن يعود إلى مركزه في الساحل حيث محل عمله وإقامته . وربما كانت لذلك جملة عوامل منها ، أحوال الداخل التي لا تلائم الاستقرار في ذلك الزمان من حيث الأوضاع القبلية ، والظروف الطبيعية حيث الأمطار الغزيرة ، والغابات الكثيفة ، ومناطق المستنقعات ، هذا بالإضافة إلى الظروف المناخية الأخرى المتعددة . أما بعد الاحتلال البرتغالي ، وبعد أن فشلوا في مقاومته ، رغم استماتتهم في المقاومة ، بدأ المسلمون في الاتجاه نحو الداخل ، حيث نجحوا في إقامة مراكز دائمة لهم للحكم والتجارة والدعوة ، واشتهر من تلك المراكز تابورا وسط تنزانيا ، وأوجيجي على ضفة بحيرة تنجانيقا ، وكان في كل منها والي من قبل سلطان زنجبار سيد السواحل في ذلك الحين . وكان رؤساء القبائل الأفريقية في تلك المنطقة يدفعون الجزية أو يعاهدون الولاة . وكانت هذه الجزية يدفعها رؤساء القبائل منذ عصر دولة الزنج الإسلامية في كلوة – كما أشار ابن بطوطه بذلك –، ثم ظل هؤلاء الرؤساء يدفعونها من بعد ذلك لسلاطين زنجبار . وكانت الجزية في أيام سيد سعيد ريالين عن كل شخص ، وكان تطبيق الحدود قائماً . وكانت هناك فرقة من الجند المرتزقة من أهل البلاد تقوم بحراسة الطرق التي امتدت في المنطقة كافة ، ووصلت إلى غربي البحيرات الكبرى بما في ذلك بورندي ، كما كان من وظيفة هذه الفرقة القبض على المجرمين[1] .

ومع هذا التوسع في المواصلات ، كان التقدم في التجارة نحو الداخل ،

---

[1] ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

Freeman & Grenville, Op. Cit., P. 39.

محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٢٧.

وانتشار اللغة السواحيلية، وكذلك فقد توغل المسلمون في بورندي وروندا والكونغو في غرب بحيرة تنجانيقا، وأقاموا مراكز لهم هناك ، وكان من أشهر هذه المراكز كاسونجو ونيانقفه . وكان من أشهر الولاة في تلك المنطقة حامد بن محمد بن جمعه الموجي الذي التقى بأكثر الرحالة الأوربيين ، وقدم لهم المساعدات . وبقي المسلمون في تلك البقعة حتى أعلن ملك البلجيك إرسال الجنود والأموال لمساعدة الرحالة والاستيلاء على المنطقة باسم محاربة الرقيق ، وجرت الحرب بين المسلمين والأوربيين ما بين سنة ١٣١٠ - ١٣١٢هـ ، حيث خسر المسلمون المنطقة نتيجة تلك الحروب .[١]

لقد نشر المسلمون هناك الإسلام واللغة السواحيلية ، وأقاموا مراكز حضارية هامة ، وكانوا عاملاً مهماً في تقدم السكان ورقيهم ، إلا أن الدول الأوربية بدأت حرباً صليبية ضد المسلمين هناك منذ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وكانت تتفاهم فيما بينها على اقتسام مناطق النفوذ . وقد تسلمت ألمانيا حكم مستعمراتها في إفريقيا ، بما في ذلك بورندي ، ومنعت تجارة الرقيق ، وتلا ذلك توسع كبير في نشاط الدعوة الإسلامية ، وتوطد السلام والنظام في الجهات الداخلية . ومدت السكك الحديدية ، وأنشئت الطرق ، وحينئذ استطاع التاجر المسلم أن يشق طريقه في مناطق كانت مغلقة في وجهه حتى ذلك الحين . وقد اختارت إدارة هذه البلاد موظفيها من بين أكثر السكان المسلمين ثقافة ، لأن أهل البلاد من غير المسلمين كانوا لا يستطيعون أن يمارسوا أي عمل إداري لحياتهم القبلية ، وعدم انتشار العلم بينهم . كما أن الألمان كانوا قلة في البلاد بحيث لا يستطيعون القيام بأكثر من عملية الإشراف على الجهاز الإداري . ولهذا اضطرت ألمانيا أن تسند إلى المسلمين آلاف الوظائف التي أنشأتها . وقد استفاد هؤلاء الموظفون من مراكزهم التي شغلوها في إدخال قرى بأجمعها في الإسلام . وكان معلمو مدارس الدولة مسلمين ، كذلك لأنه لا يوجد من يشغل هذه الوظائف غيرهم ، وقد لوحظ أن معلمي المدارس من السواحلية يقومون

---

[١] محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٢٧.

بنشاط بارز وناجح في نشر الدعوة الإسلامية بين الأهالي ٠ ولقد كثرت الثورات التي قادها المسلمون للتخلص من السيطرة الألمانية ، مثل تلك التي كانت في عام ١٣٢٣هـ ، وأخرى قادها بشير بن سالم عام ١٣٠٧هـ ، إلا أن الألمان استطاعوا القضاء عليها بفضل تفوق السلاح ، والإمكانات الحربية ، وكثرة الجنود المرتزقة الذين اشتركوا في العمليات الحربية ضد المسلمين ٠ وحاولت ألمانيا أن تحكم المنطقة حكماً مباشراً بعد أن آلت إليها ملكية الشركة الألمانية لشرقي أفريقيا عام ١٣٠٩هـ ٠ كما حاولت لحماية مصالحها أن تستولي على كثير من الأراضي ، وتفرض الضرائب ، مما أدى إلى قيام حركة التمرد الضيقة التي عرفت بحركة (ماجي ماجي) ، التي استبسل فيها الوطنيون في الدفاع عن أنفسهم ٠ وأصبح دفاعهم يضرب به المثل في أفريقيا كافة ، بل أصبحت كأنها أساطير تروى ٠ وحرق الألمان المنازل والقرى لإخماد التمرد الذي ذهب ضحيته أكثر من عشرين ألفاً من الأفريقيين ٠ وحاولت ألمانيا أن تغطي الموقف بأن تقوم ببعض المشروعات الاستصلاحية ، وأن تتغاضى بعض الشيء عن سير الدعوة ٠ وكان الذين قاموا بنشر هذه الدعوة من التجار، وبخاصة أهالي الساحل والجنود وموظفي الحكومة ٠ وينظر الوثنيون هناك إلى قبول الإسلام على أنه دليل على الترقي إلى حضارة ومنزلة اجتماعية أرفع مما هم فيها ٠

اندلعت نار الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) ، وهزمت ألمانيا أمام الحلفاء ٠ وفي الوقت الذي دخلت فيه الجيوش الإنجليزية أفريقيا الشرقية الألمانية من الشرق ، وضع البلجيك أيديهم على الأجزاء الغربية منها وهي رواندا وبورندي ٠ وانتهت الحرب ، ووضعت المستعمرات الألمانية تحت وصاية عصبة الأمم ، وهي بدورها قد أوكلت انجلترا إلى الإشراف على القسم الأكبر والشرقي من أفريقيا الشرقية الألمانية ، وقد عرف هذا القسم باسم تنجانيقا ، على حين أوكلت عصبة الأمم إلى البلجيك الإشراف على القسم الغربي الصغير ، وهو مقاطعات رواندا

وبورندي[1] .

لقد عملت الحكومة البلجيكية بشتى الوسائل على إعاقة سير الإسلام وسرعة انتشاره ، وقامت بتشجيع البعثات التبشيرية النصرانية ، ثم عزلت المسلمين بعضهم عن بعض ، أي منعت سفر المسلم البورندي إلى شرقي الكونغو حيث يوجد مسلمون، أو إلى رواندا ، رغم أنها جميعاً تخضع لسيطرة واحدة ووصاية واحدة وهي الدولة البلجيكية ، ومنعتهم من التجمع ، وسلبت منهم بعض ممتلكاتهم ، بحجة أنها بحاجة إليها لبناء كنائس ومدارس للشعب كله لا لفئات معينة ، ووضعت المعوقات أمام تعليم المسلمين . ومع هذا فلم ييأس المسلمون ، إذ استمر بعضهم يعلم بعضاً في مدارس خاصة أو في البيوت ، حتى ضاقت السلطات الكنسية والاستعمارية ذرعاً بوسائل المسلمين في تعليم أبنائهم ، والحفاظ على عقيدتهم والتمسك بها . فاضطرت الحكومة إلى إصدار قرار يقضي بقصر التعليم في أنحاء البلاد الخاضعة لها كافة على مدارس التبشير وإرسالياته . واستمر التوتر ، وساد البلاد جو من التوتر ، ولأول مرة يجتمع المسلمون في عام ١٣٦٣هـ ، وأسسوا جمعية إسلامية هي الجمعية العربية الإسلامية ، وفي العام نفسه فتحوا مدارسهم من جديد ، وأعادوا ايضا بعض ما دمر من مساجد . واستمر الحال هكذا حتى خرج المستعمرون البلجيك من المنطقة . فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٥م) ، انتقلت الإدارة في بورندي إلى وصاية الأمم المتحدة تحت الإدارة البلجيكية ، وكلا الأمرين واحد إذ لم يتغير الوضع . وبعد الاستقلال، أعطت الحكومات الوطنية المتعاقبة المسلمين شيئاً من الحرية، إلا أن سير الدعوة ظل بطيئاً ، رغم أن الجمعية الإسلامية قد أعادت نشاطها ، وأقامت بعض المساجد في مورامفيا وجيتقيا ونجوزى[2] .

يشكل المسلمون اليوم حوالي ٢٠٪ من نسبة السكان ، ويدين أكثر سكان

---

[1] محمود شاكر، المسلمون في بوروندي، ص ٣٧ ـ ٣٨.

[2] محمود شاكر، المسلمون في بوروندي، ص ٤٠ وما بعدها.

بورندي بالوثنية ، إلا أن سيطرة المستعمرين النصارى على المنطقة ، ونفوذ الإرساليات النصرانية ، وتسلمها وسائل الإعلام ، وسيطرتها التامة على التعليم والصحة وغير ذلك جعل عدداً كبيراً من الوثنيين يظهرون اعتناق الديانة النصرانية . لذلك دخلت النصرانية إلى بورندي تحت تأثير الاستعمار سواء كان الألماني أم البلجيكي ، والإرساليات التبشيرية كثيرة في بورندي ، وتعود إلى الكنيسة البروتستانية ، إلا أن نسبة الكاثوليك أكبر ، لأن البلجيك كانوا على هذا المذهب الأخير .

أما المسلمون ، فمعظمهم على المذهب السني الشافعي ، وتبلغ نسبة هذا المذهب حوالي ٨٠٪ ، مع وجود بعض الشيعة والإباضية .

وتوجد في بورندي عدة لغات ، فهناك لغة وطنية تعرف باسم الكيروندية و البروندية ، وتكتب بأحرف لاتينية . ولكن السكان جميعاً يعرفون اللغة السواحيلية ، وينظر إليها على أنها لغة المسلمين ، إذ جاءت من المناطق الساحلية مع المسلمين ، يوم كانت الكلمة لسلطنة زنجبار . أما اللغة الرسمية في بورندي فهي الفرنسية لغة بلجيكا التي كانت تستعمر البلاد [١] .

أما المسلمون في بورندي اليوم ، وأحوالهم الاجتماعية والثقافية فهم يتمركزون في العاصمة بوجومبورا أو سومبورا سابقاً، كما ينتشرون في مناطق قبائل الهوتو ، فحوالي ربع هذه القبائل التي تشكل غالبية السكان من المسلمين في مناطق قبائل التوتس ، وإلى جانب هذا يشكل المسلمون أغلب العناصر المهاجرة إلى بوروندي ، وهم من مالي والسنغال ، ومن الهنود والباكستانيين والعرب ، وينتشر هؤلاء بمعظم مدن بوروندي[٢] .

وقد تمكن المسلمون في الآونة الأخيرة من تكوين العديد من الهيئات الإسلامية

---

[١] المرجع السابق، ص ٤٧ - ٤٨.

[٢] سيد عبدالمجيد بكر، الأقليات المسلمة في افريقيا، ص ٢٤٥.

في بوروندي ، منها الجمعية الإسلامية وتأسست في سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) ، وكان هذا في عهد الاستعمار البلجيكي ، ولم تعترف بها السلطات البلجيكية . ومن الهيئات الإسلامية الجمعية الأفريقية (أسمابو) ، ثم الجمعية الإسلامية (أمابو) ، وجمعية الدعوة الإسلامية في بوجومبورا ، وأخيرا تكونت الرابطة الإسلامية التي تضم المنظمات الإسلامية . وقد أفرد الأستاذ سيد عبد المجيد بكر ، مجموعة من متطلبات العمل الإسلامي في بوروندي[1] . كما أشار إلى العديد من المدارس التي أنشأها المسلمون هناك ، منها ابتدائية للبنين والبنات ، وهي تهتم بتعليم القرآن الكريم واللغة العربية ، ومدرسة الحسين الأهلية ، ومدرسة الإرشاد ، ومدرسة التهذيب ، والمدرسة السنية ، ومدرسة الجمعية العربية الإسلامية . وتحتاج هذه المدارس إلى تطوير مناهجها ومدها بالمدرسين والكتب الإسلامية المترجمة . وفي العاصمة وحدها سبعة مساجد . وهناك مساجد أخرى عديدة بالمدن والقرى وأماكن القبائل الوطنية . وما زال المسلمون يواجهون المشاكل من البعثات التنصيرية التي خصصت لها إمكانات ضخمة، وأعطيت من التسهيلات الشيء الكثير في ظل الاستعمار البلجيكي ، ويسرت لهم الخدمات الصحية والتعليمية . ورغم هذا يقف المسلمون في بوروندي أمام هذه التحديات متمسكين بعقيدتهم كما أن تعدد الفرق الإسلامية يضعف من وحدتهم[2] .

---

[1] المرجع السابق ن ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

[2] المرجع السابق، ص ٢٤٦.

الفصل السابع

موزمبيـــــــــق

لقد سبق القول بأن أهم الشعوب التي اتصلت بشرقي أفريقيا ـ منذ القدم ، وأبقاها أثراً في تلك البقعة من القارة هم العرب ، وساعد على ذلك عامل القرب الجغرافي ، وكثرة التردد ، ونظام الرياح الموسمية في المحيط . وقد نظم العرب رحلاتهم وفقاً لنظام هذه الرياح. وقد نشط العرب في الاتصال بشرقي أفريقيا زمن دولة معين (من حوالي ١٣٠ - ٦٥٠ ق.م) ، وتوارثتها دولة سبأ (من حوالي ٩٥٠ ق.م - حوالي ١١٥ ق.م) ، ثم دولة حمير (حوالي ١١٥ ق.م - ٥٢٥م) ، وكان لهذه الدول نشاط كبير في الحركة التجارية البحرية والبرية ، وعملت على تنظيم طرق التجارة وتأمينها داخل الجزيرة العربية . بدأ ذلك على أيدي معين ، واستفادت سبأ من الطرق التي عبدها المعينيون فانصرفت جهودها لتنمية تجارتها الخارجية والداخلية ، حتى تمكنت من السيطرة على تجارة العالم القديم في المحيط الهندي وسواحل شرقي إفريقيا ، كما أن عهد وارثتها وهي دولة حمير ، يعتبر العصر الذهبي لازدهار التجارة والملاحة في تلك المناطق ، كذلك كان لعرب الحجاز دور كبير ، وقد نوه القرآن الكريم برحلات قريش بعد تدهور دول الجنوب منذ القرن السادس الميلادي . وكان من نتيجة هذا النشاط العربي تقدم فنون الملاحة وبراعة العرب في هذا المجال . كما أن البحار الجنوبية صارت مألوفة ومعروفة عند العرب . وقد وصفها الرحالة الجغرافيون أدق وصف ، كما وصفوا نشاط العرب البحري والتجاري ، منهم ياقوت والمسعودي وابن حوقل وغيرهم . ويشير المسعودي إلى البحار الجنوبية بقوله : "...وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج إلى جزيرة قنبلو من الزنج"[1] .

---

[1] مروج الذهب، ج١، ص ١٠٨ ـ ١٠٩

ويضيف المسعودي عن الملاحة العربية ، وتطور فنون العرب ووصولهم إلى أقصى بلاد شرقي أفريقيا مثل موزمبيق وروديسيا بقوله : " ٠٠٠ وسكنت الزنج في ذلك الصقع واتصلت مساكنهم إلى بلاد سفالة (في موزمبيق) ، وهي أقصى بلاد الزنج ، وإليها تقصد مراكب العمانيين وهي غاية مقاصدهم في (أسافل) بحر الزنج هو بلاد سفاله ، وأقاصي بلاد الواق واق، وهي ارض كثيرة الذهب ، كثيرة العجائب، خصبة ، حارة ، اتخذها الزنج دار مملكة ، وملكوا عليها ملكاً سموه وقليمى يملك ملوك سائر الزنوج "[١] .

لذلك يمكن القول أن عرب جنوبي الجزيرة العربية ، وخاصة عرب عمان عرفوا هذه البلاد قرون عديدة قبل الإسلام ، وتمكنوا من تأسيس المراكز التجارية في سهولة ويسر ، بعد أن بسطوا سيطرتهم ، وحلوا محل الفينيقيين والأفريقيين القدماء في الاستقرار ، وازدهرت تجارة العرب في العصر الإسلامي ، في عصوره المختلفة ، فوصل الإسلام إلى موزمبيق منذ زمن مبكر من وصول العرب والمسلمين إلى تلك البلاد ٠٠ والثابت أن الإسلام دخل موزمبيق عن طريق التجارة والدعوة ٠ ومن المراكز الإسلامية المشهورة مدينة سفالة (سوفالا) التي زارها الرحالة ابن بطوطة في زمن ازدهار سلطنة كلوة الإسلامية (٩٧٥ هـ - ١٤٩٧م) ، وهي آخر ميناء إسلامي على سواحل شواطئ أفريقيا الشرقية ٠ وانتشر الإسلام انتشاراً كبيراً في زمن سلطنة الزنج الإسلامية التي سبقت الإشارة إليها في سياق هذا البحث مرات عديدة ، وذلك منذ القرن الرابع الهجري ٠

وأشارت بعض المصادر أن الإسلام قد وصل موزمبيق منذ زمن دولة الأخوة السبعة التي سبقوا آل شيراز مؤسسو سلطنة الزنج الإسلامية[٢] ٠ ففي عهد الأخوة

---

[١] مروج الذهب، ج٢، ص٦. وقليمي أو واكليمي **Waglim** أو واقليمي **Waglimi** ومفردها مفلم **Waflme** هي الكلمة السواحلية وإقليم **Wagalame** ومعناا زعيم.

Trimingham Islam in East Africa, p.4.

[٢] **Stigand, Op. Cit., p. 19./ Reusch, Op. Cit., p. 85.**

السبعة امتد نفوذ إمارة مقديشو الإسلامية على طول ساحل الزاهية (بنادر) . فذكرت الوثيقة أن سكان مقديشو أول من وصلوا إلى بلاد سفاله في موزمبيق ، وأن سفنهم كانت تتردد على بلاد سفالة لاكتشاف مناجم الذهب الموجودة في تلك الجهات واستغلالها [١] . والمعروف أن سفالة أصبحت تحت سيطرة كلوة منذ أن دخلها علي بن حسن الشيرازي عام ٩٧٦م ،وعين السلطان علي بن حسن ابنه حسناً حاكماً عليها ، وعلى جزر كومورو ، كذلك.وظلت سفاله تحت سيطرة سلاطين كلوه حتى دخلها البرتغاليون في القرن الخامس عشر[٢] .

كانت سوفاله أهم نقاط الارتكاز التي اتخذها العرب على الساحل الشرقي للقارة الأفريقية ، ثم أخذ التجار المسلمون والدعاة يتوغلون إلى الداخل ، وعرف المسلمون هذه المنطقة بجزيرة موسى السمبيق ، وزادت الهجرات الإسلامية إلى بر الزنج ، وكان المهاجرون من العرب والفرس ، من ممبسه وكلوة ، ونشط المهاجرون المسلمون في تشييد المدن الساحلية ، ومنها يتوغلون إلى الداخل . ويمكن تقسيم مراحل انتشار الإسلام في داخل موزمبيق إلى مرحلتين :

بدأت المرحلة الأولى من انتشار الإسلام في موزمبيق بتأسيس المسلمين لمدينتي موزمبيق وسوفاله ، وتوجد الأخيرة في منتصف دولة موزمبيق بالقرب من مدينة بيرا . وكانت سلطنة كلوة هي المسيطرة على هذه المدن ، منذ أن تأسست هذه الإمبراطورية العظيمة في عام ٩٧٥م ، وامتد نفوذها – كما سبق القول – إلى مناجم الذهب في سوفالا ، وهكذا كان نفوذ بني نبهان أصحاب السيادة على سواحل شرقي إفريقيا طيلة القرنين السادس والسابع الهجري ، وقد وصف ابن بطوطه في رحلته إلى بر الزنج

---

(١)

Enrico Ceruli, Op. Cit., Vol. 111, p. 165.

(٢) سفالة، أو سوفالا، اسم من أصل سامي وجدت جذوره في العربية والعبرية والسورية، ومعناها الأرض المنخفضة أو ارض الساحل المنخفض، ومن ثم فإن سفالة تعني تلك الأرض المنبسطة السهول التي تحتل مكانها الجغرافي في ساحل موزمبيق، وهذا المكان موجود أيضا في الهند، ويعتقد أن سفالة هي أوفير المشهورة بالذهب منذ العصور القديمة.

Reusch, p. 126, Franz Babinger, (Ency.) of Islam), Art Sofala, Vol. 4, p. 464.

في القرن الثامن الهجري أحوال المدن الإسلامية في ساحل شرقي إفريقيا ، وأشاد بازدهارها . وجاء وصف مماثل لرحالة برتغالي يدعى " دورت باربوسا " **Daurte Barbosa** ، وقد زار ساحل موزمبيق في سنة ٩٠٦هـ . وخلاصة القول أن الإسلام في المرحلة الأولى وصل إلى ساحل موزمبيق وتوغل إلى الداخل مع التجار المسلمين[١] .

أما المرحلة الثانية ، فقد بدأت بظهور البرتغاليين أمام سواحل شرقي إفريقيا . ففي نهاية القرن التاسع الهجري ، اكتشف " بارثلميو دياز " طريق رأس الرجاء الصالح ، وتابع البحار فاسكو داجاما الرحلات البرتغالية عبر المحيط الهندي ، وشهد شرقي أفريقيا صراعاً دموياً شنه البرتغاليون بتعصبهم الصليبي ضد الإمارات والمدن الإسلامية على طول سواحل شرقي إفريقيا . ووضعوا السيوف في رقاب الناس ، ودمروا مدينة كلوة ومساجدها الثلثمائة ، ودمروا مدن لامو وبيت وممبسه التي أصبحت شوكة في ظهورهم طيلة بقائهم في هذا الساحل . واستمر الصراع بين المسلمين والبرتغاليين قرابة قرنين تدور رحاه في سواحل شرقي أفريقيا حتى ليمكن القول أن مسرح الحروب الصليبية انتقل إلى هذا الساحل بكل فظائعه ، وأعمال الصليبيين الوحشية في كل مكان[٢] . وكان البرتغاليون قد بدأوا في إرسال أساطيل ضخمة إلى المحيط الهندي عندما اكتشف فاسكو داجاما الطريق إلى الهند عن طريق جنوب أفريقيا . وفي الفترة ما بين ١٥٠٠ – ١٥٠٩ سيطروا على معظم ساحل شرقي أفريقيا ، وأسسوا عدداً من المستعمرات ، وقد نجحوا ليس فقط في إخضاع إمبراطورية الزنج ، بل أخضعوا البلاد التي حول الخليج بما فيها مدن هرمز ومسقط ، بالإضافة إلى أجزاء من سيلان ، كما ضموا ملقا **Malacca** ومجموعة جزر الملايو ، وكثيرا من المناطق والمراكز المتناثرة في الهند نفسها . وكان من نتيجة أعمالهم الوحشية أن انسحب المسلمون من الساحل إلى الداخل الأفريقي ، ونشروا الإسلام في

---

[١] سيد عبدالمجيد بكر، الأقليات المسلمة في افريقيا، ص ١٣٨ ـ ١٣٩.

[٢] سيد عبدالمجيد بكر، المرجع السابق، ص ١٣٩/طرخان، الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة في العصور الوسطى، مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد الثامن، ١٩٥٩، ص ٦٧ ـ ٦٨.

مدن موزمبيق الداخلية، ومنها وصل الإسلام إلى نياسالاند " ملاوى " وبحيرة تنجانيقا . وكان فاسكوداجاما في طريق عودته إلى لشبونه ، نزل في سوفالا ، ودخل موزمبيق وعين عليها حاكما . وفي عام ١٥١٢م أصبحت موزمبيق مركزاً لحاكم الساحل ، وبنى فيها البرتغاليون قصراً للحكم والإدارة، ووضعوا فيها حامية عسكرية . وتوافد على موزمبيق التجار البرتغاليون ، وبعض من مواطني البرتغال ، وكونوا نواة مستعمرة موزمبيق ، بينما توقفت الهجرة العربية . وهاجر كثير من المسلمين من الجنوب واستقروا في الشمال . ويلاحظ أنه عندما تخلص العرب في القرن الثامن عشر من الحكم البرتغالي ، ظلت موزمبيق مستعمرة برتغالية[1] .

وقسم البرتغاليون الإمبراطورية إلى أربع مجموعات من المحطات البحرية ، لكل منها حاكم يعينه نائب ملك البرتغال في الهند الذي اتخذ مقره في جوا بالهند . وهذه المجموعات هي :

١) ساحل شرقي أفريقيا .
٢) هرمز وتوابعها على ساحل العرب .
٣) جزيرة سيلان .
٤) ملقا .

وفيما يختص بشرقي أفريقيا ، فقد ارتكز البرتغاليون على القسم الجنوبي من الممتلكات العربية الإسلامية (موزمبيق وما جاورها) ، بسبب اعتدال المناخ ، وقرب مناطق الجنوب من مناجم الذهب الداخلية . وفيما يتعلق بالمناطق الشمالية فقد اكتفوا بالاعتماد على محالفة حكام مالندي الذين كانوا يتلقون من البرتغاليين معونة عسكرية .وظلت موزمبيق تحت الاستعمار البرتغالي الذي جاء في مطلع القرن العاشر الهجري (مطلع القرن السادس عشر الميلادي) ، واستمر حتى استقلال البلاد في سنة

---

(١)

Reusch, Op. Cit., pp. 35 - 235.

١٣٩٦هـ (١٩٧٥م)[1] .

وكان عرب عمان قد نجحوا في قف التقدم البرتغالي ، بل أنهوا نفوذ البرتغال في معظم سواحل شرقي أفريقيا ، وأسس أحمد بن سعيد سلطنة عمانية ضمت معظم شرقي أفريقيا . إلا أن البرتغاليين تمسكوا بموزمبيق، ودام احتلالهم من القرن العاشر الهجري (السادس عشر) حتى الاستقلال . ولم يخضع المسلمون بسهولة للاحتلال البرتغالي ، فكثير ما تنشب الاضطرابات ضد البرتغاليين وقاوم المسلمون في موزمبيق نشاط البعثات التنصيرية في ظل الاحتلال البرتغالي ، ولم يقبل الأفريقيون في موزمبيق على نشاط البعثات التنصيرية بسبب فساد المنصرين والمقاومة الإسلامية لها . وكان هم البرتغاليين منصرفاً إلى الحصول على ذهب موزمبيق مقابل الأقمشة والخرز ، والرقيق مقابل الأسلحة الحديثة[2] .

لقد ازداد انتشار الإسلام في عصر الاستعمال البرتغالي ، ونشط الدعاة في نشر الدعوة إلى الإسلام داخل البلاد ، إلا أن المصادر تختلف في بيان تعداد المسلمين في موزمبيق ، لكن الراجح أن عددهم يزيد على الثلاثة ملايين بنسبة ١٥ ٪ من إجمالي السكان . وتشير مصادر أخرى أن عددهم يبلغ ٢٥٪ من إجمالي عدد السكان[3] . وينتظم المسلمون في موزمبيق تحت إشراف منظمتين رئيسيتين هما :

١) المؤتمر الإسلامي لموزمبيق ، ويمثل السنة .

٢) المجلس الإسلامي لموزمبيق ، ويتزعمه الشيخ أبو بكر إسماعيل مانجيرا.

وينتشر الإسلام بصفة خاصة بين قبائل ماكوا في شمال البلاد . وأيضا بين لوجندا – وماكوندى – دياو – وتسونجا . وتتجمع جماعات المسلمين على طول منطقة الساحل الشرقـــي للبلاد حتى لورنزماركيز حيث توجد فيها بعض المساجد ،

---

[1] صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم، زنجبار، ص٢٢. اسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث، ص ٢٨٦.

[2] عبدالمجيد نصر. ص ١٤٠.

[3] المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم، ص ١٣٥.

وتحتل موزمبيق صفة مراقب في منظمة المؤتمر الإسلامي[1] .

ينتمي أغلب سكان موزمبيق إلى العناصر الزنجية المعروفة بالبانتو (بانتو الوسط) ، ومنهم الياو Yao ، والسواحيليون في النطاق الساحلي ، والشونا وتسنجا ، وهناك أقلية من الأسيويين المهاجرين ، واقلية من البيض معظمهم من البرتغاليين ، ويتركز السكان في النطاق السهلي ، حيث توجد أغلب المدن مثل موزمبيق وبيرا وسوفالا ومابوتو العاصمة . وتمثل الزراعة حرفة أساسية عند السكان، ويعمل بالزراعة ٨٢٪ من القوة العاملة . وتأتي حرفة الرعي بعدها . ولموزمبيق شهرة قديمة في إنتاج الذهب من منطقة سوفالا ، غير أن هذه الأهمية تلاشت بمرور الزمن ، وكشف عن خامات للفحم والحديد في بعض مناطق موزمبيق . وهناك أيضا الثروة الحيوانية ، بالإضافة إلى صناعات خفيفة مثل صناعة السكر ، وصناعة المنسوجات القطنية[2] .

إلا أن الإرساليات أفسدت أحوال المسلمين الاجتماعيةِ والثقافية وغيرها ، وأهملت السلطات الاستعمارية أحوال المسلمين فالمساجد المنتشرة في القرى والمدن الإسلامية بسيطة متواضعة ، كما يعاني المسلمون في موزمبيق من التخلف وانخفاض المستوى وضعف التأهيل المهني، لذا يهاجر العديد منهم إلى الدول المجاورة للعمل في الحرف الشاقة . ويعاني المسلمون من رواسب التنصير في ظل الاستعمار البرتغالي ، كما يعانون من نفوذ إسرائيل الاقتصادي في المنطقة لا سيما في الأقطار التي يهاجر إليها العمال من موزمبيق . وكذلك تسيطر البعثات التنصيرية على التعليم المهني ، لذلك أصبحت الحاجة ماسة لإقامة مشروعات إسلامية وإقامة المدارس والمراكز والمساجد ، بالإضافة إلى الدعاة والكتب الإسلامية باللغة السواحيلية وغيرها .

---

[1] المرجع السابق، ص ١٣٥

[2] سيد عبدالمجيد نصر، الأقليات المسلمة في العالم، ص ١٣٦ - ١٣٧.

الفصل الثامن

سيراليون

سيراليون منطقة صغيرة لا تزيد مساحتها على ٧٢٫٦٦٤ كيلومتراً مربعاً ، ويبلغ طول سواحلها ٣٣٥كيلومتراً ، ويعود ضيقها لإحاطة المستعمرات الفرنسية لها سابقاً . وتتألف أرض سيراليون من سهل ساحلي تكثر فيه المستنقعات والبحيرات الساحلية ، وخط الساحل رملي كثير التعرجات ، ويزيد عرضها على ٣٢ كيلو متراً، وقد استصلح بعضها في الشمال ، وفي الشرق تنمو السافانا إثر موسم الفيضان في الصيف . وفي الجنوب أشجار نخيل الرافيا" ، وإلى الشرق يمتد سهل بعرض ١٦٠ كيلو متراً ، ولا يزيد ارتفاعه على ١٣٠م ، ثم تبدأ الأرض بالارتفاع شرقاً حيث السفوح الغربية لكتلة " فوتاجالون" ذات الصخور القديمة ، وتغطيها الغابات الاستوائية[١] .

وسيراليون تحدها غينيا من الشمال والشرق ، وليبيريا من الجنوب ، والمحيط الأطلسي من الغرب ، وقد عرفت بهذا الإسم " سيراليون " منذ عام ٨٦٧هـ ، إذ أطلقه عليها الرحالة البرتغالي "ديجو جوميز " ، إذ عندما وصل إلى سواحلها كثرت الغيوم وومضات البرق ، وارتفعت أصوات الرعد ، فأطلق عليها هذا الاسم . وتقع سيراليون في السفوح الغربية لمرتفعات فوتاجالون ، وهي بهذا تقع بين خطي عرض ٦٫٥٥ – ١٠ شمالاً ، وهذا يجعلها تقع ضمن الإقليم السوداني ، فهو حار رطب في الصيف ، وترتفع الحرارة أكثر في أيام العام ، وتختلف الأمطار كذلك بين الساحل والداخل ، حيث تزداد في الداخل مع الارتفاع ، وتقل الأمطار كلما اتجهنا شمالاً ، إذ

---

[١] اسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، (قارة افريقيا) الجزءالثاني، ص ٢٤٢، دار المريخ ـ الرياض، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

يصبح المناخ سودانياً ، ويصبح العام فصلين ، فصل حار رطب وهو الصيف ، وآخر جاف هو فصل الشتاء ، وأنهار سيراليون كثيرة غزيرة تنبع كلها من المرتفعات في الشرق، وتتجه نحو الغرب والجنوب لتصب في المحيط لأطلسي ، وهي دائمة الجريان وأشهرها نهر مانو ونهر هورو ونهر موا ونهر سيوا وغيرها .

كانت أرض سيراليون منذ القدم مسرحاً لتنقل القبائل البدائية التي تعيش في غاباتها وسواحلها . وقد خضعت هذه المنطقة منذ القرن السابع الهجري لمملكة مالي الإسلامية ومؤسسوها من الماندنجو الذين قضوا على مملكة غانا ، وسيطر الماندنجو على جزء كبير من بلاد غربي أفريقيا ، ونشروا فيه الإسلام . وقد تبودلت السيادة على منطقة سيراليون بين الممالك الأفريقية الإسلامية التي سادت في خلال العصور الوسطى، وأبرزها دولة غانا التي ورثتها دولة مالي ثم إمبراطورية الصنفى الإسلامية ، ثم دانت المنطقة للسيادة البرتغالية منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، وهم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم كما سبق القول[1] . وكانت الممالك الإسلامية التي سبقت الإشارة إليها تتركز في الداخل ، لذا لم تكن لسواحلها قوة بحرية تحميها ، الأمر الذي جعل البحارة يلجأون إليها دون وجود قوة تمنعهم وهذا ما جعلها مركزاً للملاحين ، الأمر الذي ساعد على دخول البرتغاليين الذين أبرموا اتفاقية مع المسلمين مكنتهم من الوصول إلى سواحل سيراليون الحالية منذ عام ٨٦٧ هـ . وفيما بعد وصل البريطانيون إلى تلك الجهات ، وقد امتهنوا تجارة الرقيق ، وتمكنوا من أن تكون لهم مواطئ قدم . ثم اشتروا الأراضي لتكون مستعمرة لهم ، وقاموا بتوطين الزنوج الذين سرحوا من الجيش والبحرية بعد حرب الاستقلال الأمريكية . ولما نجحت حركة الجهاد الإسلامي في نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر التي قادها الفلانيون بقيادة الشيخ عثمان بن فودى وقيام الخلافة الصكتية التي ضمت كل بلاد نيجيريا والبرنو وأراضي من مالي ، وصل الإسلام إلى سيراليون وازداد انتشاره

---

[1] طرخان، ابراهيم علي، امبراطورية صنفي الإسلامية، ص ١٠٤، الهيئة المصرية العامة للكتابن القاهرة، ١٩٧٥م.

بين قبائل هذه البلاد[1] .

يزيد عدد السكان في سيراليون على الأربعة ملايين ، وإمكانات البلاد الاقتصادية كبيرة من حيث الإنتاج الزراعي والثروة المعدنية ، لكن نسبة الوفيات مرتفعة بسبب انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة ، ويعود ذلك إلى تدهور البيئة وانخفاض المستوى الصحي والتثقيفي ، ويعاني المسلمون خاصة من الإهمال بسبب إزدياد نفوذ المبشرين والنصارى الذين تمكنوا من بسط سيطرتهم في البلاد رغم أن المسلمين يشكلون أغلبية السكان . ويتألف سكان سيراليون من عدة قبائل يزيد عددها على الثلاثين قبيلة من أهمها :

١) التمنى : وينتشر أفراد هذه القبيلة في الشمال ، ويؤلفون ٢٥٪ من السكان ، وكانوا يشكلون السكان الرئيسيين لشبه الجزيرة التي كانت نواة الاستعمار الإنجليزي في المنطقة، أو المستعمرة الأولى ، عندما تأسست مدينة فريتاون[2] .

٢) الماندي : وينتشر أفراد هذه القبيلة في الأقسام الجنوبية من البلاد ، ويصل عدد أبنائها إلى ثلث السكان ، ويقع الخلاف دائماً بينهم وبين قبيلة التمنى .

٣) الفلاني : ويعيشون في شرق البلاد ، وقد نزحوا إلى هذه البلاد منذ زمن ازدهار – مملكة مال الإسلامية في العصور الوسطى ، وازدادت هجراتهم في زمن الخلافة الصكتية ، ونشروا الإسلام والثقافة الإسلامية في ربوع هذه البلاد ، وهم مسلمون متمسكون بعقيدتهم ، قاموا بنشر الإسلام على المذهب المالكي[3] .

٤) ومن القبائل الأخرى كذلك الكربول والسوسو (الصوصو) .

---

[1] نظام الحكم في الخلافة الصكتية، دار نشر جامعة الخرطوم، ١٩٨٣م.

[2] تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر (قارة افريقيا) المرجع السابق، ص ٢٤٣.

[3] طرخان، دولة مالي الإسلامية، ص ٥٣، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣.

وتزيد نسبة المسلمين على ٧٥٪ من مجموع السكان ، وينتشر الإسلام في القبائل كلها دون استثناء ، وإن كانت النسبة تزيد لدى قبائل الماندي وتقل عند الكربول . أما النصارى فلا تزيد نسبتهم على ١٠٪ وأكثرهم من الكربول . أما الوثنية فتكثر في مناطق الغابات . ويلاقي المسلمون الأمرين من الإرساليات التبشيرية النصرانية ذات الإمكانات الهائلة والتي تدعمها الدول النصرانية .

تزرع البلاد الفول السوداني والنخيل الزيتي والأرز والذرة والكاكاو وجوز الهند والبن والكاسافا والموز والفواكه والكولا والكتان والزنجبيل ، وتستثمر الأخشاب من الغابة[1] .

أما اللغة في سيراليون ، فلكل قبيلة لغتها الخاصة التي يتخاطب بها أبناؤها فيما بينهم ، أما اللغة الرسمية فهي اللغة الإنجليزية ، إلا أن اللغة العربية لها أيضاً مكانتها الخاصة في سيراليون ، وهي تتقدم وتنتشر مع انتشار الإسلام وتوسع الثقافة الإسلامية. وهناك لغة الكربول التي يتفاهم بها الناس جميعاً في سيراليون ، وهي لغة إنجليزية محرفة ومتطورة ، إذ دخلتها كلمات ومفردات من لغات عديدة من هولندية وبرتغالية وفرنسية ودانماركية وعربية ، بالإضافة إلى لغات القبائل في سيراليون، وبعض مفردات من لغات بعض القبائل الأفريقية المجاورة إذ أن الأرقاء المحررين عندما أقاموا في هذه المنطقة كانوا يتكلمون اللغة الإنجليزية ، ثم اختلطوا كذلك بالمحررين الآخرين القادمين من دول أجنبية أخرى ، وكانت لهم لغاتهم الذين يتحدثون بها ، كما اختلطوا برجال القبائل الأخرى ، فتكونت لغة جديدة هي مزيج من عدة لغات ، أطلق عليها لغة الكربول المحلية [1] وهذا الوضع شبيه باللغة السواحيلية في شرقي أفريقيا .

تاريخ انتشار الإسلام في سيراليون :

أما عن الإسلام وانتشاره في السودان الغربي (غرب أفريقيا) ، فالمعروف أنه

[1] تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص ٢٤٤.

بدأ ينتشر من حوالي منتصف القرن السابع الميلادي ، أي بعد فتح مصر وشمالي أفريقيا، ولم يكن المرابطون الذين قاموا بنشر الدعوة الإسلامية في القرن الحادي عشر، هم الذين أدخلوا الإسلام تلك البلاد لأول مرة ، بل إن حركتهم أدت إلى ازدياد عدد الداخلين في الإسلام •

فالصلة التجارية والثقافية قديمة منذ الأزمنة السحيقة ، بين بلاد السودان وبلاد البحر المتوسط ، وقد كثرت هجرات المسلمين بعد ظهور الإسلام ، من العرب والبربر إلى بلاد السودان، وذلك منذ الفتح العربي الإسلامي لمصر وشمالي أفريقيا ، واحتكر التجار المسلمون عملية الاتصال ببلاد السودان لأسباب دينية وتجارية ، واستقرت أعداد كبيرة منهم في تلك البلاد • وهناك جهود إمبراطورية أودغست الإسلامية ، وتفاني ملوكها في نشر الإسلام بين الزنوج • بلغت هذه الإمبراطورية ذروة قوتها وعظمتها خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، وقامت بدور كبير في الدعوة إلى الإسلام قبل حركة المرابطين(١) •

والمعروف أن أودغست مدينة أسسها السوننك ، ولو أن حكامها من البربر من قبيلة لمتونة ؛ جهدت هذه الإمبراطورية في نشر الإسلام ، جنباً إلى جنب مع تنشيط حركة التجارة بين بلاد السودان وشمالي أفريقيا ، عبر الطرق الصحراوية ، والسلعة الهامة المطلوبة لبلاد السودان هي الملح(٢) •

ويذكر عن ملك أودغست أنه كان شديد التحمس لنشر الإسلام بين قومه وبين الزنوج المجاورين من ناحية الجنوب •

كل تلك جهود وصلات مباشرة بين المسلمين وبلاد السودان ، لها أثرها لا شك في دخول أعداد كبيرة في الإسلام قبل القرن الحادي عشر • وفي مطلع القرن الحادي عشر الميلادي، جاء إسلام ملك التكرور وأرجابي ابن رابيس (ت حوالي

---

(١) و(٢) طرخان، غانا في العصور الوسطى، ص ٥١، مستخرج من المجلة التاريخية ـ المجلد الثالث عشر، ١٩٧٦م، القاهرة.

٤٣٢هـ / ١٠٤٠م) عنصـراً هـاماً في ازدياد انتشـار الإسلام وهو صاحب الفضـل في إسلام أهل سلي من أعمال التكرور[1] .

ويقول البكـري : " أن المسافة بين سلي وبين غانة " عشرون يوماً في عمـارة بلاد السودان " .[2] وليس مـن شـك في أن هـذه الصـلات المتنوعـة ، وهـذه الجهـود البارزة ، قد أدت إلى انتشار الإسلام في غربي إفريقيا ، ولما كانت غانة جزء من غربـي أفريقيا ، فلا ريب أن الإسلام دخلها وانتشر بين بنيها ، بدرجـات متفاوتـة . لكـن لا نستطيع أن نقـول إن البـلاد كلهـا .. حكومـة وشعباً ، أو حكامـا ومحكومـين ، قـد اعتنقت الإسلام ، أو الإسـلام صـار الديـن الرسمـي لإمبراطوريـة غانـا . والراجـح أن أعداداً كبيرة من سكان غانه قد اعتنق الإسلام ، وأن مظاهر هـذا الديـن مـن الشـعائر والمساجد والثقافة واللغة العربية ، قد وجدت طريقهـا إلى بـلاد غانـه في زمـن مبكـر ، قبل المرابطين . والثابت أن أراضي إمبراطورية غانا القديمة قد ضمت أراضي سيراليون الحالية ، بل وصلت إلى المشارف الشمالية لحدود جمهورية غانه الحديثة .

وهناك أكثر من دليل على قدم الإسلام في تلـك البـلاد ، فقـد ذكـر البكـري (ت١٠٩٤م) أن بـني أميـة أرسـلوا جيشـاً إسـلامياً لفتـح بـلاد السـودان ، في صــدر الإسلام ، واستقرت ذرية هذا الجيش في غانة[3] ... ويقول القلقشندي عـن إسـلام أهل غانه : " وكان أهلها أسلموا في أول الفتـــح "[4] . ثـم أن نمـو الحـي الإسـلامي بعاصمة غانا ، أو المدينة الإسلامية ، ليس من المعقول أن تكون قد ظهرت مرة واحـدة أو خلال وقت قصير ، بحيث أصبحت تضم اثني عشر مسجداً ، وأنها صـارت موطنـاً لعدد كبير من فقهاء المسلمين وعلمائهم .

---

[1] طرخان، المرجع السابق، ص ٥٢ز

[2] البكري، ابو عبدا لله بن عبدالعزيز البكري، (ت ١٠٩٤م) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، نشرة راندو **Random** الجزائر، ١٨٥٧م) ص ١٧٢ ـ ١٨٣.

[3] البكري، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

[4] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٨٤.

يقول البكري : " ومدينة غانا مدينتان سهليتان إحداهما المدينة الإسلامية التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها إثنا عشر مسجداً ، إحداهما يجمعون فيه – أي يؤدون صلاة الجمعة – ولها الأئمة والمؤذنون ، وفيها فقهاء وحملة علم ، وحواليها آبار عذبة ، منها يشربون وعليها يعتملون الخضروات "[1] .

ومن الظواهر البارزة في تاريخ إمبراطورية غانا ، أن المسلمين لكثرتهم وهويتهم وثقافتهم ونشاطهم سواء أكانوا من السوننك الوطنيين أو من المستوطنين العرب والبربر ، تمتعوا باحترام واضح من قبل الملوك الوثنيين ، ومجر نمو القسم الإسلامي في العاصمة ووجود إثنى عشر مسجداً به ، دليل كبير على الاحترام وهذا التسامح ، وأكثر من هذا ، أقام الملك الوثني مسجداً في الحي الوثني من العاصمة وهو " الغابه " لكي يؤدي فيه المسلمون الوافدون عليه ، شعائر دينهم ، يقول البكري : " وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين ، على مقربة من مجلس الملك ." ... ويصف البكري الملك الغاني تنكامنين بقوله إنه كان " محمود السيرة، محباً للعدل مؤثراً للمسلمين "[2] .

هذا وإسلام رعايا غانه قبل حكومتها ، لم يحل دون تولي المسلمين أسمى المناصب في الحكومة ، وحسبنا ما ذكره البكري عن كبار رجال حكومة الملك الوثنيين .

وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه "[3] لكن هذا لا يعني أن جميع ملوك غانه ، كانوا على الوثنية ، بل هناك رواية تقول أن الملك تلوتان أو بولاتان وهو ابن تكلان اعتنق الإسلام حوالي عام ٨٣٧م ، وأنه شن حرباً دينية ضد جيرانه الوثنيين[4] . وإذا صحت هذه الرواية ، فإنها تدل على أن ملوك

---

[1] البكري، ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

[2] المغرب، ص ١٧٥.

[3] غانا في العصور الوسطى، ص ٥٣.

[4] المصدر السابق، ص ٥٤.

غانه صاروا مسلمين على التعاقب منذ القرن التاسع الميلادي فصاعداً ، بل المحتمل أن قلة منهم أسلمت وأن غالبيتهم ظلت على الوثنية إلى أن جاءت حركة المرابطين[1] .

جاء المرابطون في النصف الثاني من القرن الحادي عشر ، وقد بدأوا حركتهم في المشارف الشمالية لبلاد السودان ، بإخضاع أودغست عام ١٠٥٥م ، عقاباً لها على خضوعها لحاكم سوننكي ، واتجهوا بعد ذلك إلى مدينة غانا ، واستولوا عليها عام ١٠٧٦ ، وعينوا عليها حاكماً من البربر . ومنذ ذلك ، أي من أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، يمكن أن يؤرخ لإمبراطورية غانا الإسلامية حتى اختفائها من التاريخ في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي ، فقد أضحت حكومتها إسلامية ، ويقال أن الملك تنامنين السوننكي كان يحكم غانه عند فتح المرابطين لها ، وأنه قبل الدخول في الإسلام والخضوع لسلطان المرابطين ودفع الجزية ، وأنه بإسلام هذا الملك دخل عدد كبير من سكان غانا وغيرها من المدن في الإسلام .

والمحقق أن الكثير من سكان إمبراطورية غانا ، قد اعتنق الإسلام قبل القرن الحادي عشر، وأنه منذ فتح المرابطين لعاصمة غانه ، ازداد عدد الداخلين في الإسلام كما أسلم ملوكها أو أضحى ملوكها مسلمين ، وأصبحت الحكومة إسلامية منذ ذلك الوقت[1] .

واشتهر أهل غانه ، وأغلبهم من السوننك ، بحماستهم للإسلام ، وبالدور الكبير الذي نهضوا به في الدعوة إلى الإسلام ، إن كانت هذه العقيدة ذات أثر عميق في حياتهم الاجتماعية ، حتى أن بعض الشعائر السوننكية ، تكاد تختص بالعمل في الدعوة إلى الإسلام فقط ، بل أن كلمة " سوننك في أعالي نهر غامبيا ، استخدما الماندنكا الوثنيون مرادفاً لكلمة " داعي " مما يدل على الدور الكبير الذي لعبه السوننك في نشر الإسلام[2] واتصلت حكومة غانا بالإسلام اتصالاً مباشراً بالخلافة العباسية في بغداد وأجبرت رعاياها على لبس العمامة ، كما أن ملوك غانا الإسلامية

---

[1] غانا في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص ٥٤.

[2] المرجع نفسه، ص ٥٥.

ادعوا أنهم ينتسبون إلى البيت العلوي .

لقد جاءت الصدمة الكبيرة على الوجود التاريخي لإمبراطورية غانا على يد قبائل السوسو (الصوصو Soso أو Susu) وهي القبائل التي سبقت الإشارة إليها عند الحديث عن أشهر قبائل سيراليون ، والسوسو (الصوصو) فرع من الفولانيين ، هاجروا من بلاد تكرور وكونوا لهم طبقة حاكمة في إقليم كانياجا التابع لإمبراطورية غانا ، وظل حكام الصوصو يدفعون الجزية لحكومة غانا فترة طويلة ، حتى إذا كان فتح المرابطين لغانة عام ١٠٧٦م خرج الصوصو وأعلنوا استقلالهم وانفصالهم عن غانه . وأخذوا يتوسعون فيما حولهم حتى أنهم انتزعوا إقليم ديارا من غانا الإسلامية أواخر القرن الثاني عشر[١] . وفي مطلع القرن الثالث عشر ، استولى أعظم أباطرة السوسو وهو سومنجارو على العاصمة كومبى صالح عام ١٢٠٣م ، وبذلك أنهى الصوصو سيادة الملوك الغانيين المسلمين ، فتفرقوا في البلاد ، كما أن عدداً كبيراً من المسلمين من سكان العاصمة الغانية اتجه إلى مدينة ولاتا ، حيث أقاموا مركزا تجارياً لهم، وسرعان ما إزدهرت هذه المدينة حتى صارت من أعظم المراكز التجارية في السودان الغربي[٢] .

على أن نهاية إمبراطورية الصوصو وسومنجارو نفسه جاءت على يد ماري جاطه إمبراطور مالي الإسلامية ومؤسسوها من قبائل الماندنجو ، وأسرة كيتا هي صاحبة الدور الكبير في القضاء على إمبراطورية الصوصو الوثنية ، والتي استطاع ملكها ماري جاطة ضم جميع أملاك الصوصو ، كما ضموا جميع أراضي إمبراطورية غانا ، واستولوا على معظم بلاد غربي إفريقيا ، ونشروا فيها الإسلام .[٣]

لقد كان الماندنجو ، من أكثر شعوب غربي أفريقيا تمسكاً بالإسلام وتحمساً له ، وازداد انتشاره بينهم ، وأصبح دين الدولة ، وكان المذهب السني المالكي هو الذي

---

[١] غانا في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص ٧٦.

[٢] طرخان، دولة مالي الإسلامية، ص ٥٣.

[٣] خرخان، دولة مالي الإسلامية، ص ٥٣.

ساد في دولة مالي ، وفي أغلب دول غربي أفريقيا الإسلامية • ومن مظاهر تمسك دولة مالي بالإسلام شدة الحرص على تعليم القرآن للصبية ، وقد شهد ابن بطوطة خلال رحلته في مالي (١٣٥٢م - ١٣٥٣م) كثيراً من هذه المظاهر • وعرف عن ملوك مالي نشاطهم وحرصهم على الإسلام ومؤسساته • وتمتع العلماء المسلمون بمكانة سامية في دولة مالي ، حتى في عهدها الوثني ، واقترنت جميع فتوح مالي الحربية بالدعوة الإسلامية بين الوثنيين[١] •

هكذا كان انتشار الإسلام في تلك البلاد وحرص ملوكها وعلمائها على التمسك بمظاهره فضلاً على الدعوة له • أما عن طبيعة انتشار الإسلام في مالي وغيرها من دول السودان الأوسط ، والغربي ، وتفسير سرعة انتشاره وقبوله ، فإنه من الملاحظ ، لأول وهلة ، أن الإسلام في أفريقيا جنوبي الصحراء ، ظفر بأقوى القبائل وأعظمها شأناً ، وأنه هو الذي أدى إلى قيام الإمبراطوريات الإسلامية الكبرى في جميع بلاد غربي أفريقيا من المحيط الأطلسي إلى مملكة سنار الإسلامية في جمهورية السودان الحالية أو في حوض النيل • لقد جاء الإسلام إلى الزنوج وهم سادة في أوطانهم يتمتعون بكامل الحرية والسيادة والاستقلال والقوة ، ويمارسون حكوماتهم وينظمون شئونهم الخاصة و مجتمعاتهم ، لم يكن لدعاة الإسلام من العرب والبربر أو ناشريه أدنى قسط من السيطرة ، وإن كان نفوذهم الروحي عظيماً ، لكنه مقبول عن رضى واقتناع • ولا يمكن أن ننسى أن الإسلام هو الديانة السامية الوحيدة التي أدت إلى تقدم وتطور قارة أفريقيا الواسعة ، ومهما كان مستقبل المسيحية في أفريقيا ، فليس هناك أدنى شك في أن هذا المستقبل سوف يتأثر نتيجة حماسة الزنوج المسلمين • وقد اقترن انتشار الإسلام والعلوم الإسلامية في هذه البلاد بانتشار اللغة العربية وعلومها ، إذ سارت الدعوة الإسلامية جنباً إلى جنب مع اللغة العربية والعلوم العربية على اختلافها[٢] •

---

(١) المرجع نفسه، ص ٥٥.

(٢) طرخان، دولة مالي الإسلامية، ص ٦٠.

لقد كانت المرحلة التي تلت دور مالي في نشر الإسلام في تلك البقاع ، ما قامت به إمبراطورية الصنفى الإسلامية ، وهي التي ورثت مالي في تلك الجهة ، منذ أسلم أول ملوكها زاكاس حوالي ١٠٠٩م ، على نشر الإسلام بين الوثنيين ، كما كان الشأن بالنسبة لمالي ٠- وفي زمن سنى على (ت ١٤٩٢م) ازداد انتشار الإسلام حتى وصل إلى فروع النيجر الشرقية ، كما أن أسرة الاساكي التي تبدأ بالأسكيا الأكبر (ت ١٥٢٩م) قامت بأعظم دور في نشر الإسلام ، وبلغت إمبراطورية صنفى زمن الأسكيا محمد أو اسكيا الأكبر أقصى اتساعها وعظمتها ، حتى ظفر بلقب الإمام ولقب أمير المؤمنين[1] ٠

كذلك يضاف إلى هذه الأدوار ما قامت به قبائل الفلاني التي اشتد حماسها لنشر الإسلام زمن ازدهار دولتهم (الخلافة الصكتية) في القرن التاسع عشر ، على أن إسلام الفلانيين يرجع إلى حوالي القرن الرابع عشر ٠

لقد شق الإسلام طريقه إلى سيراليون أيضاً ليس عن طريق الفتح الحربي أو الضغط أو القهر ، ولكن عن طريق التجارة والمصاهرة والإندماج والكتب والمدارس والمساجد ، لأنه يصعب إخضاع وقيادة القبائل الكبيرة عن طريق الحرب ٠ وكان العلماء والفقهاء والتجار الذين يتصلون بسكان هذه البلاد من أقوى العوامل التي ساعدت على اعتناق أهل هذه البلاد للإسلام، وذلك لما كانوا يتمتعون به من سماحة وتقوى وأخلاق حسنة ، حتى غدت كلمة مسلم تدل على أن صاحبها منزه من فعل السوء ٠

أما المساجد وكثرتها منذ دخول الإسلام هذه البلاد ، فتدل على أهميتها البارزة ودورها الكبير في ازدهار الحياة الاجتماعية والثقافية الإسلامية في سيراليون ، فالمسجد هو المكان الأول الذي يهتم بقضايا المسلمين ، لذا شيدت كل جماعة مسجدها الخاص ، وعينت له إماماً ليكون كلامه الفصل في المشكلات التي يتعرض لها

---

[1] نظام الحكم في الخلافة الصكتية، ص ٢٠.

المجتمع . ففي المسجد يعقد النكاح ، ويكون الطلاق، ويفصل في الخصومات ، وتوزع الزكاة ، ... الخ .

وأشهر هذه المساجد[1] :

١) الجامع العتيق : وهو خاص بجماعة اليوروبا التي قدمت من نيجيريا .
٢) جامع التوحيد .
٣) جامع كوتورد .
٤) جامع الولا .
٥) جامع الوسو .
٦) جامع أوب كون .
٧) الجامع الجليل .
٨) جامع الفردوس .
٩) جامع الأمين .
١٠) جامع الهوسا .

وقد ساهمت جميع هذه المساجد مساهمة فعالة في انتشار الإسلام بين القبائل كلها . وقد نشأت كذلك جمعية الأخوة الإسلامية عام ١٣٨١هـ واستطاعت فتح سبعين مدرسة ابتدائية وثانوية ، ومعهد لتخريج المعلمين ، وتدرس هذه المدارس منهج وزارة المعارف في سيراليون ، وتوجد هناك جمعيات أخرى كالجمعية الإيمانية في العاصمة فريتاون ، وذلك منذ عام ١٣٥٧هـ[2] .

الكشف الجغرافي والاستعمار :

الإتصال بين أفريقيا ، جنوبي الصحراء وغربيها بصفة خاصة ، وبين العالم

---

[1] محمود شاكر، مواطن الشعوب الإسلامية، سيراليون، ص ٤١ - ٤٢.

[2] طرخان، البرتغاليون في غرب افريقيا، ص ١٢، مستخرج من حوليات كلية الآداب، المجلد الخامس والعشروون، الجزء الأول - مايو ١٩٦٣، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٧.

الخارجي ، ظاهرة قديمة ومستمرة منذ الأزمنة السحيقة ، وقد دلت الآثار المكتشفة حديثاً على أن غربي أفريقيا ، كان مركز نشاط ومدنية ، منذ أقدم العصور ، بل هناك اعتقاد ، بأن أقدم الصناعات الأوروبية التي ترد إلى العصر الحجري القديم ، وفدت من تلك البقعة ، عن طريق البر ، منذ كانت الصحراء خصبة مسكونة من نحو ٤٠ ألف سنة ، ودلت كذلك على أن صناعة الحديد قديمة في تلك البلاد[1] .

نشطت حركة المواصلات والتبادل التجاري بواسطة طرق القوافل التي تملأ الصحراء الكبرى ، على مر القرون ، وساهم الفينيقيون بقسط كبير في نقل منتجات وسط أفريقيا وغيرها، إلى بلاد البحر المتوسط وأوروبا بعد أن تصل إلى موانئ شمال أفريقيا ، وازدادت النقلة من وإلى بلاد السودان الغربي والأوسط ، على أثر دخول الجمل إفريقيا ، إذ قلت أخطار الرحلات ، كما قلت المخاوف التي تكتنف السفر داخل الصحراء ، وبزيادة الاتصالات وسهولتها ، كثرت هجرات عربية من الشرق وشمالي إفريقيا إلى بلاد السودان جنوبي الصحراء ، ولاسيما بعد ظهور الإسلام . ومع هذه الاتصالات والآثار التي لم تنقطع في أي فترة من فترات التاريخ ، قامت محاولات قديمة ، قدم هذه الاتصالات للكشف الجغرافي والتعرف على أحوال تلك البلاد وغيرها . أي أن محاولة التعرف والاتصال بغرب أفريقيا ، أمر قديم ومستمر ، وكلما ازداد الاتصال ازدادت المعرفة بثروات تلك البلاد ، كلما اشتدت الرغبة في الاتصال المباشر . ومنذ القرن الثاني عشر تقريباً، كانت أوروبا جادة في التعرف على قلب أفريقيا ، والحصول على المزيد من منتجاتها . ثم إن شهرة إمبراطورية مالي الإسلامية وعظمتها في القرن الرابع عشر الميلادي ، ومن قبلها شهرة إمبراطورية غانا بذهبها وثرائها ، قد بهرت أوروبا . بل إن عظمة مالي وحدها زمن السلطان كنكن موسى ٧١٢ – ٧٣٨هـ /١٣١٢–١٣٣٧م ، كانت من العوامل الهامة التي حفزت أوروبا على ضرورة الإسراع في محاولة الوصول إلى قلب أفريقيا عن طريق غير الطريق الذي

---

[1] طرخان، البرتغاليون في غرب افريقيا، ص ١٢، مستخرج من حوليات كلية الآداب، المجلد الخامس والعشرون، الجزء الأول ـ مايو ١٩٦٣، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧٦.

يتحكم فيه المسلمون • ولا شك أن التجار الأوربيين المقيمين قرب ساحل إفريقيا الشمالي قد شهدوا موكب حج السلطان موسى ، وهو في طريقه إلى الأرض المقدسة ، ورأوا فخامته وعظمته وما يحمل من ذهب ويصحب من أتباع • والدليل على أهمية أخبار مالي وعظمتها وحادث موكب حج السلطان موسى ، في محاولة الأوربيين للوصول إلى بلاد الذهب ، أن صورة هذا السلطان وموضع إمبراطوريته والطرق المؤدية إليها ، قد ظهرت في معظم خرائط العالم **Mappa Munti** التي صدرت عن علماء مدرسة ميورقه ، وغيرهم من علماء أوروبا في القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر ، بل وفي بعض خرائط القرن السادس عشر[1] •

جاءت الخطوة العملية الهامة في سبيل التعرف على قلب إفريقية والوصول إليه ، فيما ساهمت به مدرسة ميورقة ، وما قدمه علماؤها من خرائط جغرافية ،غير أنها أفادت في تقدم علم رسم الخرائط **Cartography** في أوروبا ولاسيما في إيطاليا ، ومن ثم ظهرت خرائط أخرى أكثر دقة بددت الظلام المحيط ببلاد السودان فيما وراء الصحراء •

أفادت كل هذه المعلومات التي تجمعت ، في إلمام أهل أوروبا عامة وأوروبا الجنوبية بصفة خاصة ببعض أخبار ومعالم أفريقيا وثرواتها ولاسيما الذهب • وكانت الحاجة إلى مزيد من التجارة الخارجية في أوروبا قد صارت ملحة منذ مطلع القرن الخامس عشر ، لحل مشاكل القارة الاقتصادية ، إذ استنفدت الحروب الطويلة ما لديها من الاحتياطي من المعادن الثمينة ، ولذلك احتاجت إلى الذهب لدفع أثمان السلع المستوردة من الهند والصين وجزر البهار •

تركز اتجاه أوروبا في قلب أفريقيا ، لما سمعه الأوربيون ورأوه ، ومما رواه الرحالة المسلمون والمغامرون ، ومما أظهرته الخرائط الجغرافية من الإشارة إلى الذهب ووفرته في قلب القارة •

---

(1) البرتغاليون في غرب افريقيا، ص ١٦.

وتقرر بعد ذلك أن يكون طريق البحر هو الطريق الذي ينبغي عليهم أن يسلكوه بسبب تحكم المسلمين في طريق القوافل ، ورغم أن بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) لم يكشف بعد، فقد كان هناك احتمال كبير في نجاح الطريق البحري للوصول إلى قلب أفريقيا •

جاءت المحاولات الناجحة المنظمة ذات الآثار بعيدة المدى ، بفضل شخصية تاريخية معروفة ، تلك هي شخصية هنري الملقب بالملاح **Henry The Navigator** (ت ١٤٦١م) ، وهو أصغر أبناء حنا الأول **Don Joao I** ملك البرتغال (١٣٨٥ – ١٤٣٣م)[1] •

تمتع الأمير هنري بسعة المعرفة والإطلاع على معارف عصره الجغرافية، كما ألم بفنون الملاحة وأصولها عن طريق دراسة الكتب التي غنمها من المكتبات العربية في البرتغال وقشتاله ، وجمع حوله طائفة من البحارة المهرة المدربين ، كذلك عاونه أخوه دون بطرس **DoN Pedro** الذي اشتهر بكثرة رحلاته • وقد حصل بطرس وهو في البندقية عام ١٤٢٨م على نسخة من رحلات ماركو بولو البندقي ، وقدمها إلى أخيه هنري •

أنشأ هنري الملاح معهداً بحرياً في مدينة ساجر **Sagres** بالبرتغال عام ١٤١٩م، كما أنشأ بها دار صناعة ، ووضع مشروعاً عاماً لحركة الكشف الجغرافي ، أوقف حياته وجهوده على تحقيقه ، ويرمي من وراء هذا المشروع الوصول إلى هدفين أساسين :–

أولهما : تعقب المسلمين في شمال أفريقيا ، ونقل الحروب الصليبية إلى بلادهم•

ثانيهما: الوصول إلى ذهب السودان عن طريق البحر ، وتحويل التجارة عن طريق القوافل إلى الطريق البحري وإلى موانئ المحيط الأطلسي بدلاً من موانئ البحر

---

[1] المرجع نفسه، ص ١٨ - ٢٠.

المتوسط .

وحركة الكشف البرتغالي في غربي أفريقيا وغيرها ، هي التي خلدت اسم هنري في التاريخ ، وفتحت أفريقيا للاستعمار الأوروبي الحديث .

بدأت الكشوف ببطء في أول الأمر ، ويؤرخ لأول رحلة زمن هنري بعام ١٤١٨م ، ثم كانت رحلة عام ١٤٣٤م بقيادة جيل إينز التي وصلت إلى جنوبي رأس بوجادرو . ثم بعد ذلك كشف الرأس الأخضر (١٤٤١ -١٤٤٢) واستمرت رحلات الكشف البرتغالية ، ووصلت عام ١٤٤٣م إلى جزيرة أرجوين المقابلة للرأس الأبيض . ثم وصلوا إلى نهر غمبيا ، ثم وصلوا إلى سيراليون عام ١٤٦٠م .

جاءت وفاة هنري الملاح عام ١٤٦١م ، لكن مشروعات الكشف لم تقف من بعده ، فبعد وفاته بنحو سنة ، أي عام ١٤٦٢م ، وصل القائد البرتغالي بطرس سنترا Pedro de Cintra إلى رأس بالماس Palmas في ليبريا الحالية . وفي عام ١٤٧٠م أطلق القائد البرتغالي ديجو جوميز Diego Gomes على سيراليون هذه التسمية وأطلقها على شبه الجزيرة التي تقع عليها مدينة فريتاون الحالية ، اشتقاقاً من منظر جبالها المرعب ، نتيجة لأن جبالها تبدو للقادم من جهة البحر كأنها صورة أسد Lion Mountain ، وذلك نتيجة لكثرة عمليات التعرية ، والأرجح أن هذه التسمية جاءت نتيجة لأن العواصف الرعدية الشديدة التي تهب على هذه المنطقة ، تحدث أصواتاً تشبه زئير الأسد[1] . ولم تمض مدة حتى أصبح للبرتغاليين مراكز على تلك السواحل .

وجاء الإنجليز أيضاً إلى تلك الجهات ، وقد امتهنوا تجارة الرقيق ، وتمكنوا من أن تكون لهم موطئ قدم ، ثم اشتروا في بداية القرن الثالث عشر قطعة أرض من أحد زعماء البلاد لتكون مستعمرة لهم يسكنون فيها الزنوج المسرحين من الجيش

[1] طرخان، البرتغاليون في غرب افريقيا، ص ٢٦ - ٢٧.

والبحرية، وذلك بعد انتهاء حرب الاستقلال الأميريكية ، وينقلون عليها أيضا الزنوج الذيـن التجـأوا إلى لنـدن ، وأقـاموا في ضاحيـة مـن ضواحيهـا ٠ وفي سـنة ١٢٠٦هـ أنشئت مستعمرة جديدة من قبل شركة سيراليون ، ولكـن الفرنسـيين قـد نهبـوا هـذه المستعمرة التي عرفت باسم " فريتاون " ٠ وفي عام ١٢٢٢هـ نقلت الشركة حقوقهـا إلى التاج البريطاني ، وفي العام التالي ألغيت تجارة الرقيق ، فنقل إلى المسـتعمرة الزنـوج الذين قبضت عليهم أيد إنجليزية من جهات متعددة ، وكـانوا علـى بواخـر إنجليزيـة في طريقهم إلى البيع ، الأمر الذي جعل سكان المستعمرة يزداد ٠

كان الصراع دائماً يحدُث بين رجال القبائل أصحاب البلاد وبين هؤلاء الغربـاء وأسيادهم من المستعمرين ، واشترت إنجلـترا أراضـى جديـدة مجـاورة للمسـتعمرة مـن زعماء القبائل تارة بالإغراء وأخرى بالتهديد ، وضمت هذه الأراضي إلى المستعمرة ٠ وفي عام ١٢٩٠هـ بدأ الإنجليز بالتوسع نحو الشمال الشرقي ، وضموا إليهم منطقة " فالابا " على حين كان الفرنسيون قد ضموا الأراضي المجاورة إليهم ، الأمر الذي جعل مناطق النفوذ الإنجليزي محصورة ، فأسرعت إنجلترا وأعلنت حمايتها على الأجـزاء الـتي وقع زعماء القبائل على معاهدات معها ، وعلى الأجزاء الـتي أخذتهـا نتيجـة الغـارات المتكررة ، وأطلق على المجموع اسم سيراليون[١] ٠

سـارت إنجلـترا في سـيراليون بسياسـة اسـتعمارية قـد لا تختلــف كثـيراً عــن السياسات التي سار عليها الأوربيون جميعاً أثناء سيطرتهم على أراضـي خـارج حـدود قـارتهم بصـورة عامـة ، وعلـى أرض إسـلامية بصـورة خاصـة ، وأهـم جوانـب هــذه السياسة : -

١) التبشير : حـرص الاسـتعمار منـذ أن وطئـت قدمـه أرض سـيراليون على أن يعمل على بناء مراكز للتبشـير بعقيدتـه ، لـذا طلـب مـن الكنـائس أن تبعـث

---

[١] تاريخ العالم الإسلامي، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

بإراسالياتها إلى تلك المناطق للعمل على إدخال السكان المحليين بالديانة النصرانية ، وذلك من أجل أن يعتمد عليهم في تسيير شئون البلاد ، وأن يكونوا دعامة له في السيطرة على تلك الجهات . وعملت الإرساليات التبشيرية على الوقوف في وجه الإسلام الذي يعد أتباعه قلة آنذاك ، فمنعتهم من الانتساب إلى مدارسها والدخول في مشافيها والإفادة من خيرات الأرض ، إذ حرصت على سلب أرضهم ، وأخذ أملاكهم في سبيل إفقارهم وجعلهم يلتجئون إليها نصارى مستسلمين.[1]

٢) التفرقة : اتخذ الإنجليز في سيراليون كما اتخذ المستعمرون في كل مكان سياسة التفرقة بين السكان ، وذلك من أجل إبقاء السيطرة لهم ، فقد عملوا على زيادة الخلاف القبلي بين أكبر المجموعات وهي (التمنى) و (الماندى) ، وشحن الطرفين بالحقد والبغضاء بعضهم ضد بعض ، كما قسموا البلاد إلى عدد كبير من التنظيمات وصلت إلى ١٤٤ زعامة ، وأبقوا نقاط خلاف بين هذه الزعامات يمكن أن يثيروها في أي وقت .

٣) التعليم : إلى جانب مدارس التبشير النصرانية افتتحت وزارة المعارف الإنجليزية بعض المدارس ، وكانت المناهج موجهة حسب التعاليم النصرانية وحسب مقتضيات المصالح الاستعمارية ، وهي لا تختلف كثيراً عن مدارس الإرساليات ومناهجها ، ولم تسمح بانتساب المسلمين إليها ضمن شروط وهي أن يغير الطالب اسمه ليصبح اسماً نصرانياً على الأقل ، أو ليقبل على عقيدة المستعمرين كلياً ، وذلك كي يبقى المسلمون في حالة من التأخر . وفي الوقت نفسه فقد أحجم أكثر المسلمين عن الدخول والالتحاق بمثل هذه المدارس خوفاً على عقيدتهم وأنفسهم من توجيه المستعمرين الذين يمس بمبادئهم ودينهم الأمر الذي أبقاهم في حالة من الجهل والتأخر، على حين سبقهم غيرهم ممن اقبل على التعليم والانتساب إلى مدارس المستعمرين.[2]

---

[1] محمود شاكر، مواطن الشعوب الإسلامية في افريقيا، ١٥، سيراليون، ص ٤٩ ـ ٥٠.

[2] المرجع السابق، ص ٥١ ـ ٥٢.

٤) الصحـــة : لم تهتم بريطانيـا بالصحـة عنايـة كبـيرة ، وإنما أبقـت الأمراض تنتاب السكان ، ثم بدأت ببنـاء بعـض المستوصفات والمشـافي ، واقتصـرت على ذلك على العاصمة (فريتاون) وما حولها حيث يقيـم المستعمرون ، أمـا المـدن والقرى فبقيت على ما كانت عليه .

٥) الدعايـــة : كان الاستعمار يشيع بين السكان أن الإسلام ديـن العرب وقد جاءوا به من الشمال ، ولكن هذه الدعايـة لم تجـد لها صـدى واسـعاً ، إذ وجد السكان أن المسلمين الدعاة إنما هم من السود ، وقد جاءوا مـن غينيـا ، ولهـذا لم يقبلوا هذه الدعاية ، وفي الوقت نفسه فقد لاحظوا أن المستعمرين هـم الذيـن يختلفـون في الديانة عنهم، ويريدون أن يفرضوا هذه الدعاية على السكان ، ويستعمروا البلاد ، ويشعروا بالتفوق على أبناء أفريقيا عامة .

٦) نشر الفســـاد : شـجع الاستعمار على نشـر المفاسـد ، وعمـل المنكرات ومعاقرة الخمر ولعب الميسر ، والاختلاط بين الرجال والنسـاء ، وأشاع أن هذا من باب المدنية والحضارة ، والتقدمية .

وهكـذا بقـي المسـلمون تحـت رحمـة الجهـل والفقـر والمـرض وسـوء التغذيـة والنزاعات القبلية وانتشار الفساد والخرافات بينهم[1] .

---

[1] محمود شاكر، مواطن الشعوب الإسلامية في افريقيا، المرجع السابق، ص ٥٦ ـ ٥٧.

خاتمة

لقد دخل الإسلام إلى أفريقيا منذ بداية انطلاقة الفتح الإسلامي لنشر الدعوة وإزالة معالم الظلم ، بعد أن ران على المجتمعات وذاقت مرارته الشعوب ، فانتشر الإسلام مع الفتح ورافقته اللغة العربية . وبعد الفتح انتشر الإسلام عن طريق التجارة ، فاجتاز الصحراء ، وتخطى الحواجز الطبيعية الكبرى مثل الشلالات والهضاب ومناطق البحيرات الكبرى وما يكتنفها من أدغال وغابات ، فوصل إلى ربوع القارة الأفريقية ، واخترق نطاق الغابات في غربي أفريقيا ووسطها وجنوبها ، فدخل مع التجار والدعاة والمهاجرين إلى غينيا وغانه وأنجولا وليبيريا ووصل إلى موريشيوس وساحل العاج وزائير والكونغو وأوروندي . وهناك نهضة مباركة في نشر الدين الحنيف انبثت بين مسلمي القارة الأفريقية في جميع النواحي ، وهناك جهود جبارة في هذه البلدان الأفريقية التي يعاني فيها المسلمون ، سواء أكانوا أغلبية يعانون من اضطهاد أقلية ، أو أقلية تعاني البؤس والشقاء والاستبداد ، هذه الجهود ستستمر بإذن الله لتصبح الأقلية أغلبية ، وتتخلص الأغلبية من حكم الأقلية واضطهادها وقهرها .

وأفريقيا قارة تصل نسبة المسلمين فيها إلى أكثر من ٦٥٪ وتعد بذلك قارة إسلامية . ويعيش نحو ٧٥ مليون مسلم في الأقطار الأفريقية غير الإسلامية . والإسلام في أفريقيا يواجه حرباً شرسة من قبل الحركات التبشيرية والتنصيرية والقاديانية والمنظمات الصهيونية . كما كان للاستعمار الذي ظلت القارة الأفريقية ترزح تحت نيره ردحاً طويلاً من الزمن دور فعال ، وذلك باستخدامه لكافة الأساليب مثل فرض لغة المستعمر على سكان القارة واستنزاف موارد تلك البلدان ، مما أوجد حالة من التبعية الاقتصادية والفكرية والثقافية حتى بعد زوال الاستعمار ، غير أن

آثاره لم تزل باقية • ويعاني المسلمون في الدول الأفريقية غير الإسلامية على وجه العموم من أمراض الأمية والفقر والجوع والبطالة ، وبينما تنهش تلك المشكلات في جسد المسلمين في القارة الأفريقية ، تنشط الحركات التنصيرية والمنظمات الصهيونية لمحاربة الإسلام • وهذا الواقع يفرض على الدول الإسلامية وكذلك المنظمات الإسلامية المعنية بالدعوة الإسلامية ودعم الأقليات المسلمة في العالم مسئولية تكثيف المعونة والمساعدة حتى لا يسبقها أحد من المنظمات المشبوهة التي تعمد على محاربة الإسلام في قارة الإسلام • ومن أهم متطلبات العمل الإسلامي في أفريقيا ، تنشيط الدعوة الإسلامية بين الأفارقة والزنوج ، ووضع رؤية شاملة ومحددة لإنماء الحركة الإسلامية ، وإنهاء الخلافات بين الهيئات الإسلامية ، ومعالجة السلبيات وضحالة المعلومات عن الدين الإسلامي عند المسلمين ، وتوسيع وتنشيط المراكز الإسلامية الموجودة ، وتعمير المساجد ، وتزويد المدارس الإسلامية بالمعلمين الأكفاء ، وتوحيد العمل الإسلامي ومكافحة الأمية الدينية •

هذه هي خاتمة هذا البحث الذي نرجو أن يكون سجلاً واضحاً يوضح بعض الجوانب الهامة في تاريخ الأقليات الإسلامية في بعض بلدان أفريقيا ، وأملنا كبير في الحصول على المعلومات التاريخية الهامة التي نستطيع بها تغطية تاريخ دخول الإسلام في بعض الأقطار الأفريقية الأخرى مثل ليبيريا وغانه وموريشيوس وساحل العاج وزائير وأفريقيا الوسطى وأنجولا والكونغو •

آملين أن يكون هذا البحث حافلاً وحياً ومثيراً لنشاط الباحثين لتتبع مظاهر الحيوية ونشاط المسلمين في البلدان الأفريقية التي تعاني وطأة الجهل والتفرقة والمحاباة • ولقد ركزنا بقدر المستطاع على التنويه بتاريخ دخول الإسلام في تلك البلدان ، ودور المسلمين الكبير في تنشيط الحركة والدعوة إلى الإسلام ، ومكافحة الإستعمار

وحركات التبشير المسيحي ، ونشاطهم البارز في مقاومة أعداء الإسلام ، هذا إلى جانب استقصاء الحقائق التاريخية التي توخينا فيها الدقة وعدم المغالاة .

وبالله التوفيق ..،،

المصادر والمراجع

أولا : المراجع العربيـــة :

١- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن الكرم محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) : الكامل في التاريخ .

٢ - ابن العدوي ، سراج الدين أبو حفص عمر (ت ١٤٥٧م) : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ

٣ - ابن بطوطه ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٦٩م) : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة ، ١٣٢٢هـ .

٤ - ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ) : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .

٥- ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي (ت ٩٦٨م) : كتاب صورة الأرض، ليندن ، ١٩٣٨م.

٦ - أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) : المختصر في أخبار البشر ، القاهرة .

٧ - أبو الفداء ، تقويم البلدان ، باريس ، ١٨٤٠م.

٨- الدمشقي ، شمس الدين عبد الله محمد أبو طالب الأنصاري، (ت ٧٢٧هـ) : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، بطربورغ ، ١٢٨١هـ / ١٨٦٥م .

٩ - أرنولد ، توماس ، ترجمة : حسن ابراهيم حسن ، وعبد المجيد عابدين:

الدعوة إلى الإسلام ، القاهرة ، ١٩٤٧م .
١٠ – الغنائي ، أحمد الحفني : الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان ، القاهرة ، ١٣٢١هـ / ١٩٠٢م.
١١ – الطبري ، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت ٣١٠هـ / ٩٢٣م) : تاريخ الأمم والملوك ، الجزء الخامس ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م.
١٢ – الدناصوري، جمال الدين، جغرافية أفريقيا واستراليا، القاهرة، ١٩٦٧م.
١٣ – العمري ، ابن فضل الله ، (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، القاهرة ، ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م .
١٤ – القلشقندي ، أبو العباس أحمد بن علي ، (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، الجزء الخامس ، القاهرة ، ١٩٠٦م.
١٥– المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ١٩٥٦م): مروج الذهب ومعادن الجوهر ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
١٦ – المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م): الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، القاهرة ، ١٨٩٥م.
١٧ – جلال يحي ، التنافس الدولي في شرق أفريقية ، القاهرة ، ١٩٥٩م .
١٨ – جلال يحي ، التنافس الدولي في بلاد الصومال ، القاهرة ، ١٩٥٩م.
١٩ – جوهر ، حسن محمد ، إثيوبيا ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .
٢٠ – حسن ابراهيم حسن ، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ، القاهرة ، ١٩٦٣م.
٢١ – السيد ، حمدي ، الصومال ، القاهرة ، ١٩٥٠م .
٢٢ – حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة ، ١٩٦٤م.

٢٣ – حوراني ، جورج فاضلو، (ترجمة: السيد يعقوب بكر)، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطي، القاهرة ، ١٩٥٨ م ٠

٢٤ – البراوي، راشد، الصومال الكبير حقيقة وهدف، القاهرة، ١٩٦١م٠

٢٥ – البراوي ، راشد ، الحبشة بين الاقطاع والعصر الحديث ، القاهرة، ١٩٦١م٠

٢٦ – سليم حسن ، مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٥٤ ٠

٢٧ – العقاد ، صلاح ، قاسم ، جمال زكريا ، القاهرة ، ١٩٥٩م٠

٢٨ – صوار ، أحمد ، الصومال الكبير ، القاهرة ، ١٩٥٩م ٠

٢٩ – طرخان ، ابراهيم علي ، الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة ، القاهرة ، ١٩٥٩م

٣٠ – طرخان ، ابراهيم علي ، البرتغاليون في غرب أفريقيا ، القاهرة ، ١٩٦٧م ٠

٣١ – طرخان ، ابراهيم علي ، غانا في العصور الوسطي ، القاهرة ، ١٩٦٧م٠

٣٢ – طرخان ، ابراهيم علي ، دولة مالي الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٣ م٠

٣٣ – طرخان ، ابراهيم علي ، امبراطورية صنفى الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٥ م٠

٣٤ – زكي ، عبد الرحمن ، بعض المدن على ساحل شرق أفريقية في العصور الوسطي ، (محاضرة ألقيت بالجمعية الجغرافية بالقاهرة في ١٥ إبريل ١٩٦٤م)

٣٥ – زكي ، عبد الرحمن ، الإسلام والمسلمون في شرق أفريقية (جزءان) ،

القاهرة ، ١٩٦٥م.
٣٦ - زكي ، عبد الرحمن ، المسلمون في العالم اليوم .
٣٧ - فخري ، أحمد ، اليمن - ماضيها وحاضرها ، القاهرة ، ١٩٥٧م.
٣٨ - يونس ، محمد عبد المنعم ، الصومال ، القاهرة ، ١٩٦٢ م.
٣٩ - أبو العلا ، محمود طه ، المؤثرات العربية في شرق أفريقية (محاضرة ألقيت بالجمعية الجغرافية بالقاهرة ، في ١١ مايو ١٩٦٠م).
٤٠ - هندي ، محمد عبد الفتاح ، تاريخ الصومال في العصور القديمة ، القاهرة، ١٩٦١ .
٤١ - الحموي ، ياقوت ، الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ، (ت ١٢٢٩م) معجم البلدان ، بيروت ، ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م .
٤٢ - رفله ، فيليب ، الجغرافيا السياسية لأفريقيا ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
٤٣ - رزقانه ، ابراهيم إحمد ، الجغرافية السياسية ، القاهرة ، ١٩٦٨م.
٤٤ - بكر ، سيد عبد المجيد ، الأقليات المسلمة في استراليا وآسيا ، جده ، ١٣٩٣هـ.
٤٥ - بكر ، سيد عبد المجيد ، الأقليات المسلمة في أفريقيا ، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، جده ، ١٤١٢هـ .
٤٦- صبري ، صلاح ، أفريقيا وراء الصحراء ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
٤٧ - سعودي ، محمد عبد الغني ، إفريقيا - دراسة شخصية الأقاليم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١م .
٤٨ - رياض ، زاهر ، استعمار القارة الأفريقية واستقلالها ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٦م.

٤٩ – جنتز، جون ، داخل أفريقيا ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٥٧م٠

٥٠ – يونس ، محمد عبد المنعم ، أوغندا بين الاستعمار البريطاني والكفاح الوطني ، القاهرة ، ١٩٦٢م ٠

٥١ – السر سيد أحمد العراقي ، أرض الزنج الإسلامية في العصور الوسطى ، مجلة كلية الآداب – جامعة أم درمان الإسلامية ، العددالثاني ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ٠

٥٢ – السر سيد أحمد العراقي ، أرض الزنج والاتصالات بحضارات العالم الخارجي منذ القدم ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٣١، بغداد ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م٠

٥٣ – السر سيد أحمد العراقي ، معالم الحضارة الإسلامية في ساحل شرقي أفريقيا في العصور الوسطى ، مجلة دراسات إفريقية – المركز الإسلامي الأفريقي – العدد الثاني ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ٠

٥٤ – السر سيد أحمد العراقي ، نظام الحكم في الخلافة الصكتية ، دار النشر – جامعة الخرطوم ، مطبوعات جامعة الخرطوم ، ١٩٨٣م٠

٥٥ – قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، القاهرة ، ١٩٧٥م٠

٥٦ – أحمد حامد ، هكذا دخل الإسلام ٣٦ دولة ، بيروت ، ١٩٨١م٠

٥٧ – الطبرزي ، مبشر ، انتشار الإسلام في العالم : ٤٦ دولة آسيوية وإفريقية، الجزء الأول ، جده ، ١٩٨٥م٠

٥٨ – صقر ، عطيه ، الإسلام في يوغنده ، مجلة الأزهر ن يونيو ، ١٩٦١م٠

٥٩ – غلاب ، محمد السيد ، البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم

المعاصر ، مجلة الدارة ، السنة الخامسة ، المحرم ١٤٠٠هـ / ديسمبر ١٩٧٩م.

٦٠ – صغيرون ، إبراهيم الزين ، الإسلام في يوغندا .

٦١ – محمد عبد الفتاح يونس ، أفريقيا من مصب نهر الكونغو إلى منابع النيل في هضبة البحيرات .

٦٢ – شهاب الدين بن أحمد (عرب فقيه) فتوح الحبشة(تحفة الزمان) ، مخطوط نشره مع مقدمة بالفرنسية رينيه باسيه ، حققه : فهيم محمد شلتوت ، القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

٦٣ – السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج١ ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ .

٦٤ – الشوكاني ، محمد بن علي ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاهرة ، ١٣٨٤هـ .

٦٥ – عبد القادر شيخ علي، تاريخ التعليم في الصومال، مقديشو/ ١٩٧٨م.

٦٦ – حسن محمود ، انتشار الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا .

٦٧ – جديون س ، وبر ، تاريخ جنوب أفريقيا ، ترجمة : عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٦٨ – سلري ، انطوني ، (ترجمة) ، أفريقيا والجغرافيا الاجتماعية.

٦٩ – الدناصوري، جمال الدين، جغرافية العالم (أفريقيا واستراليا) القاهرة، ١٩٦٧م .

٧٠ – الصفار، فؤاد محمد، دراسات في الجغرافيا البشرية، القاهرة، ١٩٦٥م.

٧١ – أضواء على أوضاع المسلمين واللغة العربية في جنوب أفريقيا ، بحوث ومحاضرات المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي ،

(١٢ – ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ)٠
٧٢ – عبد الله نجيب محمد ، الدعوة إلى الإسلام في أفريقيا وأزمة التبشير ، مجلة منبر الإسلام ، عدد ربيع الأول، سنة ١٤٠٥هـ
٧٣ – أحمد سويلم العمري ، الأفريقيون والعرب ٠
٧٤ – أنور الجندي ، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي ٠
٧٥ – عبد المنعم يوسف عبد الحفيظ ، الأقليات المسلمة في جنوب أفريقيا ، الخرطوم ، ١٩٨٧م٠
٧٦ – أحمد نجم الدين ، أفريقيا ، دراسة عامة وإقليمية ٠
٧٧ – إسماعيل أحمد ياغي ، محمد شاكر ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، دار المريخ – الرياض – ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م٠
٧٨ – محمود شاكر ، المسلمون في بورندي ، (مواطن الشعوب الإسلامية في أفريقيا، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٨م٠
٧٩ – محمود شاكر ، سيراليون (مواطن الشعوب الإسلامية في أفريقيا) ١٥ – المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م٠
٨٠ – نوره ، دريد عبد القادر ، تاريخ الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء من القرن ٤– ١٠ هـ /١٠–١٦م ٠
٨١ – المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم ، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر ، إصدارات والمشاريع الخاصة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م٠
٨٢ – عبد المحسن بن سعيد الداود ، المملكة العربية السعودية وهموم الأقليات المسلمة في العالم ، الرياض ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ٠
٨٣ – السيوطي ، جلال الدين ، حسن الحضارة في أخبار مصر والقاهرة ،

ج١ ، القاهرة (بدون تاريخ) .

٨٤ - إسماعيل أحمد ياغي ، محمد شاكر ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، (قارة أفريقيا) ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨٣م .

٨٥ - مجلة دعوة الحق ، العدد ٢٣ ، صفر ١٤٠٤هـ .

٨٦ - مجلة العربي - العدد ٢٣٩ - أكتوبر ١٩٧٨م .

٨٧ - مجلة منار الإسلام - العدد السادس ، جمادى الآخر ، ١٤٠٣هـ .

٨٨ - منبر الإسلام ، عدد ربيع الأول ١٤٠٥هـ .

٨٩ - مجلة الدارة ، السنة الخامسة ، المحرم ١٤٠٠هـ / ديسمبر ١٩٧١م .

٩٠ - مجلة الأزهر ، يونيو ١٩٦١م .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

1. Burton , Lake Regions of Central Africa , Vol.1 .
2. Burton , R.F., First Foot Steps in East Africa, London, 1856.
3. Caster, M., Encyclopedia of Islam, Vol. 4 (1) , London,1934.
4. Coupland , R., East Africa and its Invaders, oxford, 1938.
5. Dames, M.L., The Voyage of Pedro al-vares to Brazil and India, Londonm 1938.
6. Dames, M.L., The Book of Daurte Barbos, Vol.1, 1918.
7. Duffy, James, Portugues Africa, Londom, 1961.
8. Enrico Ceruli, Encyc. of Islam, Vol.3, London, 1934.

9. Fitzgerald, W., Africa (A Social Economic and Political Geogra[hy of its Magor Regions, London, 1957.
10. Freeman & Grenville, The East African Goast, (Select Documents form the first to the earlier Nineteenth Centurym Clarendon Press, 1962.
11. Gray, J., History of Zanzibar from the Middle Ages to 1856, London, 1962.
12. Ingham, K : 9
A History of East Africa, London, 1961.
13. Marsh, Z., An Introduction to the History of East Africa , London, 1966.
14. Oliver , R., History of East Aftica, Oxford, 1963.
15. Reusch,R., History of East Africa , New York, 1961.
16. Schaff, W.H., Somalia, Travel and Trade, (The Periplus of he Erythraean Sea, (Hammer Magaliscio, 1912).
17. Stigand, C.N., The Land of Zing , London,1913.
18. Suggate, L.S., Africa.
19. Strong , S.A., The History of Kilwa (Journal of Royal Asiatic Society, 1895.
20. Theal, G.M., Records of South Eastern Africa, Vol.III., London,1899.
21. Trimingham, s., Islam in East Africa, London, 1964.
22. Welker, J., Encyc., of Islam , Art .Kilwa, Vol.(30, (edited) by M.TH. Hontsma, A.J. Wensnal H.A.R. Gibb-W.Haffening and E. Levi- Provensal Supplement.
23. Warner, A., Encyc. of Islam, art Mom bassa, Vol.3.(2), London,1934.
24. Wossfold, W.B., Portuguesse Nyassaland, London, 1899.
25. Encyc., Brittannica, Vol., 23, London, 1768.
26. Africa South of the Sahara- Europa Publications,

Limited, London, 1982-1983.
27. The Euyropa Year Book, Europa Publications Limited, Vol.I, 1991.
28. The New Encyclopiedia of World Geography Octopus Books Limited, London, 1978.
29. Journal Institute of Muslim Minority Affairs, Vol., 3/1 and Vol 3/2-1981.
30. Islam In Africa , Edited by : Jamed Kritzech and William - H., Lavers van Nostrand- Reinhold Company , New York,1969.
31. Lavers, John , The Diplomatic Relations of the Sokoto Cliphate, (Sokoto Saminar, 1975).
32. Arnett, Sokoto Provencial Gasetteer, London, 1920.
33. Horrabin , F., An Atlas of Africa ,London, 1920.
34. Kirkman,J.S., men and Movements on the East African Coast.
35. Sidney R.,& Welch, P., Portuguesse Rule and Spanish Crown in South Africa 1581-1641, Cape town and Johannsburg, 1950.
36. Babingar, Franz, Encyc., of Islam, art. Sofala, Vol.4 (1).
37. A Survey of Muslim in S.A. , Journal Institute of Muslim Minority Affairs, Vol.3, 20.

كتب وبحوث للمؤلف الأول

أ٠د٠ سر الختم سيد أحمد العراقي

أولاً الكتب :-

١ – معالم التاريخ الأفريقي – ١٩٧٦ – الخرطوم – وزارة التربية بالسودان ٠

٢ – تاريخ الإسلام في أفريقيا – مطبوعات المركز الإسلامي الأفريقي – (جامعة أفريقيا العالمية) – ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣ – الخرطوم٠

٣ – نظام الحكم في الخلافة الصكتيه – مطبوعات كلية الدراسات العليا – جامعة الخرطوم –١٩٨٣ – الخرطوم٠

٤ – نظام الحسبه في الإسلام – نشرة معهد التوجيه المعنوي – الخرطوم – ١٩٨٤ ٠

٥ – الإسلام في غربي أفريقيا – سلسلة محاضرات القيت في معهد الدراسات الأفريقية الأسيويه بجامعة الخرطوم – الخرطوم ١٩٨٥ ٠

٦ – تاريخ أفريقيا منذ القدم (رصد حضاري منذ فجر الحضارة الإسلامية إلى عصر التحرر والاستقلال – (تحت الطبع – مطبعة دار هابل – الخرطوم٠

٧ – تاريخ تطور المجتمع العربي (تحت النشر)٠

ثانياً : البحوث :-

١ – أرض الزنج الإسلامية في العصور الوسطى – مجلة كلية الآداب – جامعة أم درمان الإسلامية – العدد الثاني ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤ ٠

٢ – تجارة القوافل بين شمال وغرب أفريقيا وأثرها الحضاري (بحث نشر في مجلة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – معهد الدراسات العربية – بغداد – ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م – في مجلة تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن ١٩.

٣ – انتشار اللغة العربية في بلاد غربي أفريقية عبر التاريخ – مجلة " دراسات أفريقية

- المركز الإسلامي الأفريقي - الخرطوم - العدد الأول - رجب ١٤٠٥هـ/ ابريل ١٩٨٥ .

٤ - أرض الزنج والاتصال بحضارات العالم الخارجي منذ القدم - مجلة المؤرخ العربي - بغداد - العدد ٣١-١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٥ - الإسلام ومراكز الثقافة الإسلامية في أثيوبيا والصومال - بحث نشر في مجلة ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٦ - عبد الله بن فودي ومحمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودى - من علماء غرب أفريقيا في القرن التاسع عشر - بحث نشر في مجلة ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية ١٤٠٥/١٩٨٥ م

٧ - الإسلام والصليبيون في شرقي أفريقية في العصور الوسطى - بحث نشر في كتاب (أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية ٥-٧محرم ١٤٠٨هـ (٢٩ - ٣١ آب/أغسطس ١٩٨٧.

- الجزء الثاني : العلاقة بين الخليج العربي وشرق أفريقيا .

٨ - معالم تطور الحضارة الإسلامية في بلاد السودان الأوسط والغربي:بحث نشر في" المجلة التاريخية " "التاريخ والمستقبل"-دورية أكاديميه محكمة-قسم التاريخ -كلية الآداب - جامعة المنيا - جمهورية مصر العربية - المجلد الثالث - العدد الثاني - يونيو١٩٩٣ .

٩ - الثقافة الإسلامية - تطورها وازدهارها في ساحل شرق أفريقيا في العصور الوسطى (بحث قبل للنشر بمجلة كلية الآداب - جامعة الزقازيق .

١٠- حركة الشيخ عثمان بن فودى الإصلاحية في بلاد غربي أفريقيا في القرن التاسع عشر (١٨٠٤-١٩٠٣ - بحث نشر بمجلة بيادر - نادي أبها الأدبي - العربية السعودية - العدد العاشر - المحرم ١٤١٤هـ.

١١- معالم الحضارة الإسلامية في ساحل شرقي أفريقية في العصور الوسطى - مجلة دراسات أفريقية - المركز الإسلامي الأفريقي - الخرطوم - شعبان ١٤٠٦هـ/ إبريل ١٩٨٦ - العدد الثاني .

١٢ - دور العثمانيين في التصدي للوجود البرتغالي في البحار العربية - مجلة كلية الآداب - جامعة أم درمان الإسلامية - العدد الثالث .

١٣ - سلطنة كلوة الإسلامية - تاريخها وحضارتها - مجلة بيادر - نادي أبها الأدبي - المملكة العربية السعودية - العدد ١٤-محرم ١٤١٦/١٤١٧هـ - المملكة العربية السعودية.

١٤ - الحضارة والنظم الإسلامية في أفريقيا - بحث تحت الإعداد - يقوم بنشره وتمويله مركز البحوث - كلية التربية - جامعة الملك سعود - فرع أبها .

15 - The Military Organization of the Sokoto Caliphate 180 - 1903 - /

مجلة كلية الآداب - جامعة أم درمان الإسلامية .

16 - The Impact of Ribat in Religious, Cultural, Social and Military life in Northern Nigeria in the Nineteenth century (1804-1903), under Publication, The Journal of African Studies, African Studies Institute, Cairo.

كتب وبحوث للمؤلف الثاني

أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أ - الكتب :

١ - افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية (جدة - دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ثلاث طبعات أولى وثانية وثالثة (والطبعة الأولى من منشورات نادي أبها الأدبي عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

٢ - بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (أبها: مطابع مازن، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) .

٣ - صفحات من تاريخ عسير ، الجزء الأول (جدة - دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) (طبعتان أولى وثانية).

٤- بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية ، الجزء الأول ، تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، رئيس اتحاد المؤرخين العرب (الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م) .

٥ - عسير : دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠ -١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨-١٩٨٠م)، (جدة - دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

٦ - تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤م - ١٩٦٦م) الجزء الأول، (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) .

٧ - الهجرات العربية إلى ساحل شرقي أفريقية في العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية والثقافية والتجارية حتى القرن الرابع الهجري . دراسة نشرت في هيئة كتيب بمركز بحوث كلية التربية بأبها. وتم تصويره وتجليده في مطابع جامعة الملك سعود بالرياض (عام ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) .

٨ – أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) ٠(الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ٠

٩– الأقليات الإسلامية في العالم (١) أفريقيا ٠ الجزء الأول ٠ (أبها: نادي أبها الأدبي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ٠

١٠– بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية ، الجزء الثاني (تحت الطبع) ٠

١١– تاريخ تهامةوالسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ٠ الجزءالأول (تحت الطبع)٠

ب – البحوث :

(١) " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني " مجلة الدارة ، ربيع الآخر والجماديان (١٤١٤هـ) – العدد الثالث ، السنة (١٩)، ص ٧٦ – ١١١.

(٢) بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط " مجلة العرب " (جـ ٩–١٠) سنة (٢٧) (الربيعان) (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ص ٦٠٧ – ٦٢٤٠

(٣) بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثاني ، المجلد الأول – مارس (١٩٩٤م) ص ٧٣ – ١٠٠٠

(٤) تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى مجلة العصور مج ٩، جـ١ (رجب ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ص ٦٣–٧٨ ٠

(٥) بلاد تهامة والسراة منذ فجر الدعوة الإسلامية حتى عهد حروب الردة بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد (٣٨) لعام١٩٩١–١٩٩٥م، ص٤١ – ٦٥ ٠

(٦) أعمال الخليفة المهدي العباسي الخيرية تجاه أهل الحجاز (١٥٨هـ/٧٧٤م – ١٦٩هـ/٧٨٥م) مجلة الدارة (رجب ، وشعبان ورمضان ، ١٤١١هـ) العدد

(٧) الأوضاع السياسية والحضارية في الحجاز خلال عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦هـ/ ٧٥٣م – ١٥٨هـ / ٧٧٤م) ، منشور ضمن سلسلة دراسات مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس، القاهرة ، رقم السلسلة (٩٦) (١٤١١هـ/١٩٩١م) ، ثم أعيد نشر هذه المقالة في مجلة العرب، وعلى جزئين في العددين المتتاليين (رجب وشعبان) و(رمضان وشوال) ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، سنة (٢٩) من ص (٥١ – ٦٣) ثم في الجزء الآخر من (١٧٥ – ١٨٤)٠

(٨) " تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام " مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد الثامن (رجب ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص ٤١٢–٤٣٣ ، ثم أعيد نشر هذه المقالة في مجلة العرب، وعلى جزئين في العددين المتتاليين (ذوا القعدة والحجة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م، ومحرم وصفر ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) سنة (٢٩)٠

(٩) " تاريخ عقوبة النفي منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني العباس " مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد السادس (المحرم ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ص ٥٨٨ – ٦٠٩، وقد أعيد نشرها في مجلة المنهل ، العدد (٥١٢) شعبان ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ص٨٢ – ٩٠ ٠

(١٠) " صور من تطور نظام العيون (الاستخبارات) خلال القرون الإسلامية المبكرة" منشورة ضمن سلسلة دراسات مركز بحوث الشرق الأوسط بالقاهرة، ورقم السلسلة (٨٩) (١٤١١هـ/١٩٩١م، ثم أعيد نشر هذه المقالة مع بعض الإضافات في مجلة المنهل العدد (٥١٦) عام (٦٠) المحرم ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) ص ٦٦–٧٥.

(١١) " صور من تاريخ المثلة منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني العباس " مجلة الدارة"،

العدد الأول، السنة (١٨) (شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة، ١٤١٢هـ) ص ٨٤ - ١٠١

(١٢) " الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز " مجلة العرب ، جـ٧و٨ سنة (٢٦) (محرم وصفر ١٤١٢هـ / ١٩٩١م) ص ٤٤٧ - ٤٦٢ ٠

(١٣) " أهم الحرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة " مجلة المنهل ، العدد (٤٩٢) مج ٥٣ جمادى الأولى والآخرة ١٤١٢هـ /١٩٩١م) ص٨٢ - ٩٦ ٠

(١٤) " مواقف خلفاء بني العباس الخيرية تجاه أهل الحجاز " (١٣٢ - ٢٣٢هـ) ، مجلة المنهل، العدد (٤٩٧) مج ٥٤ (المحرم ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ص ٨٢ - ٨٨ ٠

(١٥) " علماء الحجاز وعلاقتهم بخلفاء بني العباس" (١٣٢ - ٢٣٢هـ / ٧٤٩ -٨٤٦م) "مجلة المنهل، العدد (٥١٠) مج ٥٥، جمادى الآخرة (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ص ٥٠-٥٦، وسبق أن نشرت في نفس مجلة المنهل العدد (٥٠٢) مج ٥٤، شعبان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص ٢٥-٣٠ ٠

(١٦) " أهم الملابس العربية خلال العهود الإسلامية الأولى " مجلة المنهل ، العدد (٤٩٨) مج ٥٤ (صفر ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ص ٧٨ - ٩٥ ٠

(١٧) " العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام " مجلة المؤرخ العربي، العدد الأول ، المجلد الأول ، مارس (١٩٩٣م) ص ١٢٨-١٥٨. ثم أعيد نشرها مع التطوير والإضافة في مجلة المنهل، عدد (٥١٤ مج

٥٥، شـــــــوال، ذو القعدة (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ص ٤٨-٥٩.

كما أضيف عليها بعض التفصيلات والتعديلات ونشرت في مجلة العرب، جـ٣،٤ سنة (٣٠) (رمضان ، شوال) ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) ص ١٨٥-٢٠٥.

(١٨) " البحر في كتب التراث الإسلامي (اللغوية والأدبية وكتب الجغرافية والرحلات، الكتب التاريخية والموسوعات) بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من ٢٢-٢٤ جمادى الأول فى ١٤١٤هـ، ٦-٨ نوفمبر ١٩٩٣م ، ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب " الحضارة الإسلامية وعالم البحار (بحوث ودراسات) " (منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٤٤م ، ص ٩١ - ١٣٤ .

(١٩) " المدينة المنورة .....ورقات من ذاكرة التاريخ "١٣٢-١٦٩هـ" مجلة المنهل (العدد السنوي الخاص) عدد (٤٩٩) مج ٥٤ (الربيعان / ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ص ١١٢ - ١٢٠ .

(٢٠) " القدس الشريف خلال القرون الإسلامية المبكرة "مجلة المنهل (العدد السنوي الخاص) عدد (٥٠٨) مج ٥٥ (الربيعان ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ص ٤٠-٤٥.

(٢١) " الإمارة في الحجاز خلال العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ / ٧٤٩-٨٤٦م) " مقالة نشرت باللغة الانجليزية ، في مجلة العصور ، المجلد السابع ، الجزء الأول (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ، . PP. 13-21 .

(٢٢) " العمائم تيجان العرب " مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، العدد

(٨)، محرم ١٤١٣هـ، ص ٦٦-٧١ .

(٢٣) " المستشرقون ونشاطهم تجاه دراسة التراث الإسلامي ، مجلة بيادر الصادرة من نادى أبهاالأدبي، العدد (٦) (محرم ، ١٤١٢هـ) ص ٦٢ - ٧٧ .

(٢٤) " الدونمة بين اليهودية والإسلام " مجلة المنهل ، العدد (٤٩٦) مج ٥٣، ذو الحجة (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ص ٩٠ - ٩٦ .

(٢٥) " يهود الدونمة في الميزان " مجلة التضامن الإسلامي السنة (٤٧) ، الجزء الثامن (صفر ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ص ٢٤ - ٣٠ .

(٢٦) " آراء حول التاريخ وكيفية تدريسه في الجامعة " مجلة المنهل العدد (٥٠٧) مج ٥٥ (صفر ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص، ١٢-١٧، ثم أجري عليه بعض التعديلات ونشر في مجلة القافلة العدد (١١) مج ٤٢(ذو القعدة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ص٤٤ - ٤٧.

(٢٧) " كيف نبني ثقافتنا " مجلة المنهل ، العدد (٥٠٦) مج ٥٥ (المحرم ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ص ٣٠-٣٦ .

(٢٨) " المخطوطات العربية بمكتبة كلية التربية بأبها (فرع جامعة الملك سعود)" مجلة المنهل، العدد (٤٨٧) مج ٥٢ ، (رمضان وشوال ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ص ١٩٠-١٩٣ .

(٢٩) " صور من التنظيمات العرفية الحديثة ببلاد عسير في ضوء بعض الوثائق المحلية، مجلة العرب، جـ٧،٨ سنة (٢٧) محرم وصفر (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ص ٤٤٥ - ٤٦١ .

- ٤٦١ ٠

(٣٠) " من رسائل الملك عبد العزيز آل سعود ورجال حكومته إلى بعض الشيوخ والعشائر العسيرية ، مجلة العرب، جـ١١، ١٢ سنة (٢٧) (الجماديان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ص ٧٣٥-٧٥١ ٠

(٣١) " ملامح من حياة الأمن والاستقرار في عسير في عهد الملك عبد العزيز ، مجلة العرب، جـ١، ٢ سنة (٢٧) (رجب وشعبان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ص٢٧ -٤٤.

(٣٢) " أسر الفقهاء ببلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرون المتأخرة الماضية ، مجلة العرب ، جـ٩، ١٠، سنة (٢٦) (الربيعان ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م) ص ٥٩٤ - ٦١١ ٠

(٣٣) " وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩-١٣٣٧هـ) " مجلة العرب، جـ٣، ٤سنة (٢٨) (رمضان وشوال، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ص ١٥٤-١٧٠.

(٣٤) " من رسائل الملك عبد العزيز آل سعود إلى الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة "، مجلة العرب/ جـ٥، ٦ سنة (٢٨) (ذوا القعدة والحجة ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص ٣٤١ - ٣٥٩ ٠

(٣٥) " العادات والتقاليد في عسير من خلال الوثائق " مجلة العرب/ جـ٧، ٨ سنة. (٢٨) (محرم وصفر/١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ص ٤٨٦ - ٤٩٨ ٠

(٣٦) " صور من الاحتفالات الرمضانية عبر العصور الإسلامية، مجلة المنهل (ضمن العدد (٥١٣) مج ٥٥، رمضان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ص ١١٣-١١٧ ٠

(٣٧) "دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة "، مجلة الدارة، العدد (٤) سنة (٢٠) رجب وشعبان ورمضان ١٤١٥هـ ، ص ٤٠ - ٧٠ ٠

مجلة المؤرخ العربي، العدد (٣) مجلد رقم (١) مارس ١٩٩٥م، ص ٦٧ - ٨٥.

(٣٩) " جدة في مواجهة الخطر البرتغالي خلال الثلث الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي " بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٢٥ - ٢٧ جمادى الآخرة) ١٤١٥هـ/ ٢٨-٣٠/١١/١٩٩٤م) ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب " الصراع بين العرب والاستعمار في عصرالتوسع الأوربي الأول (منشورات اتحاد المؤرخين بالقاهرة (القاهرة : المطبعة الإسلامية الحديثة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ص٢٢٧ - ٢٧١ .

(٤٠) " مهنة الطب في ضوء شريعة الإسلام " مجلة المنهل العدد (٥٢٣) المجلد (٥٧) العام (٦١) المحرم ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص ٤٦ - ٥١ .

(٤١) " مكانة شَعَرْ اللحية والرأس عند سكان المجتمعات العربية القديمة ، مجلة الحرس الوطني، عدد (١٣٧) سنة (١٥) رجب ١٤١٤هـ (١٩٩٤م)، ص ١٠٨- ١٠٩.

(٤٢) " ملامح الحياة الاجتماعية في العراق خلال عصر بني العباس " مجلة المنهل العدد (٥٢٥) مج٥٧ عام (٦١) الربيعان ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) ص ١٦٨- ١٧٤

(٤٣) " زي الطيلسان : دراسة تاريخية حضارية " ملف بيادر الصادر من نادي أبها الأدبي ، عدد (١٨) ربيع الآخر ١٤١٧هـ (١٩٩٦م) ص ٦٥ - ٧٤ .

(٤٤) " سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى " في مجلة المؤرخ المصري (العدد السادس عشر) يوليو ١٩٩٦م (الصادرة من قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة القاهرة (١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ص ١٥٣ - ١٨٩ .

(٤٥) " ظاهرة السمل بين التشريع والتسيس في العصور الوسطى " نشر في مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس ، (القاهرة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ص١-٣٧ .رقم التسلسل (١٨٦).

(٤٦) الدور الحضاري لنشاط التجارة بين شمالي وغربي أفريقيا في العصور الوسطى (مقبول للنشر بخطاب رسمي في مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية وسوف ينشر في عام (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) .

(٤٧) " سلطنة أوفات الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي وعلاقاتها مع العالم الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط " مجلة كلية البنات بجامعة عين شمس . عدد (١٩) (١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

(٤٨) تاريخ بيشة خلال القرون الإسلامية الأولى (بحث في طريقه للنشر).

(٤٩) تاريخ نجران خلال العهود الإسلامية الأولى (بحث تحت الطبع).

(٥٠) تاريخ الطائف خلال العصر الإسلامي المبكر (بحث في طريقه للنشر).

(٥١) تاريخ مخائل عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (بحث تحت الطبع).

(٥٢) التعليم وحركة التحول التاريخي في منطقة عسير خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) (بحث تحت الطبع).

History of Muslim Minorities in the World

Part 1

Africa

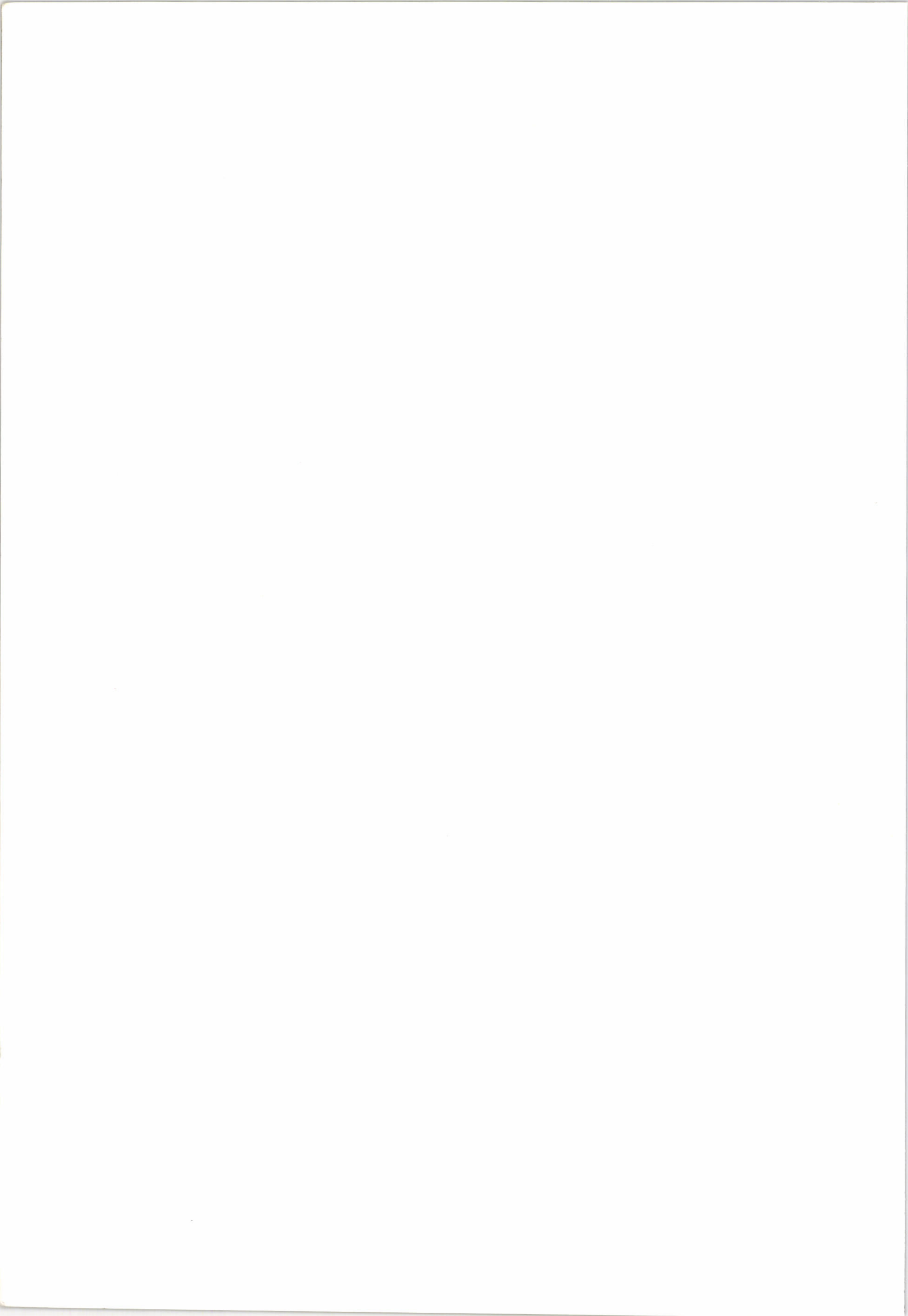
Prof . Al-Sir Sid Ahmad Al-Iraqi
Prof . of Islamic History,
King Saud University,
Abha Branch,
Faculty of Education

Abha

Prof. Ghithan ALi Jrais
Professor and Chairman
of History.
King Saud University
College of Education,Abha

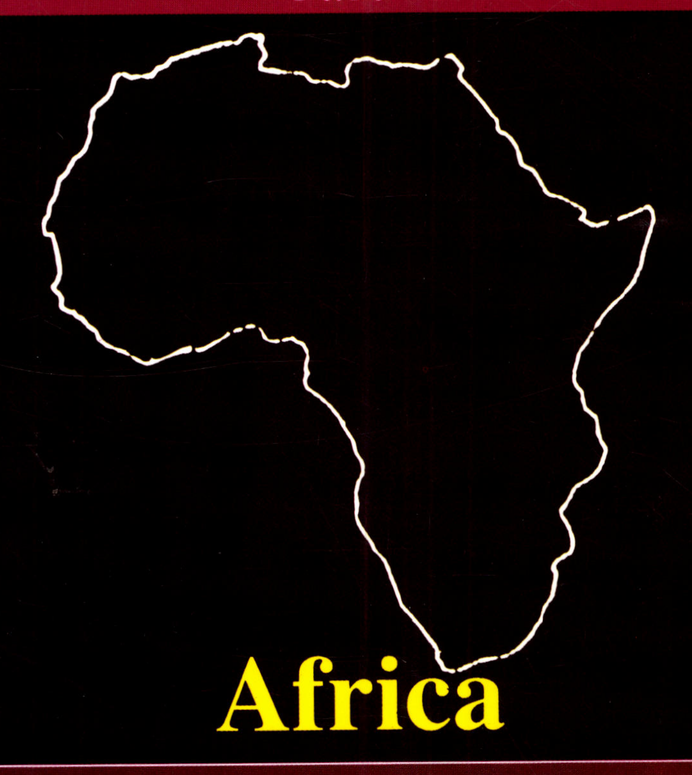
JEDDAH

(1419/1999)



History of Muslim Minorities in the World

Part 1



Africa

Prof. Al-Sir Sid Ahmad Iraqi

Prof. of Islamic History,
King Saud University,
Abha Branch,
Faculty of Education,
Abha

Prof. Ghithan ALi Jrais

Professor and Chairman
of History.
King Saud University
College of Education,
Abha